

التَّجَانِيَّةُ

دِرَاسَةٌ لِأَهَمِّ عَقَائِدِ التَّجَانِيَّةِ
عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

تَأَلَّفَتْ

الْأَسْتَاذُ الذَّكُورِيُّ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّخِيلِ أَلَلَّهِ السَّوِيَّامُ

بِمَارَقَةِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ الْإِسْهَرِيَّةِ

دَارُ الْعَبَّاسِيَّةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

الصفحات الساقة
آآآآ آآآ آآآ

التَّجَانُّبُ

دِرَاسَةٌ لِأَهَمِّ عَقَائِدِ التَّجَانُّبِ
عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

تأليف

الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله السويلم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العبَّاسية

للتنشيط والتوزيع

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدخيل الله، علي محمد

التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة . /

علي محمد الدخيل الله - ط ٣ - الرياض ، ١٤٣٢ هـ

٣١٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٥٧-٣١-٥

١- التجانية (طرق صوفية) ٢- التصوف الإسلامي

٣- الفرق الصوفية أ- العنوان

١٤٣٢/٨١٠٢

ديوي ٢٦٩

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٨١٠٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٥٧-٣١-٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

الصَّفِّ وَالْإِخْرَاجَ وَالرُّعَايَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

دارُ العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب: ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي: ١١٥٥١

المركز الرئيسي: شارع السويداء العام

هاتف: ٤٤٩٧٢٢٤ / فاكس: ٤٤٩٧٢٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد :

فقد بلغت الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه من بعده أوج عظمتها وقوتها، ثم ما لبثت أن دب الحسد في قلوب أعداء الإسلام فبدأوا بالكيد لها، فنشأت الحركات الباطنية التي كانت تهدف إلى تقويض دعائم الدولة الإسلامية الفتية، وكثرت الفرق والطوائف، وبدأ الشقاق والتناحر، فكان أن دخل في الصوفية أناس خرجوا بها عن طريق الاعتدال فلبسوا مسوح الرهبان، وهم في الحقيقة أعداء لله ورسوله ﷺ.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الصوفية، فهؤلاء المنسوبون إلى الإسلام، والذين يعتقدون كثيراً من العقائد المنحرفة، يخدعون كثيراً من الجهلة والعامه؛ لأنهم يدعون أنهم أولياء الله وأحباؤه، فيلقنونهم كثيراً من الخرافات والعقائد المنحرفة وهم يظنون أنهم بلغوا الغاية في الهداية، والله سبحانه وتعالى قد شنع على المنافقين الذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر، ويبين أنهم أشد عذاباً من اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١) فجعلهم سبحانه وتعالى في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم يخادعون الناس، وأما اليهود والنصارى والمشركون فقد أعلنوا كفرهم أمام أعين

(١) سورة النساء آية: ١٤٥.

الناس فلم يدخل في زميرهم إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم ينشرون عن الإسلام صورة مشوهة سيئة، فإن من رأى هؤلاء الدراويش بطقوسهم وحركاتهم، وعلم اعتمادهم على الخرافة والتدجيل فلا شك أنه سينفر من الإسلام؛ لأنه لا يرى إسلاماً حقيقياً يزرع الثقة في النفس وحب العمل والخير للآخرين.

وهناك أمر ثالث: وهو أن أسئلة كثيرة ترد إلى دار الإفتاء تسأل عن حقيقة التجانية، مما يدل على أنها تشغل بال الكثيرين من أهالي إفريقيا الخضراء.

وأيضاً فإن بيان الحق للمخدوعين من أبناء العالم الإسلامي من أهم الواجبات، فكما أن حرب أعداء الإسلام ممن هم خارج الصف الإسلامي واجب؛ فإن تنقية الصف الإسلامي من عوامل الضعف والبلبلة من أهم الواجبات، فإن الأمة المسلمة لن تستطيع محاربة أعداء الله في الخارج ما لم تكن حصونها قوية من الداخل.

وقد رأينا في تاريخ الصوفية كيف أن كثيراً منهم قد جلبوا الويلات على أهلهم وذوهم؛ لأنهم يقولون: إنهم شهدوا الحقيقة، وأن ما جاء من المحبوب فهو محبوب.. وهذا مزلق خطير.. والصوفية من الذين مهدوا للاستعمار في إفريقيا.

وقد يقول قائل: إن أعمال الصوفية وحركاتهم هي إلى باب السلوك وفروع الشريعة أقرب منها إلى أبواب العقيدة، فلم تكلف نفسك هذا العناء في الرد على عقائدهم وأفكارهم؟ ولكني أقول: لما كان هذا السلوك فرعاً عن تصور واعتقاد كان لابد من دراسة هذا الاعتقاد ليعرف الأمر من جذوره، فما من أمر سلوكي إلا وهو نتيجة لتصور واعتقاد معين، إذ السلوك فرع عن العقيدة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(١).
وقديماً قيل: «متى يستقيم الظل والعود أعوج».

وقد يتصور بعض الناس أن الرد على التجانية أمر غير ذي بال؛ لأنها فرقة من فرق الصوفية وهي فرق كثيرة جداً، لكن يجب أن يعلم أن التجانية لم يستقلوا بما يعتقدونه من أفكار، بل إنهم يشتركون فيها مع أغلب الفرق الصوفية، وليس هناك سوى بعض الفروق القليلة. فالرد على التجانية هو رد على الصوفية بكل فرقها وطوائفها؛ إذ هي جميعاً تشترك في معنى عام

(١) سورة الرعد الآية: ١١.

وتختلف في بعض الجزئيات.

والتجانية وإن لم تنتشر إلا بعد المائة والألف، إلا أن أصولها مستقاة من أصول الصوفية القدماء كابن عربي وغيره، وما ثم إلا بعض الأوراد والأذكار المخترعة التي لم توجد لدى الصوفية من قبل.

وأيضاً فإن التجانية ليست طائفة منقرضة كما أنها ليست موضوعاً فكرياً لا رصيد له من الواقع، بل هي موضوع عملي ومشكلة قائمة، وكيفيك أن تعلم أن عدد التجانيين في نيجيريا وحدها يزيد على عشرة ملايين نسمة.

وأخيراً فإن هذه الدراسة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، الذي قال الله فيه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(١) والذي قال فيه النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٢).

ومن هذا كله يتبين أهمية البحث في المساهمة في إيضاح السبيل للمخدوعين من المخلصين، ولإزالة ما علق بالدين الإسلامي الصحيح من أوشاب الصوفية المنحرفة التي جعلت من الزوايا مصايد لجمع حطام الدنيا - كما يقول التجانيون أنفسهم^(٣) - والذين أخذوا يبنون ذلك على فلسفة معينة لا يتقصها الذكاء.

قال مؤلف الخريدة: «... ثم من الأدب على من يصحب الأولياء ألا يخص نفسه عنهم بما كل ولا ملبس ولا منكح، ولا يبخل بشيء من حطام الدنيا... وكان الشيخ يوسف العجمي يقول لبواب زاويته... إذا دق شخص الباب فانظر من الشق، فإن رأيت معه شيئاً للفقراء فافتح له، وإلا فهي زيارات فمشارات. فقل للشيخ في ذلك فقال: أعز ما عندنا وقتنا وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم، فإن بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا، والله غني حميد»^(٤).

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

(٢) رواه مسلم «صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٢: ٢٢، ٢٢٥.

(٣) الدرة الخريدة ٣: ٦٢.

(٤) الدرة الخريدة ٣: ٩٣.

هذا، ومنهجي في البحث يتلخص في النقاط التالية :

الأولى : قمت بدراسة شاملة لأهم الكتب المعتمدة عند التجانية وقرأتها قراءة متفحصـة وأخذت منها أبرز وأهم انحرافات التجانية في جانب العقيدة.

الثانية : ناقشت في هذه الرسالة أهم الانحرافات في مجال العقيدة، ولم أناقش جميع الانحرافات؛ إذ لو تناولت كل نقطة من نقاط انحرافهم بالدراسة والمناقشة لكان هذا البحث في أسفار عدة. كما أعرضت عن بعض العقائد وذلك إما لوضوح بطلانها فهي لا تستحق المناقشة والبحث، أو لأنها تدخل تحت أصل عام سبق بحثه ومناقشته. وسأذكر فيما يلي أمثلة لهذه العقائد التي أعرضت عن مناقشتها والتي تظهر أيضاً مدى مبلغ الخرافة في الطريقة التجانية، وسأكتفي بعرضها والتعليق على بعضها بما أراه مناسباً ليتبين للقارئ الكريم حقيقة هذه الطريقة ليسهل عليه الحكم عليها بوضوح وموضوعية.

فمن هذه العقائد:

(أ) «... ومن كلامه رضي الله عنه أن خواص أولياء الله الكبار كمفاتيح الكنوز، والأفراد الأربعة خصهم الله بأمور لم تكن لغيرهم من عامة الأقطاب فضلاً عن الأولياء. منها: أن البيت المعظم وهي الكعبة المشرفة تطوف كل يوم سبعاً بكل واحد منهم وهو في مكانه.

ومنها: تسليم السحاب على كل واحد منهم وكذلك الجراد...» (١)(٢).

(ب) ديوان الصالحين بغار حراء... يجلس الغوث خارج الغار... وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية، وثلاثة أقطاب عن يساره... واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه واسمه سيد محمد بن عبد الكريم البصرياوي... ويحضره بعض الكمل من

(١) الدرة الخريدة ١: ٤٧.

(٢) قلت: «... وهذه من غرائب المعجائب، فالكعبة المشرفة التي يطوف الناس حولها أصبحت تطوف على الأولياء الكبار لما لهم من مقام رفيع...!! ولا شك أن مثل هذا الكلام واضح البطلان، فلو كانت الكعبة تتحرك من مكانها وتخرج إلى المغرب والمشرق لتطوف بالأولياء لما وجدت في مكانها في بعض الأحيان، ثم لو كانت تخرج لأحد لفضله لخرجت للنبي ﷺ - وهو سيد ولد آدم - حين صده المشركون في صلح الحديبية، وتركت المشركين يقرعون سن الندم. قال شارح الطحاوية: «وهؤلاء لهم شبهة بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة﴾ سورة المدثر، آية: ٥٢ (شرح الطحاوية: ٥٧٧) الطبعة الرابعة.

الأموات.... ويتميزون عن الأحياء بثلاثة أمور:

أحدها: أن زيههم لا يتبدل.

الثاني: ألا تنفع معهم مشاورة في أمور الأحياء؛ لأنه لا تصرف لهم فيها.

الثالث: أن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً....^(١) إلخ.

(ج) في التسليم للشيخ «.... أما الاعتراض بالقلب أو باللسان فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ، فإن لم توافق ما عنده من ظواهر العلم وباطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وربّه لا يدريها التلميذ، والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربّه، فإذا خالفت صورته ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق...»^(٢). وقال آخر:

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده

يَظَلَّ من الإنكار في لهب الجمر

فذلّ العقل لا يرضى سواه وإن نأى

عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر^(٣)

(د) الشفاعة التجانية - قال التجاني: «... أعطاني الله تعالى الشفاعة في أهل عصري من حين ولادتي إلى حين مماتي» وعن تلميذه الأكبر علي حرازم قال: «إن الله أعطى الشيخ الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين مماته، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته»^(٤). قلت: والتجاني ولد سنة ١١٥٠ هـ وتوفي سنة ١٢٣٠ هـ فيكون ما بين عامي (١١٥٠ هـ - ١٢٥٠ هـ) هو قرن الشفاعة التجانية.

(هـ) أن المهدي المنتظر أخ لهم في الطريقة^(٥)، ومن غرائب العجائب أن التجانيين يقولون بأن المهدي الموعود في آخر الزمان سيطلب منهم الفاتحة، فقد قال أحد التجانيين

(١) رماح حزب الرحيم: ١: ٢٠١ (بتصرف).

(٢) الدرة الخريدة: ٣/ ١٠٩.

(٣) جواهر المعاني: ١/ ١٥٩، الدرة الخريدة: ١/ ١٣٣.

(٤) رماح حزب الرحيم: ٢: ٢٨، بغية المستفيد: ٢١٩، الدرة الخريدة: ١/ ١٠٣.

(٥) رماح حزب الرحيم: ٢: ٤٣، ٤٤، ٤٦.

للتجاني: إن المهدي إذا ظهر يذبحنا. فقال التجاني: «لا يذبحكم لأنه أخ لكم في الطريقة وإنما يذبح علماء السوء...» وقال: إذا جاء المهدي يطلب من أصحابنا الفاتحة^(١).

(و) أن لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم.. وهي أن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد ﷺ، وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبدالله، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية^(٢).

(ز) أن هناك أرضاً تسمى أرض «السمة»، وتلك الأرض ارتفع من جبلها التليس عن جميع الإشكالات في أي علم كان^(٣).

الثالثة: رتبت الأبواب في القسم الثاني على حسب ترتيب أركان الإيمان.

الرابعة: قسّمت الأبواب إلى فصول والفصول إلى مباحث، وفي كل فصل أو مبحث أناقش عقيدة من عقائد التجانيين متبعاً المنهج التالي:

(أ) ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بهذا المبدأ أو ذاك؛ لأن بعض التجانيين لم يطلعوا على ما كتبه مشايخهم؛ لذا فهم ينكرون كثيراً من الحقائق دون علم، فأحببت أن أذكر في كل معتقد بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك المعتقد من كتب مشايخهم.. وذلك لكي يعلموا - ويعلم غيرهم - أنني لا أقول رجماً بالغيب.

وقد راعيت في نقل هذه النصوص الأمور التالية:

١ - نقلت هذه النصوص من كتب ألفت في فترات متفرقة؛ لأبين أن التجانيين لا زالوا محافظين على أصول أفكارهم وعقائدهم.

٢ - نقلت هذه النصوص من كتب متعددة؛ لأبين أن هذه العقائد ليست شاذة - عندهم - أو قولاً ضعيفاً يقول به بعضهم، بل هي موجودة في كثير من كتبهم، وما ذكرته من نصوص يمثل أمثلة يسيرة لما هو موجود في كتبهم، والقارئ لشيء من كتبهم يرى فيها غرائب العجائب.

٣ - نقلت هذه النصوص من كتب التجانية المعتمدة عندهم والتي يفخرون بقراءتها والرجوع إليها، بل إن غالب ما رجعت إليه هي أمهات كتبهم التي تعتبر مراجع أساسية لفهم الطريق والتعمق فيه.

(١) رماح حزب الرحيم: ٢: ٤٤.

(٢) رماح حزب الرحيم: ٢: ٤٨، ٢: ١٤٥.

(٣) جواهر المعاني: ٢: ٢٥.

٤ - رتبته الكتب التي نقلت منها هذه النصوص حسب الأقدم تأليفاً، فأبدأ بنقل النصوص من جواهر المعاني، ثم من رماح حزب الرحيم، ثم من بغية المستفيد، ثم من الدرة الخريدة... إلا إذا رأيت أن هناك مناسبة تستدعي تقديم نص على آخر قدامته.

٥ - إذا نقلت نصاً من النصوص لإثبات عقيدة معينة فقد يكون ذكر في هذا النص عدة عقائد، ولكنني أناقش في هذا النص المعنى الذي أورده من أجله فقط، معرضاً عن بقية العقائد والأفكار في النص إلا ما رأيت ضرورة داعية إلى بحثه والإشارة إليه.

(ب) الأدلة والمناقشة :

١ - جمعت هذه الأدلة من كتب التجانيين فقط، وقد يكون في الموضوع الواحد أدلة كثيرة غير ما ذكرته، إلا أنني لا أذكر إلا ما أورده التجانيون من أدلة؛ لأنهم المعنيون بالبحث.. هذا إن وجدت لهم شيئاً من الأدلة. فإن لم أجد وكانت دعوى مجردة فإني أكتفي بمناقشة النصوص التي وردت فيها هذه الدعوى.

٢ - بعد ذكر الأدلة ومناقشتها أناقش ما أرى أنه يحتاج إلى مناقشة فيما أورد من النصوص السابقة.

٣ - أثناء هذه المناقشة لم أتعرض للتجاني أو التجانيين بشيء من العبارات الجارحة؛ لأن هدفي هو إيصال الحق إلى الآخرين، وإيضاح الحق لا يكون بالسب والشتائم، وإنما عن طريق المناقشة الهادئة على ضوء الكتاب والسنة، ولأن الدعوة إلى الله لا بد فيها - في بعض المواضع - من استعمال اللين إذا كان أقرب طريق لإيصال الحق، عملاً بقوله تعالى حينما أرسل موسى وهارون إلى فرعون حيث أوصاهما بقوله سبحانه: ﴿فقل لاه قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾^(١) فهذا مع فرعون، فكيف مع المنتسبين لأهل القبلة؟

ثم إن العبارات الجارحة والأساليب الصاخبة ضررها أكثر من نفعها.

(ج) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة:

١ - ذكرت فيه مذهب أهل السنة والجماعة، ثم تعرضت لحكم من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة مؤيداً ذلك - حسب الإمكان - بأقوال العلماء المتبعين لمذهب أهل السنة والجماعة.

(١) سورة طه آية ٤٤.

٢- بينت أن من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة فقد دخل تحت حكم ما اعتقده إن شركاً وإن كفراً وإن معصية وإن غير ذلك.

الخامسة. قمت بتزجيم الآيات وتزجيم الأحاديث والآثار، وعند تزجيم الأحاديث اتبعت المنهج التالي:

(أ) حاولت - ما استطعت - ذكر ما حكم به العلماء عليها إن صحة وإن ضعفاً ما لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

(ب) إذا خرجت الحديث من أكثر من كتاب فإن لفظ الحديث منقول عن أول مذكور في الحاشية ما لم أشير إلى غير ذلك، فأقول بعد ذكر من روى الحديث «واللفظ له».

(ج) إذا خرجت الحديث من أكثر من كتاب فإنني أذكر هذه الكتب مرتبة في الحاشية، فأبدأ بصحيح البخاري ثم صحيح مسلم ثم سنن الترمذي ثم سنن أبي داود ثم سنن النسائي ثم سنن ابن ماجه ثم سنن الدارمي ثم المسند... ثم سائر كتب الحديث.

(د) أشير إلى ما رواه البخاري تعليقاً، فأقول: رواه البخاري تعليقاً أو معلقاً، أما إذا كان الحديث مسنداً فإنني أكتفي بعزوه للبخاري، كما حرصت على نقل الحديث بلفظه كما ورد.

السادسة: ترجمت لمن رأيت أنه يحتاج إلى ترجمة، إما لأهمية قوله أو لكونه عالماً مغموراً أو لكثرة النقل عنه، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة ومن بعدهم.

السابعة: أعلق في الحاشية أحياناً على - ما رأيت - أنه يحتاج إلى تعليق من الألفاظ والمعاني.

الثامنة: فهرست للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصحابة والأعلام والفرق والمراجع والموضوعات.

هذا وقد كانت مصادر ومراجع هذا البحث - وخصوصاً كتب الطريقة التجانية - من أهم المصاعب التي واجهتني في بداية هذا البحث، فقد بحثت في مكتبات الرياض الخاصة والعامة، كما سافرت إلى مكة والمدينة وتجولت في مكتباتهما، وقمت بزيارة بعض العلماء كالشيخ حماد الأنصاري. ولم أحصل إلا على كتاب جواهر المعاني في الرياض، ورسالتين صغيرتين وجدتهما في مكتبة الشيخ محمد مختار الشنقيطي أحد الأساتذة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وقد سافرت إلى مصر والمغرب للتعرف على التجانيين عن كتب وللحصول على بعض

المراجع، فسافرت أولاً إلى القاهرة، وذهبت إلى الزاوية التجانية هناك حيث توجد مكتبة محمد الحافظ التجاني شيخ الطائفة التجانية في مصر، وقد مكثنا ابنه أحمد - مشكوراً - من الاطلاع على ما في المكتبة من كتب التجانية.

واشتريت منها بعض المجلدات من مجلة «طريق الحق» التي أسسها محمد الحافظ، والتي لا تزال تصدر إلى اليوم.

كما تجولت في مكتبات القاهرة التجارية، واشتريت منها مجموعة من كتب ورسائل هذه الطريقة.

ومن القاهرة سافرت إلى المملكة المغربية، وفيها بحثت عن كتب الطريقة التجانية في المكتبات التجارية في كل من الدار البيضاء والرباط ومكناس وفاس.. التي تعتبر من أكبر المدن العلمية في بلاد المغرب، والتي عاش فيها التجاني بقية حياته وفيها توفي ودفن، فقد تجولت في مكتباتها التجارية، ولدي باعة الكتب جوار جامع القرويين، ولدي بعض المهتمين بجمع الكتب والمخطوطات من أهالي فاس، فحصلت على مجموعة كبيرة من كتب هذه الطريقة. كما ذهبت إلى الزاوية التجانية هناك وحاولت الاطلاع على ما في خزائنها من كتب إلا أنهم رفضوا ذلك دون إبداء الأسباب.. ووجدت في بعض كتبهم أن هذه الخزانة لا تفتح إلا على يد المهدي^(١).

وفي مدينة مكناس اتصلت بالدكتور محمد تقي الدين الهلالي - عفا الله عنه - الذي عاش تجانياً حوالي تسع سنوات، ومكثت عنده قراءة أسبوع كان مدار حديثنا حول هذه الطائفة، وقد وجهت إليه عشرين سؤالاً حول هذه الطائفة بلغت أجوبتها ثمانياً وعشرين صفحة موثقة بامضائه.

وقد رجعت في هذه الرسالة إلى أكثر من خمسين مرجعاً ما بين كتاب أو رسالة من كتب الطائفة التجانية، ومن أهمها ما يلي:

- ١ - جواهر المعاني (جزأين في مجلدين).
- ٢ - رماح حزب الرحيم (جزأين في مجلدين مطبوع بهامش الجواهر).
- ٣ - بغية المستفيد (مجلد واحد).

(١) انظر الزاوية التجانية ص ٥٧.

٤ - الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة (أربعة أجزاء في مجلدين^(١)).

وهذه المراجع هي المراجع الأساسية التي اعتمدت عليها في إيراد كثير من النصوص، كما رجعت إلى بقية كتب التجانية والتي لم تخرج عن الخطوط العريضة لهذه الكتب وسأثبتها في قائمة المراجع في آخر هذا البحث، كما سنجد طائفة كبيرة منها مبثوثة في ثنايا هذه الرسالة. وتتميز هذه المراجع بما يلي:

١ - أنها من أمهات كتب الطريق المعتمدة عندهم.

٢ - أنها ألفت في فترات زمنية متفرقة، فجواهر المعاني ورماح حزب الرحيم ألفا في أول نشأة هذه الطريقة، والدرة الخريدة من آخر ما كتب عن هذه الطريقة، وبغية المستفيد كتبت بين هاتين الفترتين.

٣ - أن مؤلفي هذه الكتب يشعرون بالقلق أثناء الكتابة خوفاً من ظهور معتقداتهم الباطلة، ولذا فهم يكثران قول: سلم تسلم. ولا يجوز الاعتراض على الشيخ ولا الانتقاد لأنه باب خطير يؤدي إلى السقوط من عين الله... إلخ، وذلك بعد إيراد كل خرافة أو أمر لا يقبله العقل السليم.

وهذه الظاهرة واضحة لمن قرأ شيئاً من كتبهم.

وهناك مراجع أخرى تناولت الطريقة التجانية بالنقد المباشر وهذه المراجع هي:

١ - مشتهى الخارف الجاني، في رد زلقات التجاني الجاني. تأليف محمد الخضر الشنقيطي.

٢ - الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

٣ - رسالة «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية». تأليف الشيخ عبدالرحمن الإفريقي. كما رجعت إلى كتب ومراجع أخرى، وهي وإن لم تتناول التجانية بالنقد المباشر إلا أنها ترد على أفكار وعقائد التجانية؛ لأنها لم تخرج عن عقائد من تقدمهم من الصوفية إلا في القليل النادر. أما بعد:

فإني أحمد الله وأشكره على ما يسره لي من دراسة هذا الموضوع وإتمامه، مع علمي أنني لم أوف هذا الموضوع ما يستحق من دراسة وتمحيص إذ الكمال لله وحده، وحسبي أنني بذلت جهدي.

(١) وسيأتي الحديث عنها: انظر التعريف بأشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية ص ٨٠-٨٣.

كما لا يسعني إلا أن أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمادة شئون المكتبات فيها وعمادة كلية أصول الدين ومنسوبيها على ما قدموه لي من تسهيلات، كما أشكر كلاً من:

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن القديان.

وفضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.

وفضيلة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

على ما قدموه لي من نصيح وتوجيه، كما أشكر كل من قدم لي خدمة أو توجيهاً من المشايخ والزملاء.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه، وآخر دعوان أن الحمد لله رب العالمين.

قاله وكتبه

علي بن محمد الزخيل الله السويلم

الرياض في ١٠/٥/١٤٠١ هـ

تمهيد في معنى البدعة والتصوف أولاً: البدعة

تعريف البدعة :

١ - معنى البدعة لغة :

قال في اللسان: «بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه» أنشأه وبدأه. وبدع الركبة: استنبطها وأحدثها.. والبدع الذي يكون أولاً. وفي التنزيل: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾^(١) أي: ما كنت أول من أرسل.. قد أرسل قبلي رسل كثير..
وفلان بدع في هذا الأمر، أي أول لم يسبقه أحد.
وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة. قال تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾^(٢).
قال رؤبة:

إن كنت لله التقي الأطوعا فليس وجه الحق أن تبدعا

وبدعه: نسبه إلى البدعة.

والبديع: اسم من أسمائه تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، كما قال سبحانه: ﴿بديع السموات والأرض﴾^(٣) أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق. وأبدعت الإبل: بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال. وأبدعت هي: كلت أو عطبت. وقد لا يكون الإبداع إلا بظلم، يقال: أبدعت به راحلته إذا ظلمت^(٤).

وقال في القاموس: «البدع» بالكسر: الأمر الذي يكون أولاً. وأبدع: أبدأ. والشاعر أتى بالبديع، والراحلة كلت وعطبت أو ظلمت^(٥).

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) الحديد: ٢٧.

(٣) البقرة: ١١٧.

(٤) لسان العرب ٩: ٣٥١، ٣٥٤ ط الأولى.

(٥) القاموس المحيط ٣: ٣، ٤ المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

ومن هذا يتبين أن (بدع) لها معنيان:
أحدهما: في الشيء المخترع على غير مثال سابق.
والثاني: بمعنى التعب والكلال.

إلا أن المعنى الثاني راجع إلى الأول، لأن معنى أبدعت الراحلة: بدأ بها التعب. وقد أشار إلى هذا المعنى ابن منظور في اللسان فقال: «... كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعاً، أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها. ومنه الحديث: «كيف أصنع بما أبدع علي منها»^{(١)(٢)}.

فالبدعة: اسم هيئة من الابتداع، وهي كل شيء أحدث علي غير مثال سابق^(٣).
٢ - البدعة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الاصطلاح، فمنهم من جعلها في مقابل السنة، ومنهم من جعلها عامة تشمل كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ سواء كان محموداً أو مذموماً. وإليك بيان ذلك:

(١) ذهب الشافعي^(٤) والعزبن عبد السلام^(٥) والقرافي^{(٦)(٧)} والغزالي في الإحياء^(٨) وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر^{(٩)(١٠)} والنووي في شرح

(١) لسان العرب ٩: ٣٥٤.

(٢) رواء مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٩: ٧٧، المطبعة المصرية.

(٣) البدعة ص ١٩٣ تأليف د. عزت عطية، نشر دار الكتب الحديثة.

(٤) فتح الباري ١٣: ٢٥٣، ط. السلفية. حلية الأولياء ٩: ١١٣ ط ٢.

(٥) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٦) الاعتصام ١: ١٨٨. ط مطبعة السعادة.

(٧) القرافي: هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس من علماء المالكية وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، له مؤلفات كثيرة منها: أنوار الروق في أنواء الفروق في أربعة أجزاء، والذخيرة في فقه المالكية سنة مجلدات، وشرح تنقيح الفصول في الأصول، ومختصر تنقيح المصنوع وغيرها، توفي سنة ٦٨٤ هـ (الأعلام ١: ٩٠ ط الثالثة).

(٨) إحياء علوم الدين ٢، ٣ ط عيسى الحلبي، تقديم بدوي طبانة.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٦٦، ٦٧ ط المطبعة العثمانية ١٣١١ هـ.

(١٠) ابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ولد سنة ٥٤٤ هـ =

مسلم^(١) إلى أن كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ فهو بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً. وفي ذلك يقول الإمام الشافعي فيما روي عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم»^(٢).

وقال العزيز بن عبد السلام في تعريف البدعة، هي: «فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله ﷺ»^(٣).

وقد اعتمدوا^(٤) في ذلك على ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال في صلاة التراويح: «نعم البدعة هذه»^(٥) فدل هذا على أن البدعة تكون في الأمور الممدوحة كما تكون في الأمور المذمومة.

(ب) وذهب الإمام الشاطبي^{(٦)(٧)} وابن حجر الهيتمي^{(٨)(٩)} وابن رجب

ومن أهم كتبه جامع الأصول في أحاديث الرسول، وكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ وابن الأثير الكاتب، توفي في إحدى قرى الموصل عام ٦٠٦ هـ «الأعلام ٦: ١٥٣ - ط الثالثة».

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦: ١٥٤، ١٥٥ المطبعة المصرية.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٩: ١١٣ - ط الثانية ١٣٨٧ هـ. وذكره ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٢٥٣ ط السلفية.

(٣) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤) ذكر ذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٩: ١١٣، ط ثانية.

(٥) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع شرحه فتح الباري ٤: ٢٥٠ ط. السلفية. ورواه مالك في الموطأ بلفظ: «نعمت البدعة هذه». انظر موطأ مالك المطبوع مع شرح الزرقاني ١: ٢٣٨ مطبعة الاستقامة.

(٦) الاعتصام ١: ٣٧ ط مطبعة السعادة.

(٧) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ كان من أئمة المالكية من كتبه: الموافقات في أصول الفقه أربعة مجلدات، والاعتصام في أصول الفقه ثلاثة مجلدات، وشرح الألفية وغيرها. توفي سنة ٧٩٠ هـ «الأعلام ١: ١٧١».

(٨) الفتاوى الحديثية ٢٨١ ط الحلبي.

(٩) ابن حجر الهيتمي: هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ولد بمصر سنة ٩٠٩ هـ وتلقى العلم في الأزهر وله كتب منها: نعمة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، والفتاوى الحديثية، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي. توفي بمكة سنة ٩٧٤ هـ «الأعلام ١: ٢٢٣».

الحنبلي^(٢٠١) والزركشي^(٤٣٣) إلى أن البدعة لا تطلق إلا على ما خالف السنة.

فقال الإمام الشاطبي في تعريفه البدعة: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة بل يجعلها مقصورة على الأمور التعبدية. كما عرفها بتعريف آخر على رأي من يدخل العادات في معنى البدعة، فقال: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»^(٥). واستدلوا لذلك بأدلة من السنة والأثر. فمن السنة:

١ - ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال. كان رسول الله ﷺ إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين - ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى -» ويقول: «أما بعد، فإن حير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك ما لأفلاهلهم، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فالمني وعلي»^(٦).

٢ - وعن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً أنه كان يقول: «إنما هما اثنتان الكلام والهدي،

(١) جامع العلوم والحكم ٢٣٣ / ٢٣٤ الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ الحلبى.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامى البغدادي ثم الدمشقي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦ هـ. من كتبه: «شرح جامع الترمذي» و«جامع العنوم والحكم» و«فتح الباري شرح صحيح البخاري» لم يتمه. و«ذيل طبقات الحنابلة» وغيرها. توفي في دمشق سنة ٧٩٥ هـ «الأعلام ٤: ٦٧».

(٣) الإبداع في مضار الابتداع (٣١) ط الخامسة مطابع دار الكتاب العربى.

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى شافعى أصولى تركى الأصل، ولد بمصر سنة ٧٤٥ هـ له كتب منها: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» و«البحر المحبب في أصول الفقه» مخطوط في ثلاثة مجلدات. توفي بمصر سنة ٧٩٤ هـ «الأعلام ٦: ٢٨٦».

(٥) الاعتصام للشاطبي ١: ٤٧ مطبعة السعادة

(٦) رواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي ٦: ١٥٣، ١٥٤ المطبعة المصرية، ورواه النسائي في سننه ٣: ١٨٩ المطبعة المصرية. ورواه ابن ماجه في سننه ١: ١٧ مطبعة عيسى البابى الحلبي.

فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة^(١) وكان ابن مسعود يخطب بها كل خميس.

٣- وعن العرياض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة^(٢)».

ومن الآثار:

١- ما ورد عن ابن عباس أنه قال: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن^(٣)».

٢- وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم^(٤)». فكل هذه الأحاديث والآثار تدل على أن البدعة لم ترد في الشرع إلا مذمومة، ومما

(١) رواه ابن ماجه في سننه مرفوعاً إلى النبي ﷺ ١٨: ١ ط عيسى الباني.

(٢) رواه الترمذي في سننه المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ٧: ٤٣٨، ٤٤١ «بنحوه» مطبعة الفجالة الجديدة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». ورواه أبو داود في سننه المطبوع مع شرحه عون المعبود ١٢: ٣٥٨، ٣٦٠ «واللفظ له» مطابع المجد. ورواه ابن ماجه في سننه ١: ١٥، ١٦ ط الحلبي. ورواه الدارمي في سننه ١: ٤٣، ٤٤ شركة الطباعة الفنية المتحدة. ورواه أحمد في المسند ٤: ١٢٦، ١٢٧ المكتب الإسلامي، دار صادر.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون» مجمع الزوائد ١: ١٨٨ ط الثانية. وذكره الشاطبي في الاعتصام عن ابن وضاح، الاعتصام ١: ١٨٨ مطبعة السعادة.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ١: ١٨١، ط الثانية وذكره الشاطبي في الاعتصام وقال: أخرجه ابن وضاح، الاعتصام ١: ٨٩.

يستأنس به في هذا المقام أن المبتدع لا يستعمل غالباً إلا في الذم^(١).

وما استدل به أهل القول الأول من قول عمر: «نعم البدعة هذه»^(٢)، فالمراد به أنها بدعة في اللغة حيث لم تحدث من قبل وإلا فهي على التحقيق سنة^(٣)، لقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٤).

ولأن النبي ﷺ فعلها ثم تركها مخافة أن تفرض على الأمة، فلما توفي ﷺ وانقطع وقت التشريع أحياها عمر رضي الله عنه. والراجح هو القول الثاني؛ لقوة أدلته وسلامته من المناقشة، ولأن مستند القول الأول أثر عن عمر ولورود المناقشة عليه وعدم دفعها.

أقسام البدعة

قسم العلماء البدعة إلى أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة، فمنهم من قسمها إلى حقيقية وإضافية، ومنهم من قسمها إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، ومنهم من قسمها إلى عملية واعتقادية، ومنهم من قسمها إلى تركية وفعلية، ومنهم من قسمها إلى عبادية وعادية، ومنهم من قسمها باعتبار الزمان أو المكان كالبدع الرمضانية وبدع المسجد الحرام^(٥) وغير ذلك.

ولما كانت الأوراد التجانية مما يدخل تحت قسم البدع الإضافية، والعقائد التجانية مما يدخل تحت قسم البدع الاعتقادية، فإننا سنكتفي بالإشارة إلى هذين التقسيمين.

الأول: تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية :

ذهب الإمام الشاطبي إلى تقسيم البدعة إلى قسمين: حقيقية وإضافية.

(أ) الحقيقية : هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٦٧.

(٢) سبق تخريجه ص ١٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٦٧.

(٤) سبق تخريجه ص ٢١.

(٥) الاعتصام ١: ٢٨٦. الإبداع في مضار الابتداع ٢٧-٤٥ الطبعة الخامسة. البدعة: ٣٠٣-٣٥٩ مطبعة المدني، نشر دار الكتب الحديثة.

ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لافي الجملة ولا في التفصيل^(١).

ومن أمثلتها: تحريم الحلال وتحليل الحرام استناداً إلى شبهة واهية، ومنها اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان كصلاة الظهر بركوعين في كل ركعة مثلاً أو بغير طهارة.

(ب) والإضافية ما لها شائتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، أي أنها بالنسبة لإحدى الجهتين سنة؛ لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو لأنها غير مستندة إلى شيء.

وسميت إضافية؛ لأنها لم تتخلص لأحد الطرفين (المخالفة الصريحة أو الموافقة الصريحة)^(٢).

ثم قال: «والفرق بينهما من جهة المعنى أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبديات لافي العاديات المحضة^(٣)».

مثال ذلك:

«أن يقال: إن الصوم في الجملة مندوب إليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ما عدا ما نهى عن صيامه كالعبدین، أو ندب إليه كيوم عاشوراء. فإذا خص يوماً بعينه أو أياماً بأعيانها لا من جهة ما خصه الشارع ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها دون غيرها، فصار التخصيص من المكلف بدعة إذ هي تشريع بغير مستند^(٤)».

ومثل ذلك تخصيص اليوم الفلاني بكذا من الركعات، وتخصيص التجانية عصر الجمعة بذكر لا إله إلا الله جماعة ما يزيد على ألف مرة، وكقيام ليلة معينة دون غيرها؛ فإن ذلك التخصيص بدعة.

قال الشاطبي: «ومن نوادرها التي لا ينبغي أن تغفل... ما جرى به عمل جملة ممن ينتمي

(١) الاعتصام للشاطبي ١: ٢٨٦.

(٢) الاعتصام ١: ٢٨٦.

(٣) الاعتصام ٢: ٢٨٧.

(٤) الاعتصام ٢: ١٣ بتصرف.

إلى طريقة الصوفية من تربصهم ببعض العبادات أوقاتاً مخصوصة غير ما وقته الشارع فيها، فيضعون نوعاً من العبادات المشروعة في زمن من الربيع ونوعاً آخر في زمن الصيف ونوعاً آخر في زمن الخريف ونوعاً آخر في زمن الشتاء، وربما وضعوا لأنواع من العبادات لباساً مخصوصاً، وأشباه ذلك من الأوضاع الفلسفية يضعونها شرعية، أي متقرباً بها إلى الحضرة الإلهية في زعمهم، وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية كأهل التصريف بالأذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفع المنزلة... إلخ^(١).

قلت: ومن ذلك تخصيص التجانية الورد المعروف بجوهرة الكمال أنه لا يقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية، ومن ذلك نشر الإزار عند الذكر، وغيرهما.

الثاني: تقسيم البدعة إلى عملية واعتقادية:

(أ) فالعملية: أن تكون في عمل من أعمال الجوارح، كالبدع في الصلاة والصيام وغيرها.

(ب) والاعتقادية: أن تكون في أمر من الأمور الاعتقادية، كاعتقاد المجسمة والقدرية^(٢)، وكاعتقاد بعض التجانيين وحدة الوجود، أو أن أحداً من المشايخ يتصرف في الكون نيابة عن الله عز وجل وغير ذلك.

أسباب الابتداع

للابتداع أسباب متعددة ولعل من أهم الأسباب ما يلي:

- ١ - اتخاذ الناس رؤساء جهالاً يقومون بالفتوى والتعليم ويقولون في الدين بغير علم.
- ٢ - فهم الشيء على غير معناه، وذلك نتيجة للجهل بأساليب اللغة العربية أو عدم معرفة الناسخ من المنسوخ أو غير ذلك.
- ٣ - الجهل بالسنة النبوية المطهرة وعلم مصطلح الحديث، بحيث لا يميز بين الصحيح والضعيف.
- ٤ - اتباع المتشابه من الآيات والأحاديث ﴿وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه﴾

(١) الاعتصام: ٢: ١٩

(٢) الإبداع: ٢٩ ط الخامسة

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله^(١) ﴿٤﴾.

٥ - اعتقاد العصمة في الأئمة المجتهدين، أو إعطاء الشيوخ من القداسة ما يقارب منازل الأنبياء إن لم يكن أكثر^(٢).

أسباب انتشار البدع

من أهم أسباب انتشار البدع ما يأتي:

١ - جهل الناس بحقيقة دينهم وبعدهم عن سنة نبيهم ﷺ، مما يجعلهم لا يفرقون بين السنة والبدعة.

٢ - عمل العالم بالبدعة، وتقليد الناس له؛ لاعتقادهم أنه لا يفعل إلا ما كان سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

٣ - سكوت العلماء عن بيان البدع وتحذير الناس منها رغبة أو رهبة.

٤ - تبني الحكام للبدع ومساعدتهم لأصحابها بالمال والنفوذ، ولقد أنشئ في بعض ورايات الأوقاف في العالم الإسلامي قسم باسم: «قسم حماية التصوف»، كما أن الاستعمار يشجع أصحاب البدع من أهل الطرق لتقف سداً منيعاً أمام الإسلام الصحيح^(٣). هذا في عصرنا الحاضر، وفي الماضي كان الخليفة المأمون - عفا الله عنه - وراء انتشار القول بخلق القرآن.

٥ - موافقة البدع لأهواء الناس ورغباتهم^(٤).

حكم البدعة

يختلف حكم البدعة باختلاف تقسيمها، فمن قال بتقسيمها إلى خمسة أقسام بحسب

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الاعتصام ١: ٢٣١، ٢٥٨.

(٣) انظر تاريخ التجانية في الجزائر من هذا البحث ص ٦٤-٦٩.

(٤) البدعة: ٣٠٢.

الأحكام التكليفية كالعز بن عبد السلام^(١) والقرافي وغيرهما، فإن حكمها واضح، فما كان من البدع الواجبة فواجب، وما كان من البدع المحرمة فمحرم، وما كان من البدع المكروهة فمكروه.. وهكذا.

ومن قال: إن البدع كلها مذمومة، وهو القول الراجح من أقوال العلماء كالشاطبي وغيره، فإنهم قالوا بأن البدع كلها حرام ولكنها تتفاوت في التحريم.

١ - فمنها ما هو كفر متفق عليه، كبدعة المنافقين في اتخاذ الدين ذريعة لحفظ المال والنفس، وبدع الجاهليين التي نبه عليها القرآن: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾^(٢).

٢ - ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج والقدرية.

٣ - ومنها ما هو معصية، كبدعة التبتل والخصاء بقصد التخلص من شهوة الجماع.

٤ - ومنها ما هو مكروه كراهة تحريم، كالاجتماع للدعاء عشية عرفة في غير عرفة، وكذكر الأمراء في خطبة الجمعة وما أشبه ذلك^(٣).

أما حكم البدعة بمعنى العقوبة المترتبة عليها فيختلف بحسب البدعة، فتارة يكون بالقتل، وتارة بما دونه كما نقل ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤).

وقال الإمام الشافعي في أهل الكلام من أصحاب البدع: «رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويجلسوا على الجمال ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادي عليهم.. هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام»^(٥).

(١) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) الأنعام: ١٣٦.

(٣) الاعتصام ٢: ٣٦، ٣٧.

(٤) الإبداع: ٦٥.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ٩: ١١٦ ط الثانية.

ثانياً : التصوف نشأة التصوف

اختلف العلماء في تاريخ نشأة التصوف:
فقال أبو نصر السراج: إن أول نشأته كانت في الجاهلية قبل الإسلام^(١).
وقال ابن خلدون: إن نشأته كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف
أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية^(٢).
وذهب الإمام ابن الجوزي إلى أن نشأة التصوف كانت قبل سنة مائتين^(٣)، أي في أواخر
القرن الثاني.
وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني^(٤)، وأنه
لم يكن مشهوراً إلا بعد القرن الثالث^(٥).
وقال: «إن أول ما ظهرت في البصرة، وأول من بنى ديرة الصوفية بعض أصحاب
عبد الواحد بن يزيد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة
والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية»^(٦).
كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد نقل التكلم بالتصوف عن الحسن البصري
المتوفى سنة (١١٠ هـ)، وعن سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ^(٧)، ولعل هذا هو الأقرب
والله أعلم.
وكان التصوف في بداية أمره عبارة عن الزهد في الدنيا والتفرغ للعبادة ومجاهدة النفس
وحملها على الأخلاق الجميلة، فهم مجتهدون في طاعة الله قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً

(١) اللمع لأبي نصر السراج: ٤٢، ٤٣ دار الكتب الحديثة.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٤٦٧

(٣) تلييس إبليس: ١٦٣.

(٤) مجموع الفتاوى: ٦: ١١، ٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٥: ١١.

(٦) مجموع الفتاوى ٦: ١١، ٧.

(٧) مجموع الفتاوى ٥: ١١.

رأيه في متقدمي الصوفية: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطيء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه من الطريق مثل الجنيد بن محمد... (١)».

ثم جاء أقوام بعد هؤلاء فتكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات، وصنفوا لهم في ذلك كتباً مثل الحارث المحاسبي (٢).

ثم جاء آخرون فميزوه بصفات كلبس المرقعة والسماع والوجد والتصفيق، ثم مازالوا كذلك حتى سموه علم الباطن وعلم الشريعة وعلم الظاهر. ثم تفرقوا بعد ذلك فمنهم من أدى به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادّعى عشق الحق والهيمان فيه، ومنهم من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد.. وهؤلاء مترددون بين الكفر والبدعة (٣).

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام اختلفت مشاربهم، فمنهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول وهو الزهد والعبادة والانقطاع عن الدنيا، ومنهم أخذه حركات ومظاهر فمارس كثيراً من البدع والمنكرات المخالفة لشريعة الله، ومنهم من أخذ عقيدة الحلول أو الاتحاد فخرج عن دين الله من حيث يظن أنه بلغ الغاية فيه.

وبهذا يتبين أن خط الانحراف انطلق من زاوية ضيقة، ثم بدأ بالانتساع حتى وصل إلى ما وصلت إليه الصوفية من القول بالحلول والاتحاد. فقد كان الصوفية الأول يطلقون ألفاظاً مثل الحال والوقت والمقام والفناء ويريدون بها معاني صحيحة (٤)، ثم جاء من بعدهم فزادوا في معانيها، ثم من بعدهم حتى فسروها بمعان تخرج عن دين الله، وهكذا كل انحراف فلانه يبدأ ضيقاً محدوداً ثم لا يزال يتسع حتى يصل بأصحابه إلى طرق مهلكة.

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

(١) مجموع الفتاوى ١١: ١٨.

(٢) الحارث المحاسبي: هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي. من أهم كتبه «الرعاية لحقوق الله» وغيره، وهو بصري مات ببغداد سنة ٣٤٣ هـ «طبقات الصوفية: ٥٨».

(٣) تليس إبليس ١٦٣، ١٦٥. (٤) كشف المحجوب ٢: ٤٨٢.

تعريف التصوف

١ - تعريفه لغة :

قال الجوهري في الصحاح: «الصوف للشاة والصوفة أخص منه.. و«صوفة» أبوحي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم. ومنه قول الشاعر:

حتى يقال: أجزوا آل صوفانا

وكبش صاف: أي كثير الصوف، وصاف السهم عن الهدف بصوف ويصيف عدل منه، ومنه قولهم: صاف عني شرفلان، وأصاف الله عني شره^(١) اهـ.

ومن هذا النص يتبين أن كلمة صوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها كما تأتي بمعنى مال وعدل. ويرى أحمد بن فارس أن الباب كله يرجع إلى الصوف المعروف، وأن صاف السهم عن الهدف بمعنى مال من باب الإبدال، وفي ذلك يقول: «الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا يكون في كثير الصوف، ويقولون: أخذ بصوفة ففاه إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته..»

فأما قولهم: «صاف عن الشر إذا عدل فهو من باب الإبدال، يقال: صاف إذا مال^(٢)». وذهب أحمد بن علي المقرئ^(٣) في المصباح المنير^(٤) إلى أن كلمة (صوفية) كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية، وإلى هذا ذهب القشيري^(٥) من الصوفية في الرسالة^(٦) وقال: «والأظهر أنها كاللقب».

(١) الصحاح للجوهري ٤: ١٣٨٨، ١٣٨٩ مطابع دار الكتاب العربي. وانظر أيضاً: لسان العرب ١١: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٢٢.

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي المقرئ، من أهم مؤلفاته «المصباح المنير» ونثر الجمان في تراجم الأعيان» ولد ونشأ بالقيوم بمصر ورحل إلى حماة بسوريا، توفي سنة ٧٧٠ تقريباً، الأعلام ١: ٢١٦.

(٤) المصباح المنير ١: ١٦١ المطبعة العثمانية.

(٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، وُلِدَ سنة ٣٧٦ هـ. من أهم كتبه: «الرسالة القشيرية» و«التفسير الكبير» و«لطائف الإشارات» مخطوط وغيرها، توفي سنة ٤٦٥ هـ الأعلام ٤: ١٨٠.

(٦) الرسالة القشيرية ٢: ٥٥٠ تحقيق/ عبد الحليم محمود.

ومال ابن خلدون في المقدمة إلى أنه إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف؛ لأنهم في الغالب مختصون بلبسه^(١).

٢- تعريف التصوف اصطلاحاً :

عرف المتقدمون من الصوفية التصوف بتعاريف كثيرة غالبها يدور حول تجريد العمل لله والزهد في الدنيا وترك الشهرة والميل إلى التواضع والخمول، فقد قال الجنيد^(٢) رحمه الله وقد سئل عن التصوف: «أن تكون مع الله بلا علاقة»^(٣) وسئل عنه مرة أخرى فقال: هو «أن يميّتك الحق عنك ويحييك به»^(٤) وزاده إيضاحاً حينما قال: «التصوف مبني على ثمان خصال: السخاء والرضى والصبر والإشارة والغربة وليس الصوف والسياسة والفقر»^(٥). وبهذا المعنى قال كثير من متقدمي الصوفية كأبي محمد الجريدي^(٦) وعمرو بن عثمان المكي^(٨) ورويم بن أحمد^(٩) وأبو الحسن علي بن إبراهيم

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ الطبعة الرابعة.

(٢) هو أسو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، وسمي بذلك لأن أباه كان يبيع الزجاج، أصده من نهاوند ومولده ومنشأه في العراق وكان فقيهاً وهو من معتدلي الصوفية، توفي سنة ٢٩٧ هـ. «طبقات الصوفية ١٥٥، ١٧٥٦».

(٣) عوارف المعارف ١/ ٢٠٢، مطبعة السعادة.

(٤) الرسالة القشيرية ٢: ٥٥١، عوارف المعارف ١/ ٢٠٥.

(٥) كشف المحجوب ١/ ٢٣٥.

(٦) فقد سئل عن التصوف فقال: «الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني» (الرسالة القشيرية ٢: ٥٥١) (عوارف المعارف ١: ٢٠٣).

(٧) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين، قيل: اسمه الحسن بن محمد، وكان من كبار أصحاب الجنيد، مات ببغداد سنة ٣١١ هـ «طبقات الصوفية ٢٥٩».

(٨) فقد سئل عن التصوف فقال: «أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت»، الرسالة القشيرية ٢: ٥٥٢، عوارف المعارف ١/ ٢٠٦.

(٩) هو عمرو بن عثمان بن كروب بن غصص وكنيته أبو عبدالله، وهو عالم بالأصول من أهل مكة وله مصنفات في التصوف، مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ، «طبقات الصوفية ٢٠٠، ٢٠١، الأعلام ٥/ ٢٥٢».

(١٠) فقد سئل عن التصوف فقال: «استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد» الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٢.

(١١) هو رويم بن أحمد بن يزيد وكنيته أبو محمد، وهو من أهل بغداد وهو فقيه على مذهب داود الظاهري وكان مقرئاً مات سنة ٣٠٣ هـ «طبقات الصوفية ١٨٠».

والحق أن هذا التعريف للتصوف ينطبق عليه في عهده الأول قبل أن تدخل عليه كثير من التحريفات والبدع والمنكرات.

ولقد مر التصوف - كما سبق أن بينا (٣) - بعدة مراحل، فقد كان في أوله زهداً في الدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عز وجل، ثم صار حركات ومظاهر حالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحاداً وخروجاً عن دين الله، وهذا ما عبر عنه الواسطي (٤) أحد كبار الصوفية حين قال: «كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات» (٥).

والمتصوفة في العصور المتأخرة منهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول وهو الزهد والعبادة، ومنهم من أخذه حركات ومظاهر لا روح فيها ولا حياة، ومنهم من أخذه عقيدة الحلول والاتحاد فخرج بذلك عن دين الله. ولذا قال أحد المتصوفة: «التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة وهم متفاوتون في معانيهم وأحوالهم» (٦).

من هذا يتبين أن تعريف التصوف يختلف باختلاف العصور التاريخية التي مربها. والله أعلم.

(١) فقد قال الحصري في تعريف التصوف: «التصوف صفاء السريرة عن كدورة المخالفة» (كشف المحجوب ١: ٢٣٤).

(٢) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري، بصري الأصل سكن بغداد وقد صاحب أبا بكر الشبلي، مات ببغداد سنة ٣٧١هـ «طبقات الصوفية ٤٨٩».

(٣) انظر ص ٢٧ - ٢٨.

(٤) هو محمد بن موسى الواسطي وكنيته أبو بكر، وأصله من (فرغانة) «كورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان» وكان يعرف بابن الفرغاني، وهو من أصحاب الجنيد وكان عالماً بالأصول، دخل خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها سنة ٣٢٠هـ «طبقات الصوفية ٣٠٢».

(٥) الرسالة القشيرية ٥٥٥: ٢.

(٦) اللمع لأبي نصر السراج ٤٧ تحقيق عبدالحليم محمود.

لماذا سموا بالصوفية

اختلف العلماء في المعنى الذي نسب إليه الصوفية على أقوال نذكرها فيما يأتي:
ف قيل: إنهم منسوبون إلى رجل يقال له: «صوفة» واسمه الغوث ابن مر بن أذ بن طابخة ابن إلياس بن مضر، كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام فانتسبوا إليه لمشابھتهم إياه فسموا الصوفية^(١).

ومال ابن الجوزي إلى صحة هذه النسبة^(٢) وضعفها ابن تيمية لعدة أسباب:
أن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين.

ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان النسب في زمن الصحابة والتابعين أولى، كما أن الغالب أن من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة كما لا يرضى أن يكون منسوباً إلى قبيلة في الجاهلية^(٣).

وذهب قوم إلى أنهم منسوبون إلى الصوف وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) والسهورودي^(٥) وابن خلدون^(٦) من المتقدمين^(٧) واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها:

(أ) أنه لباس الأنبياء: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لقد سلك فج الروحاء»^(٨) سبعون نبياً حجاجاً عليهم ثياب الصوف، ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون

(١) تلبس إبليس ١٦١ دار الكتب العلمية، لسان العرب ١١/١٠٢، طبعة بولاق ط الأولى.

(٢) تلبس إبليس ١٦٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٦، ٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/٦، ٧.

(٥) هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي السهورودي، ولد سنة ٤٩٠ هـ بسهرورد، من فقهاء الشافعية ومن كبار الصوفية، من أهم كتبه: «آداب المريدين» و«شرح الأسماء الحسنى»، توفي ببغداد سنة ٥٦٣ هـ «الأعلام ٤/ ١١٧٤».

(٦) عوارف المعارف ١/ ٢١١ مطبعة السعادة.

(٧) مقدمة ابن خلدون ٤٦٨ ط الرابعة.

(٨) كما رجحه زكي مبارك من المتأخرين، التصوف الإسلامي ١/ ٤٢ دار الجيل.

(٩) الروحاء: اسم بلد، والروحاء منزل بين مكة والمدينة.

نبياً^(١).

(ب) أنه لباس الصحابة والتابعين، فمن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: «يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي ﷺ وأصابتنا السماء لحسبت أن ريحنا ريح الضأن^(٢)».

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «والله لقد أدركت سبعين بدياً أكثر لباسهم الصوف»^(٣).

(ج) أنه لباس الصوفية المتقدمين، فقد حدث اليافعي^(٤) أن لباس الصوف كان غالباً على المتقدمين من الصوفية وذلك لأنه أقرب إلى الخمول والتواضع^(٥).

(د) أن لبس الصوف علامة الذل والتواضع، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس الحمداني يخاطب سيف الدولة:

يا واسع الدار كيف توسعها ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبذلها^(٦)

(هـ) أن الصوفية كانوا يعرفون نسبهم إلى الصوف، فقد دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي^(٨) على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٩٨/٢، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية

(٢) رواه الترمذي في جامعه المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ١٨٣.٧ وقال: «وهذا حديث صحيح» ومعنى هذا الحديث أنه كان ثيابهم الصوف، فكان إذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريح الضأن، قاله الترمذي، ورواه أبو داود في سننه المطبوع مع شرحه عون المعبود ١١/٧٧، ٧٨، وأخرجه أحمد في المسند ٤/٤٠٧، ٤١٩، ورواه أبو نعيم في الحلية ١/٢٥٩، ط الثانية.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/١٣٤.

(٤) وكون نبيا محمد ﷺ والأنبياء لسوا الصوف لا يدل على أفضليته على غيره من الألبسة بل عاية ما فيه الدلالة على أنه أمر مباح لا محظور في لبسه. مجموع الفتاوى ١١/٦، تلييس إيليس ١٩٨.

(٥) هو عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، ولد سنة ٦٩٨ هـ في عدن ونشأ فيها، مؤرخ باحث متصوف شافعي المذهب، من كتبه: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وله: الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، وغيرها. توفي بمكة سنة ٧٦٨ هـ «الأعلام ٤/١٩٨».

(٦) التصوف الإسلامي ١/٤٣.

(٧) ديوان أبي فراس ٢٤٣ دار صادر بيروت.

(٨) معروف الكرخي: هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من كبار المتصوفة المتقدمين كان من موالى الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ولابن الجوزي كتاب في أخباره وآدابه، توفي ببغداد سنة ٢٠٠ هـ، طبقات الصوفية ٨٣، ٨٥، الأعلام ٨/١٨٥.

صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهي على القوهي (٢٨١).

وقال النضر بن شمير (٣) لبعض الصوفية: «تبيع جبتك الصوف؟ فقال: إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد» (٤)؟

وقيل: إنهم منسوبون إلى أهل الصفة؛ لما بينهم وبين الصوفية من التشابه في الانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة، وهذه النسبة غير مستقيمة من جهة اللغة فإنهم لونسبوا إلى أهل الصفة لقيل: صُفِّي (٥).

وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، وهذا أيضاً غير مستقيم من جهة اللغة فإنهم لونسبوا إلى الصف لقيل: صُفِّي (٦).

وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهذا غير سليم بمقتضى اللغة لأن النسبة إليها على «صفوي» (٧).

وقيل: نسبة إلى الصفاء، إلا أن نسبة الصوفي إلى الصفاء من جهة اللغة بعيد (٨).

وفي ذلك يقول أبو الفتح البستي (٩):

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

(١) القوهي: الثياب البيض، لسان العرب ١٧/٤٢٩.

(٢) تليس إبليس ١٩٨.

(٣) هو أبو الحسن النضر بن شمير بن حرشة بن يزيد المازني التميمي، ولد سنة ١٢٢ هـ بمرو من خراسان وأصله من البصرة، عالم بأيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، له كتاب «الصفات» وكتاب: «المعاني في غريب الحديث» توفي سنة ٢٠٣ هـ «الأعلام ٨/٣٥٧، ٣٥٨».

(٤) تليس إبليس ١٨٢.

(٥) مجموع الفتاوى ٦/١١، تليس إبليس ١٧٢، الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٦/١١، الرسالة القشيرية ٢/٥٥١.

(٧) مجموع الفتاوى ٦/١١.

(٨) الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠.

(٩) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي أبو الفتوح، ولد في «بست» قرب سجستان وإليها نسب، له ديوان شعر وهو صاحب القصيدة المعروفة: «زيادة المرء في دنياه نقصان» توفي ببلدة «أوزجند» ببخارى سنة ٤٠٠ هـ «الأعلام ٥/١٤٤».

وقيل: نسبة إلى الصوفانة^(١)، وذلك لاكتفائهم بالقليل من الطعام ولو من نبات الصحراء، وهذا غير سليم بمقتضى اللغة؛ لأنه لو نسب إليها لقليل: صوفاني لا صوفي^(٢).

وقيل: إنهم منسوبون إلى صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في مؤخرة الرأس، كأن الصوفي انصرف عن الخلق إلى الحق^(٣).

وذهب البيروني^(٤) إلى أنهم منسوبون إلى «السوفية» الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسموا باسمهم^(٥)، وقد رد هذا القول زكي مبارك في كتابه: التصوف الإسلامي^(٦).

بعد هذا العرض الموجز فالذي نميل إليه أنهم سمو بالصوفية نسبة إلى اللبسة الظاهرة وهي الصوف غالباً، وليس طريقهم مقيداً بلبس الصوف بل كانوا يستحبون لبسه ولا زال بعض الصوفية اليوم يلبسونه، وذلك لما سبق^(٧) من أدلة ولأنه موافق للغة، ولأن بقية المعاني لا تخلو من مقال كما سبق بيان ذلك^(٨).

(١) والصوفانة «بقلة زغباء قصيرة» لسان العرب ١١/١٠٢، ط الأولى.

(٢) تليس إبليس ١٦٣.

(٣) تليس إبليس ١٦٣.

(٤) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢ هـ فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم أقام في الهند مدة، له مصنفات منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ومنها: التفهيم لصناعة التنجيم، ومنها: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، توفي سنة ٤٤٠ هـ الأعلام ٢٠٥/٦

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ٢٤، ٢٥ طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية.

(٦) التصوف الإسلامي ١/٥٢.

(٧) انظر: ص ٣٢.

(٨) انظر ص ٣٤.

أقسام الصوفية

اختلف المتقدمون من العلماء في تقسيم الصوفية، فقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية والهجويري^(١) إلى ثلاثة أقسام بينما قسمهم الرازي إلى ستة أقسام. وفيما يلي تقسيم كل منهم على حدة:

أقسام الصوفية عند ابن تيمية :

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي:

الأول: صوفية الحقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

الثاني: صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف ويشترط في هؤلاء ثلاثة شروط:

(أ) العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

(ب) التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية أما الآداب البدعية فلا يلتفت إليها.

(ج) ألا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا.

الثالث: صوفية الرسم: وهم المقتصرون على المظاهر كاللباس والوقار ونحوها وليس لهم

رصيد من العمل، فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم^(٢).

أقسام الصوفية عند الهجويري :

يقسم الهجويري الصوفية إلى ثلاثة أقسام ويقول: إن منهم:

الأول: الصوفي: وهو المتفرغ لعبادة الله المتجه إليه المتجرد عن العلائق الدنيوية.

الثاني: ومنهم المتصوف: وهو الذي يجاهد نفسه ويقومها للوصول إلى الدرجة السابقة.

الثالث: ومنهم المستصوف: وهو من تشبه بهم من أجل المنزلة والجاه والمال ولا رصيده

من العمل المخلص حتى قيل فيه: «المستصوف عند الصوفية كالذئب» وعند غيرهم

كالذئب^(٣).

(١) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي وكنيته أبو الحسن، ولد فيما بين العقد

التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري، من أهم مؤلفاته «الديوان» و«كشف المحجوب» و«ثواب

الأخبار» و«كشف الأسرار» توفي بـ ٤٥٦ هـ تقريباً. مقدمة كشف المحجوب ٤٥، ٤٨، ٤٩

بقلم الدكتورة سعاد عبد الهادي قنديل.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/١١، ٢٠ بتصرف.

(٣) كشف المحجوب ١/٢٣١.

أقسام الصوفية عند الفخر الرازي^(١):

يقسمهم الرازي إلى ست فرق نوجزها فيما يلي:

الأولى: أصحاب العادات: وهم الذين يهتمون بتزيين الظاهر كلبس الخرقه وتسوية السجادة.

الثانية: أصحاب العبادات: وهم المتفرغون للعبادة المنقطعون عن الدنيا.

الثالثة: أصحاب الحقيقة: وهم الذين إذا فرغوا من الفرائض لم يشتغلوا بشواغل العبادات، بل في التفكير في ملكوت الله وتجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر الله، فهم يحرصون ألا يخلو بهم عن ذكر الله.

الرابعة: النورية: وهم يقولون إن الحجاب حجابان نوري وناري، أما النوري فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة، وأما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل.

الخامسة: الحلولية: وهم قوم يزعمون أن قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب.

السادسة: المباحية: وهم قوم يدعون محبة الله ويخالفون شريعته، ويقولون: إن الحبيب رفع عنا التكليف وهؤلاء شر الطوائف^(٢).

وهذه الأقسام التي أشار إليها هؤلاء الأعلام لا تختص بزمان معين بل يوجد في كل عصر لكل قسم منها أتباع ومريدون

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله الإمام المفسر، ولد سنة ٥٤٤ هـ في

الري وأصله من طبرستان، من كتبه: كتاب «مفاتيح الغيب» في التفسير، و«معالم أصول الدين»

و«المحصل في علم الأصول» وغيرها، توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ، الأعلام ٧/ ٢٠٣.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للفخر الرازي ١١٥، ١١٧ شركة الطباعة الفنية المتحدة.

طرق الصوفية

تحدّثنا في المبحث السابق عن أقسام الصوفية، ونريد بالقسم المعنى الذي يشمل عدة طرق، ونريد بالطريق ما يضعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضاع يلتزمون بها ويختصون بها دون غيرهم.

فعلى هذا فالقسم الواحد قد يدخل تحته مجموعة من الطرق تتفق في المعنى العام وتختلف في بعض المظاهر والأوضاع والمعاني. فمثلاً الطريقة المحاسبية، والطريقة الجنيدية، من القسم الذي يسميه شيخ الإسلام ابن تيمية صوفية الحقائق، ولكن تختلف الأولى عن الثانية بأن الأولى تقوم على الرضا والثانية تقوم على الصحو.

ويعتبر الهجويري المتوفى سنة (٤٦٥هـ) أول من كتب عن طرق الصوفية - فيما علمت - وقد قسمهم إلى اثنتي عشرة فرقة، منها عشر مقبولة - كما يقول - واثنتان مردودتان ذكرهما تحت اسم «الحلولية»^(١). وقد ذكر الشيخ أبو علي حسن بن علي العجيمي الحنفي^(٢) طرق الصوفية فعد منها أربعين طريقاً في رسالة له، وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي^(٣) في رحلته^(٤)، وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك.

والحق أن الطرق الصوفية كثيرة جداً بحيث يصعب حصرها، إذ كل من عن له أن يبتدع طريقاً فعل وسماها باسمه أو اسم قبيلته أو عشيرته، وهذا مشاهد بكثرة في إفريقيا وغيرها، إذ بين كل فترة وأخرى تخرج طريقة جديدة تحمل اسماً جديداً ولها أوضاع معينة وأوراد مقررة، وستحدث فيما يلي عن بعض هذه الطرق بشكل موجز ونكتفي بعرض أسماء بعض الطرق الأخرى:

* الطريقة الجنيدية:

وتنسب إلى أبي القاسم الجنيد بن محمد رضي الله عنه^(٥)، وطريقته مبنية على الصحو.

(١) كشف المحجوب ٢/ ٤٠٣

(٢) هو الحسن بن علي بن يحيى أبو البقاء العجيمي، ولد بمكة سنة ١٠٤٩هـ من تصانيفه: خبايا الزوايا، وإهداء اللطائف من أخبار الطائف، وحاشية على الأشباه والنظائر، وغيرها. توفي بالطائف سنة ١١١٣هـ الأعلام ٢/ ٢٢٣

(٣) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم من أهل المغرب من أهل فاس، ولد سنة ١٠٣٧هـ له مؤلفات منها: «الرحلة العياشية»، و«إظهار المنة على المبشرين بالجنة»، و«تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدار الفانية»، توفي سنة ١٠٩٠هـ الأعلام ٤: ٢٧٣.

(٤) بغية المستفيد شرح منية المريد ٧٢. (٥) سبق ذكر ترجمته.

ويعرف الجنيد الصحوباً أنه عبارة عن صحة حال العبد مع الحق، وطريقته من أشهر الطرق في القديم^(١).

* الطريقة المحاسبية :

وتنسب إلى أبي عبدالله الحارث المحاسبي^(٢)، وهي تقوم على تجريد التوحيد بصحة لمعملة الظاهرة والباطنة، وعلى أن الرضا من جملة الأحوال التي يمن الله بها على عباده، والرضا عندهم نوعان:

رضا الله عن العبد، وحقيقته عندهم إرادة الثواب والنعمة والكرامة للعبد.
ورضا العبد عن الله، وحقيقته استواء القلب على طرفي القضاء والمنع والعطاء^{(٣)(٤)}.

* الطريقة القصارية :

وتنسب إلى أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار^(٥)، وتسمى «الحمدونية» نسبة إلى حمدون، وهي تقوم على لوم الإنسان نفسه لتقصيره بالطاعة، وعلى لوم الناس له لارتكابه بعض المخالفات التي تنفر الناس عنه وتسقط منزلته بينهم؛ لشدة إخلاصه لله ولهذا سموها «بالملازمة»^(٦). قال ابن الجوزي: «وفي الصوفية قوم يسمون الملازمة اقتحموا الذنوب وقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه، وهؤلاء أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة لشرع»^(٧).

وقد ذكر السلمي في الطبقات جملة من أقوال حمدون القصار^(٨).

(١) كشف المحجوب ٤١٩/٢.

(٢) سبق ترجمته انظر ص ٢٨.

(٣) وهذا يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، إذ المذهب الحق أن القضاء منه ما يجب الرضا به ومنه ما يستحب الرضا به ومنه ما يحرم الرضا به. انظر شرح الطحاوية ص.

(٤) كشف المحجوب ٤٠٤/٢، ٤٠٥.

(٥) هو حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري شيخ أهل الملازمة بنيسابور، كان عالماً فقيهاً وقد توفي سنة ٢٧١ هـ بنيسابور ودفن في مقبرة الحيرة «حيرة نيسابور»، طبقات الصوفية ١٢٣.

(٦) عوارف المعارف ١/٢٢٥، كشف المحجوب ٤١٢/٢، شرح الطحاوية ٥٧٥ ط الرابعة.

(٧) تلبس إبليس ٣٦٣.

(٨) طبقات الصوفية ١٢٤، ١٢٩.

* الطريقة الطيفورية :

وينسبون إلى أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي^(١)، وهي تقوم على الغيبة والسكر، وعرف القشيري السكر فقال: «السكر غيبة بوارد قوي والصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة»^(٢). ويميل طيفور إلى تفضيل السكر على الصحو، بينما يميل الجنيد إلى تفضيل الصحو على السكر، كما أن طيفور يميل إلى العزلة وترك الصحبة^(٣).

* الطريقة النورية :

وتنسب إلى أبي الحسين النوري^(٤)، وهي تقوم على تفضيل التصوف على الفقر، كما تقوم على الإيثار. فالتصوف قد سبق تعريفه^(٥)، والفقر سئل عنه الشبلي^(٦) فقال: «الأيستغني العبد بشيء دون الله عز وجل»^(٧).

والإيثار يعترف بأنه: «القيام بمعاونة الأغيار مع استعمال ما أمر الجبار لرسوله المختار، حيث قال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾»^{(٨)(٩)}.

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن مروشان، وله أخوان من الزهاد وهما آدم وعلي. وهم من أهل بسطام بلدة على جادة الطريق إلى نيسابور، مات سنة ٢٦١ هـ طبقات الصوفية ٦٧.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٦/١.

(٣) كشف المحجوب ٤١٨/٢.

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ ببغداد وأصله من خراسان وعرف بابن البغوي نسبة إلى قريته بغشور وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ، توفي سنة ٢٩٥ هـ طبقات الصوفية ١٦٤، ١٦٥.

(٥) انظر ص ٣٢.

(٦) هو أبو بكر الشبلي دلف بن جحدر ويقال ابن جعفر، وهو خراساني الأصل ببغداد المنشأ، ولد في سامر سنة ٢٤٧ هـ وكان مالكي المذهب، عمره ٨٧ سنة، ومات سنة ٣٣٤ هـ ودفن بمقبرة الخيزران، طبقات الصوفية ٣٣٧، ٣٣٨.

(٧) كشف المحجوب ٤٢٠/٢.

(٨) الأعراف: ١٩٩.

(٩) وهناك طريقة أخرى تسمى النورية وتنسب إلى الشيخ نور الدين الإسفراييني وهي شعبة من الركبة المنسوبة للشيخ ركن الدين السمناني، بغية المستفيد ٧٤.

*** الطريقة السهلة :**

وتنسب إلى سهل بن عبدالله التستري^(١) رحمه الله، وتقوم على مجاهدة النفس ومخالفتها وترويضها على الطاعات وتحمل المشاق، ويستدلون على مجاهدة النفس بقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(٢).

وعلى مخالفتها بقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾^{(٤)(٥)}.

*** الطريقة الحكيمية :**

وتنسب إلى أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي^(٦)، وتقوم طريقته على الولاية وهي: أن تعلم أن لله عبادة قد خصهم بمحبته وخصهم بأنواع المكرمات وعددهم أربعة آلاف وهم المكتومون، ولا يعرف أحدهم الآخر وهم مستورون عن أنفسهم وعن الخلق، ومنهم القطب والنقباء والأوتاد والأبدال^{(٧)(٨)}.

(١) هو سهل بن عبدالله التستري وكنيته أبو محمد أحد أئمة الصوفية. توفي سنة ٢٨٣ هـ وقيل سنة

٢٩٣ هـ قال في الطبقات: «وأظن أن ثلاثاً وثمانين أصح» طبقات الصوفية ٢٠٦.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) النازعات ٤٠، ٤١.

(٤) البقرة ٨٧.

(٥) كشف المحجوب ٢/ ٤٢٦، ٤٣٢.

(٦) هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي وكنيته أبو عبدالله الحكيم الترمذي، من أهل ترمذ، نفي منها

بسبب تأليفه كتاب «ختم الولاية وعلل الشريعة»، باحث صوفي عالم بالحديث من أهم كتبه: «نوادير

الأصول في أحاديث الرسول» و«الفروق»، و«غرس الموحدين»، وغيرها، وهو غير أبي عيسى محمد

بن عيسى الترمذي صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٧٩ هـ إلا أنه معاصره ومن بلدة ترمذ نفسها،

توفي أبي عبدالله سنة ٢٥٥ هـ وقيل سنة ٢٨٥ هـ طبقات الصوفية ٢١٧، الأعلام ١٥٦، ١٥٧.

(٧) كشف المحجوب ٢/ ٤٤٦، ٤٤٨.

(٨) سيأتي بيان هذه المصطلحات ص ١٨٧ - ١٩٣.

* الطريقة الخرازية :

وتنسب إلى أبي سعيد الخراز^(١)، وتقوم طريقته على حال الفناء والبقاء، وهو أول من عبر عنهما فقال: «الفناء فناء العبد عن رؤية العبودية، والبقاء بقاء العبد عن رؤية العبودية، والبقاء بقاء العبد يشاهد الألوهية»^(٢). وقال القشيري: «أشار القوم بالفناء إلى قيام الأوصاف المحمودة»^(٣).

* الطريقة الخفيفة :

وتنسب إلى أبي عبد الله محمد بن خفيف^(٤)، وهي تقوم على الغيبة والحضور، وتعرف الغيبة بأنها غيبة القلب عما دون الحق إلى حد أن يغيب حتى عن نفسه، ويعرف الحضور بأنه حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصير الحكم الغيبي له مثل الحكم العيني، ومحمد بن خفيف ممن يرى تقديم الغيبة على الحضور^(٥).

* الطريقة السيارية :

وتنسب إلى أبي العباس السيار^(٦)، وتقوم على الجمع والتفرقة، ويعرف الجمع بأنه ما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان، وتعرف التفرقة بأنها ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية^(٧).

* الطريقة الأويسية :

وتنسب إلى أويس القرني رضي الله عنه^(٨)، وتقوم على الاتصال الروحي بالأحياء

(١) هو أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد ومن أئمة الصوفية، توفي سنة ٢٧٩هـ طبقات الصوفية ٢٧٩.

(٢) كشف المحجوب ٢ / ٤٨٥.

(٣) الرسالة القشيرية ١ / ٢٦٠.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشاذ الضبي وكنيته أبو عبد الله، وكان يقيم بشيراز، وأمه نيسابورية. مات سنة ٣٧١هـ، طبقات الصوفية ٤٦٢.

(٥) كشف المحجوب ٢ / ٤٨٩، ٤٩٠.

(٦) هو القاسم بن القاسم أبو العباس السيار وكان من أهل مرو، توفي سنة ٣٤٢هـ طبقات الصوفية ٤٤٠.

(٧) الرسالة القشيرية ١ / ٢٥٤.

(٨) هو أويس بن عامر بن جزء من مالک القرني من بني قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، أحد النساك العباد، من سادات التابعين وأصله من اليمن، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع علي، ويقال: إنه قتل فيها، توفي سنة ٣٧هـ الأعلام ١ / ٣٧٥.

والأموات. ويقولون: إن أويس قد أخذ عن روحانية سيد المرسلين، وكل من أخذ عن روحانية شيخ من المشايخ تسمى طريقته: أويسية.

وقد وجدت هذه الطريقة عند بعض أهل الطريقة التجانية، قال في بغية المستفيد: «وقد وجدت هذه الطريق في أهل طريقا، كما بلغنا أنه اتفق لبعض مشاهير الأولياء من أهل (تشيت) فأخذ عن روحانية الشيخ رضي الله عنه بمسجده من بلده وأجاز له بإطلاق...»^(١).

* الطريقة الخلوتية :

وتنسب للشيخ محمد الخلوتي، وتنتهي هذه الطريقة إلى قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري وهي مبنية على الذكر بكلمة «لا إله إلا الله» بكيفية مخصوصة، ثم ذكر الجلالة ثم الأسماء العشرة على الترتيب: هو، حق، حي، قهار، وهاب، فتاح، واحد، أحد، صمد، قيوم. وقد أخذ هذه الطريقة أحمد التجاني عن محمود الكردي المصري^(٢) وذلك قبل أن يبتدع طريقته الجديدة^(٣).

* الطريقة الحلمانية :

وتنسب إلى أبي حلمان الدمشقي^(٤)، وهو يعتقد حلول الله في الأشخاص الحسنة، كما يقول بتناسخ الأرواح، كما أنه يقول بإباحة المحرمات فهو إباحي حلولي^(٥)، كما ذهب إلى القول بالحلول الحسين بن منصور الحلاج^(٦) وإليه تنسب الحلاجية^(٧). وهناك سوى ما ذكرنا طرق كثيرة نذكر بعضاً منها فيما يلي:

(١) بغية المستفيد ٧٣.

(٢) هو محمود الكردي المصري، أصله من العراق، ولد ونشأ فيها، ثم سافر إلى مصر وسكن بها وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ بغية المستفيد ١٦٣.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤١، بغية المستفيد ٧٤، ٧٥.

(٤) هو أبو حلمان الدمشقي، أصله من فارس ومنشؤه حلب، وأظهر يدعته بدمشق فنسب لذلك، الفرق بين الفرق ٢٤٥، دار الأفاق الجديدة.

(٥) الفرق بين الفرق ٢٤٥ الطبعة الأولى، كشف المحجوب ٥٠١/٢.

(٦) هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث، وهو من أهل بيضاء، وهي مدينة مشهورة بفارس ونشأ في مدينة واسط في العراق، كفره كثير من العلماء وبعض الصوفية، قتل بباب الطاق ببغداد سنة ٣٠٩ هـ، طبقات الصوفية ٣٠٧.

(٧) الفرق بين الفرق ٢٤١.

- * الطريقة القلندرية^(١).
- * الطريقة القادرية^(٢).
- * الطريقة الرفاعية^(٣).
- * الطريقة المولوية^(٤).
- * الطريقة الشاذلية^(٥).
- * الطريقة النقشبندية^(٦).
- * الطريقة الصديقية^(٧).
- * الطريقة الكبروية^(٨).

- (١) وشيخ هذه الطريقة هو السيد حيدر التوني الموسوي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ وهي مبنية على طيبة القلب والتقليل من الدنيا، بغية المستفيد ٧٣، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٦، ط الثانية.
- (٢) وتنسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ ولهذه الطريقة أتباع في جميع أنحاء العالم، ومنها الجزائر وجاوا وغينيا، بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٣، ٤٤٤.
- (٣) وتنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ وله أتباع كثيرون، وقد صنف فيه وفي أتباعه كتب كثيرة وقد جمع بعضهم كلامه في رسالة سماها «رحيق الكوثر» وهي شعبة من القادرية، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٤، بغية المستفيد ٧٥، الأعلام ١/ ١٦٩.
- (٤) وتنسب إلى الشاعر المولى جلال الدين الرومي صاحب كتاب «المثنوي» منظومة بالفارسية تقع في ٢٥٧٠٠ بيت في ستة أجزاء، والمتوفى «بقونية» سنة ٦٧٢ هـ وكانت طريقته مشهورة بالسماع.
- الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٤، بغية المستفيد ٧٥، الأعلام ٨/ ٢٥٨، ٢٥٩.
- (٥) وتنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي والمتوفى سنة ٦٥٦ هـ وله الأوراد المسماة «حرب الشاذلي» وهي منتشرة في المغرب والجزائر وفي أنحاء أخرى من العالم وقد تشعب منها طرق كثيرة منها: الوفاية. الزروقية البكرية. الجزولية. «بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٥، الأعلام ٥: ١٢٠.
- (٦) وتنسب إلى الخواجة بهاء الدين محمد النقشبندي البخاري، بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤١.
- (٧) وهي طريقة الشيخ أبي بكر بن هوارى، ويزعمون أنها نسبة إلى أبي بكر الصديق، بغية المستفيد ٧٤.
- (٨) وتنسب إلى الشيخ نجم الدين الكيري، وتعتبر الهمدانية شعبة منها وهي منسوبة إلى الشيخ علي الهمداني، بغية المستفيد ٧٤.

- * الطريقة الجهرية^(١).
- * الطريقة البرهانية^(٢).
- * الطريقة العيدروسية^(٣).
- * الطريقة المشارعية^(٤).
- * الطريقة الحاتمية^(٥).
- * الطريقة القشيرية^(٦).
- * الطريقة الخشنية^(٧).
- * الطريقة المدارية^(٨).
- * الطريقة الشطارية^(٩).
- * الطريقة العشقية^(١٠).
- * الطريقة الغوثية^(١١).

- (١) وسميت بذلك لأنها تقوم على الجهر بالذكر وتنتهي إلى الخواجة أحمد السيوري، ويدعون أنه أخذها من الخضر عليه السلام، بغية المستفيد ٧٥.
- (٢) وتنسب للشيخ برهان وتقوم على الجهر بالذكر ولبس الزي الأخضر، بغية المستفيد ٧٥.
- (٣) وتنسب إلى الشيخ عبدالله بن عيدروس، بغية المستفيد ٧٥.
- (٤) وتنسب للشيخ أحمد بن موسى المشرع البمني، ومبناها على الجهر بالذكر والسماع ولبس الزي للدروزة وهي الوقوف في النس للسؤال، بغية المستفيد ٧٥.
- (٥) وتنسب إلى ابن العربي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية، بغية المستفيد ٧٥.
- (٦) وتنسب إلى القشيري صاحب الرسالة وقد سبقت ترجمته ص ٢٩.
- (٧) وتنسب إلى قطب الدين الخشني، بغية المستفيد ٧٥.
- (٨) وتنسب إلى شيخ سبيح محمد مري، بغية المستفيد ٧٥.
- (٩) وتنسب إلى الشيخ عبدالله الشطاري، بغية المستفيد ٧٥.
- (١٠) وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العشقي، بغية المستفيد ٧٥.
- (١١) وتنسب إلى الشيخ غوث الله صاحب الجواهر الخمس، بغية المستفيد ٧٥.

* الحزب الجمهوري الإسلامي (١)(٢).

* الطريقة التجانية:

وهي موضوع البحث في هذه الرسالة وسأتناولها بشيء من التفصيل.



(١) وهو حزب صوفي سياسي ويقول مؤسسه محمود محمد طه بالاختلاط بين الجنسين وتحريم الحجاب، فهو متأثر بمذهب الإباحية من الصوفية، كما يقول بأن الإسلام ظلم المرأة كما ظلم أهل الكتاب بفرض الجزية عليهم، وله علاقات مريبة مع بعض السفراء والقسس والراهبات وهذا الحزب منتشر في السودان. انظر الاختلاط في مذهب مسيلمة الثاني الكذاب (٨) بقلم الدكتور الأمين داود ١٩٧٦م، اتصالات مريبة بقلم الأمين داود من ٥ - ١٢.

(٢) وهناك طرق أخرى حديثة وذلك مثل السنوسية في ليبيا، والإسماعيلية والسمانية والميرغنية في السودان، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٥.

القسم: الأول في التجاني والتجانية

تمهيد:

قبل الحديث عن أوجه الانحراف في عقائد التجانية لابد من الحديث عن حياة التجاني مؤسس هذه الطريقة ومعرفة مراحل ثقافته وتعليمه والعصر الذي عاش فيه؛ وذلك لأن معرفة مذهب الرجل وعقيدته تنبي على معرفة نوع تربيته وتعليمه وعلى معرفة الظروف التي لا بدت نشأته.

كما أنه لابد من الحديث عن شيء من تاريخ التجانية وذلك لأن السلوك العملي فرع عن التصور الاعتقادي ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^(١) وليدرك القارئ الكريم مدى ما يحدثه الانحراف في العقيدة من خطر على البلاد والعباد. وهذا ما سأتناوله بالبحث في البابين التاليين من هذا القسم.



- * الطريقة الجهرية^(١).
- * الطريقة البرهانية^(٢).
- * الطريقة العيدروسية^(٣).
- * الطريقة المشارعية^(٤).
- * الطريقة الحاتمية^(٥).
- * الطريقة القشيرية^(٦).
- * الطريقة الخشنية^(٧).
- * الطريقة المدارية^(٨).
- * الطريقة الشطارية^(٩).
- * الطريقة العشقية^(١٠).
- * الطريقة الغوثية^(١١).

- (١) وسميت بذلك لأنها تقوم على الجهر بالذكر وتنتهي إلى الخواجة أحمد السيوري، ويدعون أنه أخذها من الخضر عليه السلام، بغية المستفيد ٧٥.
- (٢) وتنسب للشيخ برهان وتقوم على الجهر بالذكر وليس الزي الأخضر، بغية المستفيد ٧٥.
- (٣) وتنسب إلى الشيخ عبدالله بن عيدروس، بغية المستفيد ٧٥.
- (٤) وتنسب للشيخ أحمد بن موسى المشرع اليماني، ومبها على الجهر بالذكر والسماع ولبس الزي للدروزة وهي الوقوف في الناس للسؤال، بغية المستفيد ٧٥.
- (٥) وتنسب إلى ابن العربي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية، بغية المستفيد ٧٥.
- (٦) وتنسب إلى القشيري صاحب الرسالة وقد سبقت ترجمته ص ٢٩.
- (٧) وتنسب إلى قطب الدين الخشني، بغية المستفيد ٧٥.
- (٨) وتنسب إلى الشيخ بديع الزمان الشاه مداري، بغية المستفيد ٧٥.
- (٩) وتنسب إلى الشيخ عبدالله الشطاري، بغية المستفيد ٧٥.
- (١٠) وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العشقي، بغية المستفيد ٧٥.
- (١١) وتنسب إلى الشيخ غوث الله صاحب الجواهر الخمس، بغية المستفيد ٧٥.

الباب الأول
في ترجمة أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية
الفصل الأول

في اسمه ونسبه ومولده وأسرته

○ اسمه ونسبه :

هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني^(١) المضايي والتجاني نسبة إلى «بني توجين» أصحاب «تاهرت»^(٢) و«تاكدمت» من البربر، إخوان بني زبيان ملوك تلمسان وبني مريين ملوك المغرب الأقصى، وبنو توجين هم أخوال أحمد التجاني ولما طال مقامه بينهم نسب إليهم^(٣).
والمضايي نسبة إلى حصن «عين ماضي»^(٤).

وتذكر كتب التجانية أن نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية^(٥)، وأن ذلك ثابت لدى الآباء والأجداد، إلا أنه لم يكتف بذلك فزعم أنه سأل النبي ﷺ يقظة عن نسبه، فأجابه : إن نسبك إلى الحسن بن علي صحيح^(٦).

فلم يثبت نسبه بطرق علمية صحيحة وإنما يدعى، ومثل هذا الادعاء لا تقوم به حجة، ولم أر خلال قراءتي للكتب التي تحدثت عن التجاني ما يثبت ذلك أو ينفيه إلا ما ذكره الأمير

(١) ولفظ «التجاني» بكسر التاء مشددة وبالجميم المشددة أيضاً وقد تخفف، كذا ضبطه بعضهم، حبة البشر ١/٣٠٣، ط دمشق، بغية المستفيد ١٢١.

(٢) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب إحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثنة وهي كثيرة الضباب والأمطار، معجم البلدان ٧/٢، دار صادر بيروت، وتاكدمت مدينة في المغرب.

(٣) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ١/٣٠٣، الطبعة الثانية، بغية المستفيد ١٣٧.

(٤) وهي قرية معروفة من قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب وهي الآن تقع في الجزائر، بغية المستفيد ١٣٧.

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ وقتل بالمدينة سنة ١٤٥ هـ الأعلام ٧/٩٠.

(٦) فهم يرعمون أنه من أولاد الحسن وأن نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية، ومحمد هذا من أولاد الحسين لا من أولاد الحسن كما ترى في ترجمته السابقة المنقولة عن الأعلام.

(٧) جواهر المعاني ١/٣٠، ٣١.

محمد بن عبدالقادر الجزائري من أنه من أشرف المغرب، فقال: «وأصل التجاني من أشرف المغرب»^(١).

○ مولده :

ولد أحمد التجاني في سنة (١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م) بقرية «عين ماضي»^(٢).

○ أسرته :

أبوه هو أبو عبدالله محمد (بالفتح)^(٣) بن المختار، توفي سنة (١١٦٦ هـ)، وجده هو المختار بن أحمد بن محمد (بالفتح)، وجده الرابع هو محمد بن سالم وهذا هو الذي وفد إلى ماضي وتوطن بها وتزوج منهم فكانوا أحوالاً للتجاني.

وأمه هي عائشة بنت محمدو (بالرفع) بر السنوسي التجاني المضاوي، توفيت مع زوجها بالطاعون في يوم واحد^(٤).

وله أخ واسمه محمد ويكنى بابن عمر، وأخت واسمها رقية وكانت أكبر منه سنّاً وقد ماتت وتركت ابناً اسمه عبدالله^(٥).

وقد زوجه والده لما بلغ الحلم وخلف ولدين أحدهما محمد الملقب بالكبير وقد توفي سنة (١٢٣٨ هـ)، والآخر محمد الملقب بالحبيب وقد توفي سنة (١٢٦٩ هـ) وخلف ولدين هما أحمد ومحمد البشير^(٦).

(١) تحفة الزائر ١/ ٣٠٣.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢٦، ٢٧، الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ٨/ ٨٣، ٨٤، حلية البشر ١/ ٣٠٣، ٣٠٤، الأعلام ١/ ٢٣٢ ط الثالثة، السيف المسلول ٢٠٥.

(٣) فهي تنطق دائماً بالفتح بلهجة أهل المغرب فيقال: محمداء، ولا تخضع لعلامات الإعراب عندهم بل تلزم حالة واحدة ومثله (محمدون) بالرفع.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٢٨، ٣١.

(٥) جواهر المعاني ١/ ٣١.

(٦) كشف الحجاب ١٤، ١٥، ١٨، ٦٥، بغية المستفيد ٢٠١.

الفصل الثاني الحالة السياسية والعلمية في عصره

تميّز العصر الذي وجد فيه التجاني بكثرة الاضطرابات السياسية والثورات الداخلية، فقد عاش نهاية الدولة العثمانية^(١) حينما تكالبت عليها دول أوروبا المستعمرة، وانتشرت في البلاد الإسلامية كثير من الثورات ضد دولة الخلافة نتيجة لما تعانيه الشعوب في نهاية حكم الأتراك من سوء في الإدارة السياسية والأحوال المعيشية، فكانت الجزائر في ذلك الوقت مسرحاً لكثير من الأحداث السياسية في الداخل ومن الخارج.

هذا بالنسبة للحالة السياسية. أما الحركة العلمية فقد كانت تعيش عصر الاحتضار. كانت مراكز التعليم في ذلك الوقت ضئيلة محدودة لدى أفراد وفي أماكن تعد على الأصابع. وكان التعليم مقتصراً على بعض الدروس لتعليم القرآن الكريم وبعض شروح الكتب الفقهية كما أصبح التصوف دروشة وتمسحاً بالقبور والمزارات ونشراً للبدع والخرافات، فشح الجهل وعمت الخرافة.

أما حركة التأليف فقد اقتضرت على بعض الشروح والحواشي الفقهية والعقدية، وكان يغلب على التأليف التقليد الأعمى مع ضعف الأسلوب وركاكة الألفاظ فقد دخلت المؤلفات بعض الألفاظ العامية والملحونة. وكان الأدب مقصوراً على بعض المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية، وراثيات بعض العلماء. وكان ذلك كله يرجع إلى عدة أسباب:

منها: كثرة الاضطرابات السياسية والثورات الداخلية وقلة الأمن.
ومنها: قلة الموارد الاقتصادية وسوء توزيعها جعل الإنسان يبحث جاهداً عن قوت يومه ولم يكن لديه متسع من الوقت للعلم والدراسة.

(١) استمر حكم الدولة التركية للجزائر حتى سنة ١٢٤٦هـ وقد توفي التجاني سنة ١٢٣٠هـ التحفة المرضية في الدولة البكداشية ص ١٤ ط الأولى.

ومنها: أن الدولة التركية في أواخر أيامها لم تكن تولي الثقافة والتعليم شيئاً من الاهتمام، فقد كان معظم حكام الأقاليم أعاجم لا يحسنون اللغة العربية وفاقد الشيء لا يعطيه، كما كان جلّ همهم إعداد الرجال للجهاد والحرب لقمع الفتن في الداخل ومكافحة الأعداء في الخارج^(١).

في مثل هذا العصر ولد ونشأ أحمد التجاني، فلم يكن غريباً أن تنتشر طريقته ذلك الانتشار الواسع؛ ففي مثل هذه الأجواء تنفس البدع وتعيش الخرافة.



(١) التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ٤٥، ٦٢ ط الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الفصل الثالث

في نشأته ورحلاته ووفاته وآثاره

○ نشأته وتصوفه :

ولد التجاني - كما سبق - بقرية «عين ماضي» وفيها نشأ وترعرع، ويقال: إنه حفظ القرآن في صغره في سبعة أعوام^(١) على يد الشيخ محمد التجاني^(٢)، ثم اشتغل بعد ذلك بطلب العلوم الشرعية والأدبية فقرأ مختصر خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخصري على الشيخ المبروك بن بعافية المضايوي التجاني^(٣)، ثم مال إلى طريق التصوف وكان لرحلاته الكثيرة أثر في سلوكه هذا الطريق، حيث التقى في رحلته إلى فاس وفي رحلته إلى الحج بكثير من أرباب هذا الشأن وأخذ عنهم طرقهم في السلوك والتصوف، إلى أن استقل أخيراً بطريقته الخاصة التي عرفت فيما بعد بالتجانية نسبة إليه.

○ رحلاته :

رحلته الأولى إلى فاس :

لما توفي والده سنة (١١٦٦هـ) بقي مدة على حاله من قراءة العلم وتدريسه في بلدة «عين ماضي».

وفي سنة (١١٧١هـ) ارتحل إلى ناحية فاس وسمع فيها شيئاً من الحديث، وأول من لقيه فيها الطبيب بن محمد اليملحي^(٤) وقد أخذ منه التجاني طريقته وأذن له في تلقين ورده، كما لقي أيضاً محمد بن الحسن الوانجلي^(٥) ولم يأخذ عنه شيئاً، كما لقي أيضاً عبدالله بن العربي المدعوا بن عبدالله^(٦).

(١) جواهر المعاني ١/ ٢٦، ٢٧.

(٢) هو محمد بن حموتجاني المتوفى سنة ١١٦٢هـ، جواهر المعاني ١/ ٢٧.

(٣) ميزاب الرحمة الربانية ٨.

(٤) هو الطبيب بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليملحي العلمي، توفي سنة ١١٨٠هـ في أواخر ربيع الثاني ودفن في «وزان» من بلاد الهبط من مصمودة، جواهر المعاني ١/ ٤٣.

(٥) من بني وانجل من جبال الزبيب وقد توفي سنة ١١٨٥هـ، جواهر المعاني ١/ ٤٤.

(٦) هو عبدالله بن العربي بن أحمد بن محمد المدعوا بن عبدالله من أولاد معن الأندلسي، توفي سنة

ثم أخذ طريق عبدالقادر الجيلاني^(١) على يد من كان يلحق طريقه في ذلك الوقت، ثم أخذ الطريقة الناصرية على يد أبي عبدالله محمد بن عبدالله التزاتي ثم تركها بعد حين، ثم أخذ طريق أبي العباس أحمد الحبيب بن محمد^(٢) على يد من له الإذن فيه في ذلك الوقت ثم تركه بعد مدة.

ثم أخذ طريق أحمد الطواش^(٣) مدة ثم تركه.

ثم انتقل من المغرب إلى جهة الصحراء قاصداً زاوية عبدالقادر بن محمد الأبيض فأقام بها مدة ثم انتقل منها إلى تلمسان^(٤).

○ رحلته إلى الحج :

ثم انتقل من تلمسان قاصداً بيت الله الحرام، فلما وصل إلى بلد «أزواوي» سمع بالشيخ أبي عبدالله محمد (بالفتح) بن عبدالرحمن الأزهري، فذهب إليه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية^(٥).

ثم انتقل إلى تونس ودخلها عام (١١٨٦ م) ولقي بها عبدالرحمن الرحوي، فأقام سنة كاملة بعضها بمدينة «سوسة» وبعضها بمدينة «تونس» وقد درس بتونس كتاب «الحكم العطائية»^(٦) وغيره.

= ١١٨٨ هـ، جواهر المعاني ١/ ٤٤.

(١) هو عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجميلي، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١ هـ ثم انتقل إلى بغداد سنة ٤٨٨ هـ من أهم مصنفاته: «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية»، توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ، الأعلام ٤/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) هو أبو العباس أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالفماري السلجماسي الصديقي، المتوفى سنة ١١٦٥ هـ في الرابع من محرم، جواهر المعاني ١/ ٤٤، ٤٥.

(٣) هو أبو العباس أحمد الطواش نزيل تازي وتوفي بها سنة ١٢٠٤ هـ جواهر المعاني ١/ ٤٥.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٤٣، ٤٥.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) وهو كتاب تكلم فيه صاحبه: «أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري» عن أنواع من السلوك كالإخلاص والعزلة والزهد والمحبة والرضا، وتسلط الشيطان على الإنسان، وقد شرحه محمد بن إبراهيم المعروف بابن عباد في كتاب سماه: «شرح الحكم».

ثم سافر إلى القاهرة فلما وصل إليها لقي الشيخ محمود الكردي^(١) ثم سافر من مصر.
وفي شوال سنة (١١٨٧هـ) وصل إلى مكة فالتقى بالشيخ أحمد ابن عبد الهادي
الهندي^(٢).

ولما أكمل حجه توجه إلى المدينة فالتقى بالشيخ أبي عبدالله محمد ابن عبد الكريم
الشهير بالسمان، ثم رجع إلى بلده، وفي طريقه مر بالقاهرة وقام بزيارة شيخه محمود الكردي
وأخذ عنه الطريقة الخلوتية وأذن له في التربية بها. ثم انتقل من مصر إلى تونس ومنها إلى
تلمسان فوصلها سنة (١١٨٨هـ) وأقام بها مدة.

رحلته الثانية إلى فاس :

وفي سنة (١١٩١هـ) انتقل من تلمسان إلى فاس وذلك بقصد زيارة ضريح إدريس، وفي
الطريق التقى بخليفته علي حرازم جامع كتاب الجواهر وذلك في مدينة (وجدة)^(٣).

ولما وصل إلى فاس أقام بها مدة من الزمن، ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها مدة، ثم طرد
من تلمسان فارتحل ونزل بقرية «أبي سمغون»^(٤)، ثم سافر منها إلى بلاد «أتوات»^(٥)، ثم رجع
إلى قرية «أبي سمغون»، وفي سنة (١٢١٣هـ) طرد منها إلى فاس^(٦).

وفي سبب طرده من تلمسان إلى أبي سمغون ومنها إلى فاس قال «الزياني»^(٧) في كتابه
«الترجمة الكبرى»: إن «الباي محمد بن عثمان» طرده من تلمسان إلى أبي سمغون بسبب
تدبيره الفضة وتدليسه على الناس، فأقام بها مدة فعظم صيته وكثر فسادة وعشه فبلغ خبره لبني

(١) سبق ذكر ترجمته انظر ص ٤٣.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عبدالله الهندي المتوفى سنة ١١٨٧هـ، جواهر المعاني ١/ ٤٧، ٤٨.

(٣) «وجدة» مدينة معروفة في شرق المملكة المغربية بالقرب من حدودها مع الجزائر.

(٤) «أبي سمغون» قصر معروف بالصحراء الشرقية به قبر الشيخ أبي سمغون وبه سمي القصر، بغية المستفيد

١٧٢.

(٥) «أتوات» صقع صحراوي في المغرب، بغية المستفيد ١٧٢.

(٦) جواهر المعاني ١/ ٥٣.

(٧) هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، مؤرخ ولد بفاس سنة ١١٤٧هـ كان سفيراً لبلاد في الأستان

سنة ١٢٠٠هـ، من كتبه: الرحلة الكبرى، والترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب، توفي

مدينة فاس سنة ١٢٤٩هـ الأعلام ٦/ ٦.

وهران عثمان بن محمد بن الباي محمد بن عثمان السابق الذكر، فكتب لأهل قرية أبي سمغون بالوعيد إن لم يطردوه، فلما بلغه ذلك فرأى المغرب في طائفة من أتباعه وتلامذته..^(١)

وذهب الناصري^(٢) في الاستقصاء إلى قريب من هذا الرأي، فقال بأن الباي محمد بن عثمان قد أزعجه من تلمسان إلى قرية أبي سمغون ولم يذكر سبب ذلك، وإنما ذكر سبب طرده من أبي سمغون إلى فاس وأن ذلك بسبب وشاية وصلت إلى الباي عثمان بن محمد ضد التجاني فكتب بالوعيد إلى أهل قرية أبي سمغون إن لم يخرجوه، فلما سمع بذلك فرمى بعض تلامذته..^(٣)

○ وفاته :

توفي يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة (١٢٣٠هـ) - (١٨١٥م) وكان عمره ثمانين سنة^(٤).

قال صاحب كتاب السيف المسلول: «وأما موته فمختلف فيه، وفي جواهر المعاني أن موته عام (١١٦٠هـ) وفي بعض الكتب عام (١١٩٦هـ) وقيل عام (١٢٣٠هـ) والله أعلم بالصواب، ولعل أحمد التجاني لم يكن كلياً بل هذا كله كذب»^(٥).

قلت: وهذا النص غير مسلم من وجوه:

١ - أن وفاته لم تذكر في جواهر المعاني البتة، وذلك لأن كتاب الجواهر كتب في حياة التجاني^(٦) فكيف تكتب سنة وفاته وهو لا زال في عالم الأحياء؟ ومن رجع إلى الجواهر فلن يجد شيئاً من ذلك حتى في طبعاته المتأخرة.

(١) الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برأ وبهراً ٤٦٠، ٤٦١ بتصرف، مطبعة فضالة المحمدية.

(٢) هو أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي شهاب الدين السلاوي، مؤرخ ولد في مدينة

«سلا» سنة ١٢٥٠هـ بالمغرب الأقصى، له سوى كتاب الاستقصاء: زهر الأفنان في شرح قصيدة ابن

الونان، توفي في مدينة سلا سنة ١٣١٥هـ، الأعلام ١/ ١١٨، الاستقصاء ١/ ترجمة المؤلف.

(٣) الاستقصاء ٨/ ١٠٤، ١٠٥ بتصرف.

(٤) بغية المستفيد ١٩٩، كشف الحجاب ١٩، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ١/ ٥٩، ٦١

شجرة النور الزكية ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، الأعلام ١/ ٢٣٢ ط الثالثة، الاستقصاء ٨/ ١٢٩، ١٣٠.

(٥) السيف المسلول ٢٠٥.

(٦) بغية المستفيد ١٨٣.

٢- أن احتمال أنه توفي سنة (١١٦٠هـ) بعيد جداً، فإننا إذا علمنا أنه ولد سنة (١١٥٠هـ) فمن المستبعد أن يكون عاش عشر سنوات فقط ومع ذلك اشتهر هذه الشهرة العظيمة. وأما احتمال أنه توفي سنة (١١٩٦هـ) فهذا وارد إلا أنه مستبعد، لأن جميع كتب التاريخ والتراجم التي اطلعت عليها تنص على أنه مات سنة (١٢٣٠هـ) ولم يذكر أحد أنه مات سنة (١١٩٦هـ) إلا صاحب هذا الكتاب فيما أعلم. والله أعلم.

٣- قوله: «ولعل أحمد التجاني لم يكن كلياً» فهذا الاحتمال بعيد جداً بل هو مجانب للحقيقة، فكتب التاريخ التي ذكرته والحوادث التي اقترنت به تؤكد أنه كان موجوداً قطعاً. وكان ممن كتب عنه المؤرخ الزياتي^(١) وهو من المعاصرين له. فكيف يقال مع ذلك إنه لم يكن كلياً؟ والله أعلم.

○ آثاره :

من أهم الآثار التي خلفها التجاني زاويته المشهورة بفاس والتي ظلت مركزاً للتجانية يتوافدون عليها من شتى أنحاء العالم، ومكاناً لتجديد هذه الفكرة وبثها في قلوب الناس. كما أن من أهم آثاره كتاب - جواهر المعاني - الذي جمعه تلميذه وخليفته علي حوازم والذي يعتبر المرجع الأول للتجانية.

الزاوية التجانية :

كان التجانيون قبل إنشاء الزاوية يجتمعون عند باب الشيخ للذكر وقراءة الأوراد ثم يبعث المساجد، إلى أن أمرهم ببناء الزاوية فبنيت في حومة «الدرداس» المعروفة اليوم «بالبليلة» في فاس القديمة. قال أحمد سكيرج^(٢) في كشف الحجاب: «.. وكان خير مشهدة من ملك أولاد أقومي وكانت فيها كرمة كبيرة... وتلك الخبرة كانت مهيبة لا يقدر أحد أن يدخلها وحده، وقد بلغني على لسان الثقة أنه كان يسمع فيها بعض الأحيان كأن جماعاً يذكرون فيها، وكان يقصدها غالب مجاذيب فاس»^(٣)، وقد بُدئ في بنائها سنة (١٢١٥هـ).

(١) سبق ترجمته ص ٥٤.

(٢) انظر ترجمته ص ٧٦-٧٧.

(٣) كشف الحجاب ٣١.

ثم زيد فيها من جهة المحراب سنة (١٣٠٢هـ)^(١)، وفي سنة (١٣١٦هـ) زيد فيها من جهة السقاية والباب^(٢).

وفي رحلتي إلى المغرب قمت بزيارة الزاوية وهي عبارة عن مكان يشبه المسجد تبلغ مساحته ٢١٦ متراً مربعاً تقريباً غالبها مسقوف ومفروشة بالحصير، وعندما تدخل من الباب الخارجي يكون عن يمينك السقاية وعن يسارك خزانة صغيرة ذات طقات ثلاث مملوءة بكراريس، وهي إلى الآن ما زالت مقفلة، ويزعمون أنها لا تفتح إلا على يد المهدي المنتظر^(٣)، وفي وسط الزاوية قبر التجاني وبينه وبين السقاية حاجز، ويزعمون أن من مزايها أن الصلاة مقبولة بها قطعاً^(٤)، وأن من يدفن فيها تأكله النار لا محالة^(٥).

جواهر المعاني:

يعتبر كتاب جواهر المعاني أهم كتب الطريقة التجانية حتى إنهم يزعمون أن النبي ﷺ قال فيه: «كتابي هذا وأنا ألقته»^(٦).

وقد شرع علي حرازم في جمعه في أوائل شعبان سنة (١٢١٣هـ)^(٧) وانتهى منه في أواسط ذي القعدة سنة (١٢١٤هـ)^(٨).

وقد قرأه علي حرازم بعد جمعه وتأليفه على شيخه أحمد التجاني فأجازه في سائر ما فيه، كما ذكر ذلك صاحب بغية المستفيد حيث قال: «.. وبعد أن فرغ منه أحضره بين يديه وأجازه في سائر ما فيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسحد الديوان، فجاء بحمد الله محققاً باليمن والإسعاد...»^(٩).

وقد سماه مؤلفه: (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني).

(١) كشف الحجاب ٣١.

(٢) كشف الحجاب ٣٤.

(٣) جنابة المنتسب العاني ٥٦/٢، تأليف: أحمد سكيرج.

(٤) كشف الحجاب ٢١.

(٥) كشف الحجاب ٢٤.

(٦) بغية المستفيد ١٨٣.

(٧) جواهر المعاني ٨/١.

(٨) جواهر المعاني ٢/٢٨٥، بغية المستفيد ١٨٣.

(٩) بغية المستفيد ١٨٣.

وقد قسمه إلى ستة أبواب ومقدمة وخاتمة.

فذكر في الباب الأول: التعريف بشيخه. وقسمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في التعريف به ويمولده وأبويه ونسبه وعشيرته الأقربين إليه.

الفصل الثاني: في نشأته وبدايته ومجاهدته.

الفصل الثالث: في أخذ طريق رشده وهدايته.

وقسم الباب الثاني إلى فصلين:

الفصل الأول: في مواجيدته وأحواله ومقامه المتصف به وكماله.

الفصل الثاني: في سيرته السنية وجمل من أخلاقه السنية وحسن معاملاته مع إخوانه وأهل مودته.

وقسم الباب الثالث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في علمه وكرمه وسخائه وعظيم فتوته ووفائه.

الفصل الثاني: في خوفه وصبره وعلو همته وورعه وزهده وموعظته وحرية.

الفصل الثالث: في دلالة على الله وجمعه عليه وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه.

كما قسم الباب الرابع إلى ثلاثة فصول أيضاً:

الفصل الأول: في ترتيب أوراده وأذكاره وذكر طريقته وأتباعه.

الفصل الثاني: في فضل ورده وما أعده الله لتاليه وصفة المرید وحاله وما يقطعه عن أستاذه.

الفصل الثالث: في معرفة حقيقة الشيخ الذي يتبع في سائر أقواله وأفعاله... إلخ.

وقسم الباب الخامس إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية عن طريق أهل الإشارة الربانية.

الفصل الثاني: في الأحاديث النبوية وعلومه الاختصاصية المصطفوية.

الفصل الثالث: في إشاراته العلوية وحل مشكلاتها بعبارات وهبية.

الفصل الرابع: في رسائله.

الباب السادس: في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصريفاته^(١).

وأشار في المقدمة إلى أهمية التصوف وأنه لا يخرج عن الكتاب والسنة، كما حذر من

(١) جواهر المعاني ١/ ١٠، ١١.

الذين ينكرون على المتصوفة ونصح بالابتعاد عنهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، كما أشار فيها إلى بعض قواعد أهل التصوف^(١).

وفي الخاتمة حدث عن مسألة إهداء الثواب إلى النبي ﷺ^(٢).

○ حقيقة جواهر المعاني؟

ذكر الشيخ عبدالحى الكتاني شيخ الطريقة الكتانية أن الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني منقول عن كتاب المقصد الأحمد^(٣)، وأن التجاني نقله عن هذا الكتاب ونسبه لنفسه ولقد كان اكتشاف هذا الكتاب قاصمة الظهر للتجانين حتى لقد تحيروا في الإجابة عن ذلك، وقد أجاب عن ذلك أحمد سكبرج بأسلوب خادع وعبارة لا ينقصها الذكاء فقد أثبت الحقيقة كما استطاع أن يخفف من وقعها على الأتباع وخصوصاً من لم يبلغوا شأواً في العلم والمعرفة، فقال: «.. ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد وقابلته مع جواهر المعاني فوجدت خطبته كخطبته وجل ترتيب أبوابه على ترتيبه، وأما ما يتعلق بالطريق أو المسائل العلمية الحديثية والفقهية ومقالات الشيخ رضي الله عنه ومقاماته وكراماته فليس شيء منه فيه إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشرعين في قضية من القضايا اتفقت للشيخين حتى كأن هذه عين هذه، مما يقع مثله لكثير من الناس فيذكره فيه باللفظ، وليس هذا بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه، إلا أن عدم نسبته للمنقول منه هو الذي ظهر لي أنه هو الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولاً^(٤)، ثم رأى أنه لا بأس بذلك فأمره بالعود إلى جمعه كما نبه على ذلك في خطبته..

وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم مع معرفة مؤلفها الأول، فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني بالمقصد الأحمد. ولقد ذكرت في شرحنا لجواهر المعاني المسمى «نتيجات الغواني» بعض الكتب التي نسبت لغير مؤلفها مثل المدونة التي

(١) جواهر المعاني ١/ ١١، ٢٥.

(٢) جواهر المعاني ٢/ ٢٨٣.

(٣) هذا الكتاب مكتوب بخط مغربي، وهو مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة ١٣٥١ هـ.

(٤) وذهب علي حرازم إلى أنه أمر بحرقه أولاً لسبب اقتضاء الوقت والحال ولم يفصح عن السبب، جواهر

المعاني ١/ ٥٣، وتبعه في ذلك صاحب بغية المستفيد، بغية المستفيد ١٨٢، وكذلك صاحب كتاب

الدرة الخريدة، الدر الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ١/ ١١١.

هي أم كتب المذهب، وأبى الله إلا أن يكون مثل ذلك في الجملة في كتاب جواهر المعاني الذي هو أم كتب الطريق...^(١).

قلت: وهذا الرد من أحمد سكيرج مردود من وجوه:

الأول: تأمل قوله: «إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشربين» فإنه من المستبعد جداً أن يتفقا حتى في الكرامات وفي الأسلوب والعبارات. ثم إن كثرة المنقول تأبى هذا إذ التوافق يكون في حادثة أو حادثتين وفي جملة أو جملتين. وأما أن يكون في صفحات كثيرة فهذا أمر غير ممكن.

الثاني: أنه أثبت أولاً أنه من باب توافق الخواطر فقال: «إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشربين»، ثم اعترف بعد ذلك أنه منقول عن المقصد الأحمد فقال: «إلا أن عدم نسبة للمنقول منه هو الذي ظهر لي أنه الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولاً ثم رأى أنه لا بأس بذلك».

الثالث: قوله: «ولقد ذكرت.. بعض الكتب التي نسبت لغير مؤلفها مثل المدونة التي هي أم كتب المذهب، وأبى الله إلا أن يكون مثل ذلك في الجملة في كتاب جواهر المعاني الذي هو أم كتب الطريق» اهـ.

قوله هذا غير مسلم، فنسبة المدونة أو أي كتاب آخر إلى غير مؤلفه لا تبرر للتجاني نقل بعض ما في كتاب المقصد الأحمد ونسبته لغير مؤلفه.. إذ المعصية لا تبرر المعصية، علماً بأن المدونة لا ينطبق عليها ما ينطبق على جواهر المعاني؛ إذ المدونة كتبها سحنون بن سعيد التنوخي رواية عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم عن مالك^(٢) وليس كذلك الجواهر.

ونحن هنا لانطيل بالرد على أحمد سكيرج وبيان تناقضه فيما قال، وإنما سنعرض لمقابلة الكتابين معاً ونبين ما هو الحق في ذلك إن شاء الله فأقول:

في أثناء زيارتي للمغرب في عام (١٣٩٩ هـ) حرصت على الحصول على كتاب المقصد الأحمد لمقابله بجواهر المعاني، ولما كانت فاس هي معقل التجانية الأول كما أنها هي المدينة العلمية في المغرب العربي، فقد تجولت في مكتباتها التجارية وعند باعة الكتب

(١) جنابة المتسبب العاني لأحمد سكيرج ٥٣/٢.

(٢) المدونة الكبرى ١/١ طبع مطبعة السعادة، مصر، وانظر: الإمام مالك لأبي زهرة ٢٢٨، دار الحماني للطباعة.

بجوار جامع القرويين وفي بيوت المهتمين بجمع الكتب والمخطوطات من أهل فاس حتى حصلت عليه بفضل الله. وقد قمت بمقابلة جواهر المعاني مع كتاب المقصد الأحمد فتبين لي من خلال ذلك الحقائق التالية:

١ - أن مؤلف كتاب المقصد الأحمد لا يمكن أن يكون قد نقله عن جواهر المعاني ويتبين ذلك بمعرفة تاريخ تأليف الكتابين، فقد كتب المقصد الأحمد في سنة (١٠٩٤هـ)^(١) وكتب جواهر المعاني في سنة (١٢١٣هـ)^(٢) فبينهما أكثر من قرن من الزمن.

٢ - أن خطبة جواهر المعاني كخطبة المقصد الأحمد مما يدل على أنها منقولة عنها وهي تزيد على أربع صفحات^(٣).

٣ - أن ترتيب أبواب جواهر المعاني كترتيب أبواب المقصد الأحمد وعناوين الأبواب متطابقة في الكتابين، إلا أن مؤلف الجواهر أجملها في ستة أبواب وصاحب المقصد ذكرها في تسعة أبواب. وذكرنا أبواب الحوار فيما سبق^(٤) ونذكر هنا أبواب المقصد الأحمد ليتسنى للقارئ المقابلة والحكم.

- الباب الأول: في نسبه وأبويه وعشيرته الأقربين إليه.
- الباب الثاني: في نشأته وبدايته وأخذ طريق هدايته.
- الباب الثالث: في مواجيدته وأحواله ومقامه المتصف به وكماله.
- الباب الرابع: في سيرته السنية وجمل من أخلاقه السنية.
- الباب الخامس: في كرمه وسخائه وعظيم فتوته ووفائه.
- الباب السادس: في علو همته وورعه وزهده وحرية.
- الباب السابع: في دلالاته على الله وجمعه عليه وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه.
- الباب الثامن: في كلامه وإشاراته وبعض ما سمعته من تقريراته.
- الباب التاسع: في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصرفاته.
- الباب العاشر: في شيوخه الهمام ومشايخ شيوخه الأعلام.

(١) المقصد الأحمد ٢/ ٣٨٠، طبع سنة ١٣٥١هـ.

(٢) انظر ص ٥٧.

(٣) انظر بعض الصور الخطية من الكتابين للمقابلة ملحقة في آخر الكتاب.

(٤) انظر ص ٥٨.

الباب الحادي عشر: في أسانيد طريقه وتحرير رفعتها وتحقيقه.

الباب الثاني عشر: في بعض ما قيل فيه من القصائد الشعرية المنبئة عن محاسن السرية^(١).

ومن رجع إلى فهرس الجواهر وجد التطابق في عناوين أبواب الكتابين إلا أن الأبواب الثلاثة الأخيرة لم يشر إليها في الجواهر.

٤ - أن في الجواهر صفحات نقلت بالنص عن كتاب المقصد ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها

١ - كتاب الجواهر من الجزء الأول	٢ - كتاب المقصد من الجزء الأول
صفحة ٣، ٢	ويقابلها
صفحة ٧، ٥	»
صفحة ٥٧	»
صفحة ٦٠	»
صفحة ٦٨، ٦٧	»
صفحة ٧٨، ٧٦	»
صفحة ٨٥، ٨٤	»
صفحة ٩٢، ٩١	»
صفحة ٩٩، ٩٨	»
صفحة ١٠٠	»
صفحة ١١٠، ١٠٥	»
صفحة ٣، ٢	صفحة ٣، ٢
صفحة ٧، ٥	صفحة ٥، ٣
صفحة ٥٧	صفحة ٥٣، ٥٢
صفحة ٦٠	صفحة ٥٨
صفحة ٦٨، ٦٧	صفحة ٨٠، ٧٩
صفحة ٧٨، ٧٦	صفحة ٨٢، ٨١
صفحة ٨٥، ٨٤	صفحة ١٠٤
صفحة ٩٢، ٩١	صفحة ١١٣، ١١٢
صفحة ٩٩، ٩٨	صفحة ١٣٤، ١٣٣
صفحة ١٠٠	صفحة ١٣٥
صفحة ١١٠، ١٠٥	صفحة ١٥٨، ١٥٤

صفحة (٢١٨) من الجزء الثاني من كتاب الجواهر، ويقابلها صفحة (٢٠٣، ٢٠٤) من كتاب المقصد الجزء الثاني^(٢).

٥ - أن هناك صفحات كثيرة نقلت بتصرف وذلك مثل صفحات ٥٨، ٥٩ في الجزء الأول

(١) المقصد الأحمد ١/ ٦، ٥

(٢) انظر صورة بعض الصفحات المتماثلة في الكتابين في الملحق آخر الكتاب.

من الجواهر لخصت عن صفحة ٥٦، ٥٧ من الجزء الأول من المقصد الأحمد.
وخلاصة القول: «أن الجزء الأول من كتاب الجواهر لم ينقل نصاً من المقصد الأحمد
بكامله وإنما نقل منه في بعض المواضع باللفظ وفي بعضها بالمعنى، كما أن فيه صفحات
كثيرة لم ينقل منها شيئاً فقد نقل خطبة الكتاب وبعض الصفحات نصاً ولم يعزها إلى قائلها،
كما أن عناوين الأبواب وترتيبها متطابقة في الكتابين إلا أن مؤلف الجواهر قد أجمل في ستة
أبواب ما ذكره مؤلف المقصد في تسعة، فمؤلف الجواهر قد استفاد كثيراً من كتاب المقصد
الأحمد ولم ينقله بكامله... والله الموفق للصواب».



الباب الثاني
في التجانية
الفصل الأول
في نشأة الطريقة التجانية وأسباب انتشارها وتاريخها

(١) نشأة الطريقة التجانية وأسباب انتشارها :

سبق أن ذكرنا في ترجمة^(١) أحمد التجاني أنه التقى بعدد من مشايخ الصوفية وأخذ عنهم عدة طرق، ولكنه لم يلبث أن تركها جميعاً وبدأ له أن يشيء طريقة جديدة يستقل بها عمن سبفا فكان ذلك ما حصل عام ١١٩٦ هـ في قرية أبي سمغون.

قال في جواهر المعاني: ... ثم رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها واستوطن، وفيها وقع الفتح وأذن له ﷺ في تلقين الخلق وعين له الورد الذي يلقنه في سنة ١١٩٦ هـ وعين له الاستغفار والصلاة عليه ﷺ، وهذا هو الورد في تلك المدة إلى رأس المائة، كمل الورد بكلمة الإخلاص...^(٢).

وهكذا يزعم بأن النبي ﷺ هو الذي أنشأ هذه الطريقة بناء على مذهبه الباطل في أنه يرى النبي ﷺ بقطة وأنه يخاطبه ويكلمه، وسيأتي بيان بطلان ذلك^(٣) إن شاء الله.

والحق أنها من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن ﴿شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾^(٤).

فهذه أول نشأتها، ثم انتشرت بعد ذلك على يد الأتباع حتى شملت الجزء الأكبر من غرب إفريقيا وشمالها، وهي الآن تتركز في غرب إفريقيا في السنغال ونيجيريا وموريتانيا والمغرب كما توجد في نواحي أخرى من العالم كمصر والسودان وبعض الدول العربية.

(١) انظر ص ٥٢.

(٢) جواهر المعاني ٥١/١.

(٣) انظر ص ١٢١ وما بعدها.

(٤) الأنعام: ١١٢.

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها أحمد التجاني.

أسباب نشأة التجانية وانتشارها :

ومنها: أن التجاني عاش في عصر قلّ فيه العلم وعم الجهل وكثرت فيه الاضطرابات، فكان لجهل الناس في عصره وبعدهم عن شريعة الله أثر كبير في نشأتها وانتشارها.

ومنها: قلة العلماء المخلصين في وقته وفي بيئته، إذ لو وجدوا لما وجدت هذه البدعة وأمثالها متنفساً.

ومنها: حب التجاني للشهرة والجاه واتباعه لهواه وللمتشابه من الآيات والأحاديث، مما دعاه إلى انتحال هذه النحلة الباطلة.

ومنها: مساندة الأمير سليمان أمير المغرب في وقته وحمايته له ^(١) أعطته قدراً من الحرية للتوسع في نشر مذهبه.

ومنها: ومن أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها كثرة ما فيها من الثواب المزعوم ^(٢) وضمان الجنة بأيسر الأسباب، وخصوصاً عند أناس لا يفقهون شيئاً في دين الله ^(٣).

تاريخ التجانية :

يحرص الاستعمار دائماً على تحقيق مصالحه في بلدان العالم الإسلامي وذلك بمحاربة الإسلام؛ لأنه السد المنيع الذي يقف في وجهه.

وتتنوع أساليب المستعمرين في محاربته، فتارة يقومون بمحاربة الدعاة المخلصين بالسجن والتعذيب أو القتل أو النفي، وتارة يقومون بمحاربة المؤسسات الإسلامية سواء كانت هيئات أو جمعيات أو مؤسسات صحفية، وتارة يقومون بنشر البدع والخرافات التي تحول بين المسلمين وبين معرفة حقيقة دينهم. وهذا الأسلوب الأخير هو ما شجعه الاستعمار في دول القارة الإفريقية بالمال تارة وبالنفوذ والحماية تارة، وفي ذلك تقول مجلة «التمس»:

(١) كشف الحجاب ٢١.

(٢) انظر ص ٢٦٩.

(٣) وقد ذكر الزياتي أن من أسباب نشأة التجانية تأثرها بطائفة «الوهية» المنتشرة في صحراء المغرب، الترجمانة الكبرى ٤٦١. قلت: وهذه طائفة من الخوارج ومعلوم أن التجانيين من أبعد الناس عن مذهب الخوارج، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أبي عبدالله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج في معركتهم الأولى بالهروان «الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي» ١٤٥ ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي. تأليف الفريد بل «دار ليبيا للنشر والتوزيع» ١٩٦٩ م.

«ويختلف المفكرون الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في إفريقيا، فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضرب المصالح الاستعمارية، بينما يرى آخرون ضرورة الحد من تقدم الإسلام عن طريق نشر البدع والخرافات حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد»^(١).

وقد قام المستعمرون بدراسة كاملة عن مشايخ الطرق فأدركوا رغبتهم الشديدة في المال والنفوذ فحققوا لهم هذه الرغبة، فقدم لهم مشايخ الطرق مقابل ذلك أعظم الخدمات وجعلوهم يعيشون في البلدان المستعمرة في أمن واطمئنان. وفي ذلك يقول أحد المختصين بشئون الطرق في شمال إفريقيا «بول أودينو»: «إن شيوخ الطرق يميلون إلى المال والنفوذ وهم يعرفون أنهم إن قاوموا الدولة الحامية فإنهم لن يحصلوا على أي منهما»^(٢). ويقول «جوليان» مثباً على الحكومة الفرنسية: «لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين مولتهم وحمتهم»^(٣).

تاريخ التجانية في الجزائر:

قدّم التجانيون في الجزائر والمغرب خدمات جليلة للفرنسيين، وقد كافأهم الفرنسيون على هذه الخدمات بالمال والجاه والنفوذ، وسنذكر فيما يلي مجموعة من الحقائق التاريخية التي تدين التجانيين وتبين علاقتهم الوثيقة بالاستعمار والمستعمرين: قال «روم لاندو» في كتابه: «تاريخ المغرب في القرن العشرين»: «وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية والدور الذي تلعبه مرات متعددة من قبل، وثمة وثيقتان قلما يعرفهما الناس تزودنا بالمعلومات الطريفة؛ أولاهما رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال (بوجو) أول حاكم للجزائر إلى شيخ التجانية ذات النفوذ الواسع، إذ أنه لولا موقفها المشيع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتوحة حديثاً أصعب بكثير مما كان». ويقول المارشال في نهاية الرسالة: «عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى خدمة من أي نوع كانت فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك»^(٤).

(١) مجلة الأزهر السنة ١٣٧٣/٢٥ هـ عدد جمادى الأولى ص ٦٣٧ الجزء الخامس، وانظر أيضاً السنة ١٢ الجزء الأول ص ٣ من مجلة الأزهر.

(٢) تاريخ المغرب في القرن العشرين (روم لاندو) ص ١٤٠ دار الثقافة، بيروت.

(٣) تاريخ المغرب في القرن العشرين (روم لاندو) ص ١٤٣ دار الثقافة، بيروت.

(٤) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص ١٤٠ دار الثقافة.

ثم قال «روم لاندو»: «وثيقتنا الثانية تلقي ضوءاً على طريقة الإقناع، إنها إعلان بعث به خليفة التجاني الذي تلقى رسالة المارشال «بوجو» إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة ١٩٢٥ م يدعوه فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: «إن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها.. وفرنسا قد انتصرت مؤخراً في حرب (١٩١٤ م - ١٩١٩ م) على واحدة من أعظم دول أوروبا وأفواها، ألا ينصر سبحانه ويمنح عباده من يشاء»^(١).

ويقول «بول أودينو»: «خلال السنين الستين الأخيرة كانت التجانية تقدم لنا العون، ومنذ سنة ١٩١١ م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف»^(٢).

وفي سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م عندما هزم الفرنسيون شر هزيمة قام أحمد التجاني - الحفيد - بتقديم الشكر باسم الجزائريين إلى بقية جنود التيرايرور الذين سلموا من معركة «ريش - هوفن» ووقعة «ويسانبور» فكافأه الكردينال لاقيجري بأن تولى عقد زواج أحمد التجاني شيخ التجانية يومئذ على مدام «أوريلي بيكار» التي بقيت على كاثوليكيته، ولما توفي عنها خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه علي فصاروا يسمونها «زوجة السيدين»، وقد كتبت كتاباً بعنوان: «أميرة الرمال» ملأته بالمطالب على مسلمي الجرائر والزواوية التجانية، وقد كافأها السلطات الفرنسية لقاء ما قدمته من خدمات بوسام جوقة الشرف وقالت عنها في براءة التوجيه: «إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى، وسأقت إلينا جنوداً مجدة من «أحباب» هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاء كأنهم بنيان مرصوص»^(٣) انتهى ملخصاً.

وعندما قامت بعثة عسكرية في سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م بزيارة منطقة الأغواط بالجزائر، دعاها شيخ التجانية في ذلك الحين محمد الكبير لزيارة عين ماضي المركز الرئيسي للطريقة التجانية^(٤)، وهناك ألقى حسني سي أحمد بن طالب خطبة باسم الشيخ محمد الكبير ذكر

(١) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص ١٤١ دار الثقافة.

(٢) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص ١٤٣ دار الثقافة.

(٣) مجلة الأزهر السنة ٢٩ ص ٧ من الجزء الأول.

(٤) مجلة الأزهر السنة ٢٩ ص ٧، ٨ وانظر جريدة «لابرس ليبر» الجزائرية الصادرة يوم ١٦ ماي سنة ١٩٣١ م.

فيها بعض الخدمات التي قدمتها التجانية للفرنسيين فكان مما قاله:

«إن من الواجب علينا إعانة حيية قلوبنا فرنسا مادياً وأدياً وسياسياً، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشه الكريمة ديارنا».. «وفي سنة ١٨٣٨ م كان جدي سيدي محمد الصغير قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبدالقادر الجزائري^(١)، ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا «عين ماضي» وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر، فإن هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبيين، وذلك أن جدي أبي وامتنع أن يرى وجهاً لأكبر عدو لفرنسا فلم يقابل الأمير عبدالقادر^(٢)».

«وفي سنة ١٨٦٤ م كان عمي سيد أحمد مهّد السبيل لجنود الدوك دومال وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة وعاونهم على احتلالها».

«وفي سنة ١٨٨١ م كان المقدم^(٣) سي عبدالقادر بن حميدة مات شهيداً مع الكولونيل «فلاتين» حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية».

«وفي سنة ١٨٩٤ م طلب منا مسيو «جول كوميون» والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية فكتبنا عدة رسائل وأصدرنا عدة أوامر إلى أحباب طريقتنا في بلاد «الهكار» (التوارق) والسودان (أي السودان الفرنسي) نخبرهم بأن حملة فود ولامي الفرنسية هاجمة على بلادهم، ونأمرهم ألا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد وعلى نشر العافية فيها».

«وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها، وذلك لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا النبيلة^(٤)».

(١) عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ولد في القيطنة (من قرى إيالة وهران)

بالجزائر) سنة ١٢٢٢ هـ وتعلم في وهران، وكان عالماً شاعراً وله نشاط كبير في مقاومة الفرنسيين، واستمر

في آخر عمره في دمشق وتوفي بها سنة ١٣٠ هـ، الأعلام ٤/ ١٧٠.

(٢) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ١/ ٣٠١ وما بعدها الطبعة الثانية.

(٣) هي رتبة في الطريقة التجانية والمقدم من أجازة الشيخ في تلقين الورد للناس.

(٤) انظر بقية الخطاب في مجلة الأزهر السنة ٢٩ الجزء الأول ص ٨، ١٠.

ومن هذه النصوص يتبين كيف تمكنت فرنسا من قلوب مشايخ الطريقة التجانية في الجزائر، فقدموا لها في سنوات ما لا تستطيع الجيوش أن تقدمه في قرون، وبهذا تدرك سر تمكن الاستعمار الفرنسي في الجزائر والشمال الإفريقي وبقائه مدة طويلة من الزمن، كما تدرك سر خطورة انحراف المسلمين عن منهج الإسلام الصحيح وكيف يجر هذا الانحراف على الأمة النكبات والويلات. نسأل الله أن يعصمنا من الزلل.

وما تمكن الاستعمار في عصرنا الحاضر في أصقاع العالم الإسلامي المترامي الأطراف إلا نتيجة من نتائج البعد عن كتاب الله.

تاريخ التجانية في السودان الغربي (السنغال وما حولها) :

كان للحاج عمر الفوتي السنغالي^(١) جهود طيبة في مقاومة الوثنيين والفرنسيين في السودان الغربي، فقد بدأ حملة واسعة لنشر الإسلام بين الوثنيين فصار له كثير من الأتباع، ثم حمل راية الجهاد ضد الوثنيين والفرنسيين في تلك البلاد.

ففي سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م جعل مقره العام في «نيورو» شمال السنغال، ثم استولى على مملكة «سيغو» وعلى بلاد «ماسينه»، وكان قبل ذلك قد هزم الوثنيين في «تومبا» واستولى على «كونياكاري»، وفي عام ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١ م استولى على مدينة «بمبره».

وفي عام ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ م التقى بجيش أحمد بن أحمد وهو من المنتسبين للإسلام الموالين للفرنسيين فهزمه شر هزيمة.

وما زال في محاربة أعداء الله حتى توفي سنة ١٢٨٢ هـ تقريباً بعد أن خلف دولة أصبحت فيما بعد خطراً كبيراً على الاستعمار^(٢)، قال «لوثروب ستودارد» في كتابه: «حاضر العالم الإسلامي» بعد أن تحدث عن جهاد الحاج عمر في السنغال: «فصار وجود هذه السلطة التجانية في وسط السودان خطراً عظيماً على سيادتنا»^(٣).

وقال «المسيو موري» مثنياً على جهاد عمر الفوتي: «والحق يقال إن الإسلام يملك

(١) انظر ترجمة الحاج عمر الفوتي ص ٨٠.

(٢) حاضر العالم الإسلامي ٤٩ / ٣ الطبعة الرابعة دار الفكر، مجلة الأزهر السنة ٢٩ الجزء الأول ص ١١ صفوة الاعتبار، محمد بيرم التونسي ٧٢ / ١، دار صادر، دائرة المعارف الإسلامية ٥ / ٤٣٢ / ٤٣٣ طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ، كتاب الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية ص ٣ وما بعدها.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ٢ / ٣٩٦ / ٣٩٨.

حيوية عظيمة وقابلية للانتشار، فلي تذكر الناس حركات أمة البله ونشاط الدراويش وأتباع الطرق وتكاثر الزوايا وثورة الحاج عمر الفوتي وخلفائه»^(١).

ومما سبق يتبين لنا التباين في موقف التجانية من الاستعمار، فهي في الجزائر تقدم لهم الولاء التام وفي السنغال تحمل في وجوههم السلاح، وقد أدرك هذا التناقض المسيو أندري راسين « فقال مستغرباً .. وأشهر من شهرها في السودان الحاج عمر، ومن الغريب أنها في الجزائر تنصح بالمواد للفرنسيين وفي السودان^(٢) ترفع راية الجهاد^(٣) ».

فما السبب في هذا الاختلاف؟

يرجع هذا الاختلاف - في رأيي - إلى الأسباب التالية:

الأول: اختلاف المشارب، فدراسة الحج عمر الفوتي في الأزهر الشريف وإقامته في مصر مدة من الزمن كان لهما أثر كبير في توجيه حياته، مما جعله يكره الاستعمار والمستعمرين ويقاومهم، وإن كان متعصباً للتجانية ومبرراً لكثير من عقائدهم المنحرفة، كما هو واضح في كتابه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم».

الثاني: أن الرجل الواحد قد تكون فيه جوانب خيرة، وجوانب أخرى سلبية، وذلك بحسب طاعته أو معصيته، فعمر الفوتي وإن كان قد حارب الاستعمار والمستعمرين، فإنه مع ذلك كان تجانياً متعصباً.

الثالث: الحرص على المال والنفوذ والشهرة حمل التجانيين في الجزائر على موالة فرنسا وتقديم الخدمات لها وهذا ما صرح به التجانيون أنفسهم.

وفي ذلك يقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في الإعلان الذي بعث به لإتباع الأتباع بموازنة الفرنسيين: «... إن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها»^(٤).

وكما هو واضح من رسالة المارشال «بوجو» إلى شيخ التجانية إذ يقول «عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى أي خدمة من أي نوع كانت، فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك»^(٥).

(١) حاضرمعالم الإسلامى ٢/٣.

(٢) أى السودان الغربى (السنغال وما حولها) لا السودان المعروف.

(٣) حاضرمعالم الإسلامى ٢/٣ ط الرابعة.

(٤) تاريخ المغرب فى القرن العشرين ١٣١ دار الثقافة.

(٥) تقدم النص فى ص ٦٦ هامش ٤.

وقد سبق أن ذكرنا أن الكردينال لافيغري قد كافأ الشيخ أحمد التجاني - الحفيد - لقاء خدماته بأن زوجه مدام «أوريلي بيكار»^(١) فهي إذاً مصالِح متبادلة. وإذا كان أصحاب الطرق يسمعون إلى المال والنفوذ والشهرة عن طريق الأفراد والشعوب، فكيف إذا حصلوا على ذلك من الدول والحكومات؟ فلا شك أنهم لن يتأخروا وهذا ما قرره أحد المختصين بشئون الطرق في الشمال الإفريقي^(٢).
الرابع: كما يجب ألا ننسى في هذا المقام معتقدتهم في محبة الكفار^(٣)، فلعل لمثل هذا المعتقد أثر كبير في موالاة فرنسا والمستعمرين. ولعل هذه أبرز الأسباب في تباين الموقفين، والله أعلم.



(١) انظر صفحة ٦٧.

(٢) انظر كلمة (أودينو) صفحة ٦٧.

(٣) انظر فصل «إيمانهم بوحدة الوجود».

الفصل الثاني في تراجم أشهر التجانيين علي حرازم

○ اسمه ونشأته :

هو أبو الحسن الحاج علي بن العربي برادة المغربي الفاسي، ويعتبر أكبر خلفاء الشيخ التجاني في حياته وبعد مماته. قال عنه التجاني في رسالة بعثها إلى أهل تلمسان «.. وهو عوض عن نفسي وخليفتي، وقد أقمته مقام نفسي في تلقين أورادي وإعطاء طريقتي وكذا علمي وما انطوت عليه حقيقتي، فهو مني وأنا منه..»^(١).

وقد التقى بالتجاني لأول مرة في مدينة «وجدة» وذلك في سنة ١١٩١ هـ وذلك عندما ارتحل التجاني من تلمسان إلى فاس، وقد لقنه الطريقة الخلوتية وذلك قبل أن يتدع طريقته الجديدة.

○ رحلته إلى الحجاز:

لما اشتد عوده وخشي التجاني أن ينافسه المنصب أمره بالتوجه إلى الحجاز، وفي ذلك يقول التجاني: «.. إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك. فقال له بعض أصحابه: منك أو من الله؟ فأجابه بقوله: من الله تعالى من غير اختيار مني..»^(٢).

وفي طريقه من فاس إلى الحجاز التقى بإبراهيم الرياحي في تونس ولقنه الطريقة التجانية، وفي تونس تزوج بامرأة ولكنه لم يلبث أن طلقها. وبعد أن وصل إلى الحجاز كان كثيراً ما يرسل شيخه يطلب منه قضاء بعض الأمور التي تهمة، ومن هذه الرسائل رسالة بعث بها من المدينة إلى شيخه في فاس وفيها يقول: «... أما بعد فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذي أسدى الله فضلاً ورحمة ومدداً إلينا، أن يتفضل علينا سيدنا بما وعدنا بخط يديه الكريمتين إلينا كما هو معدود من فضل سيدنا من غير استحقاق مقابل محض فضل وإكرام

(١) كشف الحجاب ٩٥.

(٢) كشف الحجاب ١٥٢.

∴ $T + \frac{1}{T} + T_{\text{کسر}} + \dots$

... 十二月 ...

توفي علي حرازم في المدينة سنة ١٢١٧هـ^(٢)، وقد قيل في قصة وفاته إنه وقعت له غيبة فتخيل أصحابه أنه توفي فدفنوه حياً، ومكث في قبره سبعة أيام ثم توفي بعد ذلك^(٣).

○ اسمہ ونشأتہ :

هو محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي أصلاً التقرتي^(٤) وكان أول اجتماعه بالتجاني سنة ١١٨٨ هـ وذلك عندما رجع التجاني إلى تلمسان بعد أن أدى فريضة الحج، وقد لقنه التجاني الطريقة الخلوتية وذلك قبل أن يتدع طريقته الجديدة، وقد اتخذ التجاني إماماً في الصلاة حتى سنة ١٢٠٨ هـ.

ولما نبغ محمد بن المشري خشي التجاني أن ينافسه مشيخة الطريقة فأمره بالخروج إلى الصحراء^(٥)، كما فعل مع نظيره السابق علي حرازم.

(١) انظر بقرية الرسالة في كشف الحجاب من ص ٨٥ حتى ص ٩٠.

(٢) الإفادة الأحمدية: ١٥.

(٣٥) كشف الحجاب ٦٨ - ٩٥، نية المستفيد ٢٥٥، الدرة الخريدة ١/ ١١١، غاية الأمانى ٢.

(٤) نسبة إلى «تقرت» بلدة في الجزائر من عمل أقسمطينه.

(٥) الإفادة الأحمديّة ٦٩، كشف الحجاب ٦٥٣.

○ وفاته :

توفي بعين ماضي ناحية الصحراء وذلك في سنة ١٢٢٤ هـ.

○ آثاره :

من أهم مؤلفاته :

كتاب الجامع لما افترق من العلوم.

وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء^(١).

عمر الفوتي

○ مولده ونشأته :

هو عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي الأزهري التجاني. ولد سنة ١٧٩٧ م في قرية «الفار» من بلاد «ديمار»^(٢) وحفظ القرآن على والده سعيد بن عثمان، وفي سنة ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م حج إلى مكة وزار المدينة النبوية^(٣)، وقرأ مدة في الأزهر الشريف، وذلك في فترة مشيخة محمد العروسي التي امتدت من سنة ١٢٣٣ هـ حتى سنة ١٢٤٥ هـ ثم خلفه أحمد الدمهوجي سنة ١٢٤٦ هـ والشيخ حسن العطار الذي بقي شيخاً للأزهر حتى سنة ١٢٥٠ هـ وفي هذه الأثناء كان الشيخ عمر يتلقى تعليمه في الأزهر.

وحينما سافر إلى بلاد «حوس» بقطر بجيريا التقى بالأمير محمد بل ابن الشيخ عثمان بن فودي فنزل ضيفاً عليه، فزوجه ابنته وولدت له ابنة محمد النور^(٤).

○ جهاده :

بعد ما رجع من مصر إلى «بورنو» وذلك في سنة ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٣ م بدأ حملة لنشر الإسلام بين الوثنيين هناك، ثم ذهب إلى بلاد «الهاوسة».

(١) كشف الحجاب ١٤٩ - ١٥٣ بغية المستفيد ٢٥٦، الدرّة الخريدة ١١٢، الإفادة الأحمدية ٦٩ غاية الأمان ١٦.

(٢) منطقة في قطر السنغال على الضفة اليسرى من النهر بين «الو» من الغرب و«تورو» من الشرق، حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٩٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣.

(٤) انظر كتاب «الحاج عمر الفوتي» ٩/ ٢٠.

ثم كون جيشاً صغيراً وأثار جميع مسلمي بلاد «غابون» وهزم البامبارة الوثنيين شرهزيمة في «تومبا»، واستولى بعدها على «كونياكاري».

وفي سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م جعل مقره العام في «نيورو» شمال السنغال، ثم استولى على مملكة «سيفو» وعلى بلاد «ماسينه»^(١)، وفي عام ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م استولى على مدينة «بمبرة». وفي عام ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م التقى بجيش أحمد بن أحمد وهو مسلم موالٍ للفرنسيين فهزمه شرهزيمة، فهرب به خدمه على سفينة فتبعه بعض جنود الشيخ عمر فوجدوه في موضع يسمى «موبتي» وقد فارق الحياة^(٢).

○ وفاته :

بعد ما قدم «البكاي» من بلاد شنقيط انضم إليه أتباع الأمير أحمد بن أحمد وبقايا الوثنيين وحاصروا الشيخ عمر في مدينة «تمبكتو»، ولكن الثائرين شددوا عليه الحصار فاضطر إلى الاعتصام بمغارة فدلهم بعض أعدائه عليه، فأطلقوا عليه الدخان حتى اختنق عام ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م^(٣).

وقيل : إنه قتل بالغم لما أيس من الحرب، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٨٣هـ.

وقيل : إنه توفي سنة ١٢٨٢هـ وعمره ٧٠ سنة^(٤).

وقد خلفه على قيادة هذه الحركة اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه، واستمر حتى احتلال الفرنسيين «تيمبكتو» في ٣ رجب سنة ١٣١١هـ - ١٠ يناير سنة ١٨٩٤م^(٥).

○ مؤلفاته :

كتاب «رمح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم» الذي كتبه في عام ١٢٦١ - ١٨٤٥م.

كتاب «سيوف السعيد».

كتاب «سفينة السعادة».

الفزاري «القصائد العشرينات» «تخميس لها»^(٦).

(١) حاضرمعالم الإسلام ٢/ ٣٩٧. (٢) كتاب الحاج عمر الفوتي ١٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣. صفة الاعتبار ١/ ٧٢.

(٤) مجلة الأزهر مجلد ٢٩ الجزء ١ ص ١١، ١٢.

(٥) مجلة الأزهر مجلد ٢٩ الجزء ١ ص ١١، ١٢.

(٦) كتاب عمر الفوتي ص ٧ نقلاً عن كتاب: «الإسلام في غرب إفريقيا» للقس ترمينجهام.

أحمد سكيرج

○ مولده ونشأته :

هو أحمد سكيرج العياشي، ولد بفاس في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ هـ، وقرأ القرآن على الفقيه محمد بن الهاشمي الكتامي، وفي سنة ١٣٠٩ هـ التحق مع أخيه محمد بدروس العلم بمسجد القرويين بفاس، وأخذ عن إدريس عمور الفاسي، وأخذ الحديث عن عبدالله بن إدريس البكراوي، وأخذ الإذن بالأوراد اللازمة عن محمد قنون بمحراب زاوية التجاني، وفي سنة ١٣١٦ هـ اجتمع بأحمد العبد لاوي وقرأ عليه المشاهد لعلي حرازم والجامع لمحمد ابن المشري.

كما قرأ الفتوحات المكية والإنسان الكامل على شيخه عبدالكريم بنيس. وفي عام ١٣١٨ هـ درس بالقرويين متطوعاً وبعدها بستين ١٣٢٠ هـ عين مدرساً رسمياً بالقرويين. وفي عام ١٣٢٠ هـ تزوج وبعدها بستين ولد له ابنه الأكبر عبدالكريم.

○ رحلاته :

في عام ١٣٢٥ هـ سافر إلى مكناسة وألف في ذلك «الزيدانية»، وفي سنة ١٣٢٨ هـ قام بزيارة إلى طنجة.

وفي سنة ١٣٢٩ هـ استدعاه الحبيب بن عبدالملك إلى وهران فسافر إليه، ثم عاد إلى فاس وألف في ذلك الرحلة «الوهرانية».

وفي سنة ١٣٣٤ هـ توجه لأداء فريضة الحج وألف في ذلك «الرحلة إلى الحجاز» وفيها اجتمع بكثير من علماء مصر والحجاز.

○ أعماله :

عين ناظراً في أحباس فاس الجديد وأقام بها أربع سنوات، ثم عين قاضياً في مدينة وجدة، ثم تولى عضوية المحكمة العليا برباط الفتوح، ثم عين قاضياً بشفرة الجديد في سنة ١٣٤٢ هـ، ثم تولى القضاء بمدينة «سلطات» سنة ١٣٤٧ هـ.

○ وفاته :

توفي في مدينة مراكش في ٢٣ شعبان يوم السبت سنة ١٣٦٣ هـ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ م.

○ مؤلفاته :

يعتبر أحمد سكيرج من أكثر أتباع التجاني كتابة وتأليفاً، إذ قد بلغت مؤلفاته حوالي ١٤٠ مؤلفاً^(١).

ومن هذه المؤلفات:

الكوكب الوهاج، وقد كتبه سنة ١٣١٨ هـ.

قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ. ذكر فيه شيوخه في كل فن.

قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة خبيثة الكون.

مورد الصفا في محاذاة الشفاء، وهو نظم لكتاب الشفاء للقاضي عياض في «٤٧٤٧»

بيت، وقد فرغ من نظمه سنة ١٣٥٠ هـ.

الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص، وهو نظم للخصائص الكبرى للسيوطي،

نظم حوالي خمسة أسداس الكتاب في «١٩١٥٠» بيتاً وبقي سدس الكتاب وذلك في عام

١٣٦٣ هـ، وتوفي بعد ذلك بشهر.

كشف الحجاب عن تلاقى مع سيدي أحمد التجاني من الأصحاب، وفيه ذكر ما يزيد

على مائتي ترجمة من أتباع التجاني وغيرها كثير^(٢).

محمد الحافظ التجاني

○ مولده ونشأته :

هو محمد بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التجاني المصري، ولد في ربيع

الثاني عام ١٣١٥ هـ في بلدة «كفر قورص» مركز أشمون بإقليم المنوفية من جمهورية مصر

العربية.

ويعتبر محمد الحافظ من المهمتين بعلوم الحديث، وقد قمت بزيارة لمكتبته الموجودة

(١) غاية الأمانى ١٣٠.

(٢) جناية المنتسب العاني ٢/ ١٠٠، ١٠٧، غاية الأمانى ١٣٠.

في الزاوية التجانية بالقاهرة فوجدتها حافلة بأمهات كتب السنة مما يدل على عنايته الشديدة بها.

○ رحلاته :

رحل محمد الحافظ إلى السودان خمس مرات وإلى الحجاز ثمان مرات، كما رحل إلى فلسطين وسوريا وتونس والجزائر ومراكش ولقي بها كثيراً من العلماء.

○ وفاته :

توفي محمد الحافظ التجاني عام ١٣٩٨ هـ ودفن في الزاوية التجانية بالقاهرة في الدور الأرضي.

○ آثاره :

١- المؤلفات :

ترك محمد الحافظ التجاني مؤلفات كثيرة نذكر منها:

- ١ - الحق في الحق والخلق.
- ٢ - أصفى مناهل الصفا في مشرب خاتم الأولياء.
- ٣ - قصد السبيل في الطريقة التجانية.
- ٤ - فصل المقال برفع الإذن في الحال.
- ٥ - سبيل الكمال «رسالتان إلى ألمانيا في الإسلام».
- ٦ - رسول الإسلام ورسائله الجامعة.
- ٧ - رد أوهام القاديانية في قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾.
- ٨ - رسالة تحت عنوان: «علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب والسنة» وهذه الرسالة عبارة عن ثلاث رسائل إحداها في إثبات رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته.
- ٩ - الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط.
- ١٠ - أهل الحق العارفون بالله.
- ١١ - التوفيق بين الطوائف المعاصرة في الأصول.
- ١٢ - شروط الطريقة التجانية^(١).
- ١٣ - ترتيب مسند الإمام أحمد، وذلك بترتيب مسند كل صحابي حسب الحروف

(١) غاية الأمانى ١٢٤، ١٣٢.

الهجائية، وقد أطلعني عليه ابنه الأكبر أحمد في القاهرة، والكتاب مخطوط.
٢ - مجلة طريق الحق :

أسس محمد الحافظ التجاني مجلة (طريق الحق) الناطقة بلسان التجانيين وذلك في سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م وهي لا تزال تصدر حتى اليوم، وقد تولى رئاسة تحريرها الأستاذ محمد عبدالله العطار حتى سنة ١٣٧٩هـ حيث خلفه على رئاسة التحرير محمد رشاد الشبراخومي في ٢٠ شعبان من السنة نفسها وهو رئيس تحريرها إلى اليوم، إلا أن هذه المجلة كانت في حياة مؤسسها أقوى منها اليوم إذ تصدر الآن بصورة متقطعة وبمقالات محدودة.



الفصل الثالث

في التعريف بأشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية

من أشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية ما يلي:
جواهر المعاني:

وهو أهم كتاب في الطريق والمرجع الأساسي للتجانيين وقد سبق الحديث عنه^(١).

كتاب «رماح حزب الرحيم على محور حزب الرحيم»:

مؤلفه هو عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدوي وقد كتبه في عام ١٢٦١ هـ^(٢).

ويتكون الكتاب من خمسة وخمسين فصلاً ومقدمة خاتمة، وقد أشار في مقدمة كتابه إلى بعض الأمور التي تزيد في الإيمان، كما ذكر في الخاتمة شرف الذكر على غيره من سائر الطاعات.

وتحدث في فصول الكتاب عن أمور شتى منها الحث على الدخول في هذه الطريقة، كما تحدث عن معنى الزهد عند الصوفية وبين فيه أن الولي لا يتقيد بمذهب معين، وتحدث عن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته، وعن فضل الطريقة التجانية وفضل أتباعها. وقد قال في مقدمة كتابه: «هذا الكتاب وضعت له نفسي وإخواني في الطريقة، ثم لمن شاء الله نفعه به من أهل الشريعة والحقيقة»^(٣).

وقد قال فيه بعض التجانيين: «إن الرماح في هذه الطريقة مثل المدونة في المذهب»^(٤).
طبع الكتاب بهامش جواهر المعاني في «٥٥٩» صفحة جزأين في مجلدين، وقد قام بطبعه مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ هـ.
كتاب «الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم»:

(١) انظر صفحة ٥٧.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢ / ٢٨٣.

(٣) رماح حزب الرحيم ١ / ٣.

(٤) جنابة المتسبب العاني ٢ / ٧٢.

مؤلفه هو محمد بن المشري أحد كبار تلامذة التجاني، وقد اشتمل هذا الكتاب على جل ما اشتمل عليه جواهر المعاني إلا أنه زاد فيه بعض المسائل؛ لطول اجتماعه بالشيخ بعد وفاة علي حرازم مؤلف جواهر المعاني.

وقد قام أحمد سكيرج بجمع ما انفرد به هذا الكتاب عن جواهر المعاني في كتابه سماه «السر الباهر» فيما انفرد به الجامع عن الجواهر^(١).
الإفادة الأحمدية :

مؤلفه هو الحاج الطيب السفياني، وقد جمع فيه المؤلف ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهة أو بلغه على لسان من سمعه منه، ورتبه على حروف المعجم. وفي ذلك يقول في المقدمة: «ولقد تلقيت جله مشافهة منه والباقي ممن أثق به راوياً عنه»^(٢) وقد نقل أكثره صاحب بغية المستفيد، وقد اختصره أحمد سكيرج في كشف الحجاب وجعل عليه شرحاً سماه «بالإفادة على الإفادة»^(٣).

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد الحافظ التجاني ويقع في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير، وقد كتب له محمد الحافظ مقدمة في ٤٠ صفحة، وقد طبع الطبعة الثانية بالمطبعة العالمية بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
بغية المستفيد شرح منية المريد :

مؤلفه هو محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، ومنية المريد من نظم أحمد التجاني ابن بابا الشنقيطي العلوي، وقد كتب الشارح قبل أن يقوم بشرح النظم مقدمة في سبعة مطالب بين فيها منشأ هذه الطريقة وحقيقة الأدب مع الله، كما بين بعض ما يجب على المريد.. وغير ذلك.

وبقية الكتاب شرح لهذه المنظومة التي تحدث فيها ناظمها عن الطريقة التجانية وفضل صاحبها وفضل أتباعه وما للشيخ من الكرامات، كما تحدث عن شروط هذه الطريقة وما يجب على السالك فيها، وقد أسقط من النظم بعض الآيات ولم يتعرض لها بالشرح. وختم الكتاب بتممة ذكر فيها فضل الاستغفار وقيام الليل والصلاة على النبي ﷺ، وفضل

(١) جناية المتسبب العاني ٢/ ٦٦، ٦٥.

(٢) الإفادة الأحمدية ٤٣.

(٣) جناية المتسبب ٢/ ٧٠.

كلمة لا إله إلا الله، وقد طبع الكتاب في ٤٠٣ صفحات من الحجم المتوسط بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٥٩ م^(١).

ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية:

مؤلفه هو عبيدة بن محمد الصغير بن ابوجة الشنقيطي التشنبي المتوفى سنة ١٢٨٤ هـ^(٢).

ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، وذكر في مقدمته ثلاث درجات :

الأولى: في التعريف بالشيخ التجاني. والثاني: في سيرته وأخلاقه. والثالثة: في ذكر أوراده.

وتحدث في الباب الأول عن فضل الأدب عند الشيخ. وفي الباب الثاني عن كون هذه

الطريقة طريقة شكر. وفي الباب الثالث عن وضع الشكر على كافة المقامات الدينية

والإيمانية. وتحدث في الباب الرابع عن أطراف من النعم ترشد إلى البصيرة في التفكير.

وتحدث في الباب الخامس عن كيفية التربية بهذه الطريقة، وقد جمع في هذا الباب خلاصة

ما في كتاب الفتوحات المكية لابن عربي كما يقول أحمد سكيج^(٣)، ثم ختمه بخاتمة ذكر

فيها نتيجة التربية بهذه الطريقة^(٤).

والكتاب يقع في ٣٠٣ صفحات من القطع المتوسط، وقد طبع بمطبعة عبدالحميد

أحمد حنفي.

الدرة الخريذة على الياقوتة الفريدة :

مؤلفه محمد فتاح بن عبدالواحد السوسي النظيفي.

وهو عبارة عن شرح لمنظومة في الطريقة التجانية اسمها «الياقوتة الفريدة»، وقد كتبت

هذه المنظومة في عام ١٣١٦ هـ وعدد أبياتها «٥٥٥» خمسمائة وخمسة وخمسون بيتاً^(٥).

أما شرح هذه المنظومة فقد انتهى منه مؤلفه في شعبان سنة ١٣١٩ هـ وقد تحدث فيه عن

الطريقة التجانية فضلها وفضل أورادها وأشهر علمائها، كما تحدث عن التجاني وعن فضله

(١) بغية المستفيد، جناية المتسبب العاني ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٢) ميزاب الرحمة الربانية ٢٩٣.

(٣) جناية المتسبب العاني ٢/ ٧٤.

(٤) ميزاب الرحمة الربانية ٦.

(٥) الدرة الخريذة ٤/ ٢٣٣.

وكرمه وكراماته وما خص به دون غيره. كما تحدث عن المريد وحقوقه وواجباته.. إلخ^(١).
يقع الكتاب في ٩٦٥ صفحة من القطع الكبير وهو أربعة أجزاء، وقد طبع في مجلدين
سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م في دار الكتب.

٨- الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سَلَّ على الشيخ التجاني سيف الإنكار:
ومؤلفه هو محمد بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي.
وقد قسم الكتاب إلى سبعة أبواب في كل باب مقدمة وفصول.
والكتاب عبارة عن ردود على الشيخ ديسج الشنقيطي الكميلي الذي انتقد الطريقة
التجانية^(٢).

ويقع الكتاب في ٣١١ صفحة من الحجم الكبير، وهو مطبوع بهامش بغية المستفيد وقد
التزم بطبعه عباس بن عبدالسلام بن شقرون بالفحامين بمصر.
هذه هي أهم الكتب التي تحدثت عن الطريقة التجانية، وهناك كتب أخرى كثيرة أقل
أهمية منها يأتي ذكر جملة منها في قائمة المراجع آخر هذا البحث، والله الموفق.



(١) الدرة الخريدة ٤/ ٢٥٢.

(٢) جناية المتنب العاني ٢/ ٧٣.

بعض الكتب المنسوبة للطريقة التجانية

هناك بعض الكتب التي نسبت إلى التجانية وتبرأ التجانيون منها.
ومن هذه الكتب:

عسوب السر الرياني في مناقب القطب التجاني.

شرح الأسماء الحسنى للتجاني.

شرح الأجرومية للتجاني.

استغاثته وشرحها في الانتصار على من قتلوا ولده محمد الكبير.

رحلة التجاني^(١).

(١) جناية المتسبب العاني ٨٣ / ٢.

القسم الثاني عقائدهم وبدعهم

الباب الأول عقيدتهم في الله

مقدمة :

كثير من التجانيين هم من الذين يؤمنون بالله ورسوله ولكنهم يخلّون بهذا الإيمان في نواح كثيرة، وذلك بحسب بعدهم عن معرفة الإسلام الصحيح، فمنهم من يؤمن بأن بعض المشايخ يعلمون شيئاً من الغيب، ومنهم من يؤمن بجواز الطلب ودعاء الأنبياء والصالحين، ومنهم من يؤمن بالفناء الذاتي «وحدة الشهود»، ومنهم من يخرج عن دائرة الإسلام فيؤمن بوحدة الوجود، وهو يظن أنه قد بلغ الغاية في التقوى والهداية.

الفصل الأول إيمانهم بوحدة الوجود

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بوحدة الوجود:

لم أكن أظن أن التجانية وأمثالهم من المتصوفة الذين يبدو عليهم الصلاح والزهد يؤمنون بوحدة الوجود؛ لما فيها من الانحراف الظاهر والبطلان الواضح الذي لا يقره دين ولا عقل ولا فطرة^(١)، ولكنني وجدت هذه العقيدة مبثوثة في كثير من كتبهم، فكان لزاماً عليّ أن أرد عليها وأبين ما فيها من زيغ وضلال إرشاداً لمن يريد الحق ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾^(٢) أسأل الله أن يصون قلبي من الزلل والخطل. وفيما يلي بعض النصوص التي تبين إيمانهم بها واستدلالهم لها وتشنيعهم على من خالفها:

قال في جواهر المعاني: «.. اعلم أن ذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات ﴿كسراب بقية﴾»^(٣).. الآية. فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسمائها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحجب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها»^(٤).

(١) ينقسم التجانيون حيال هذه العقيدة إلى ثلاثة أقسام:

(أ) قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدمين.

(ب) قسم ينكرونها ويكفرون قائلها - كما يقولون - وهم بعض المتأخرين منهم.

(ج) القسم الثالث: هم العامة فكل ما قيل لهم آمنوا به وكل ما حذروا منه كفروا به، فهم جهلة مقلدون وهم أغلبية أهل هذه الطائفة. وقد سألت الدكتور الهلالي الذي ظل تجانياً مدة تسع سنوات: هل هذه العقيدة تعلم للأتباع أم هي للخاصة دون العامة؟ فأجاب بأن هذه العقيدة لا يؤمن بها إلا خواص التجانيين.

(٢) سورة هود آية ٨٨.

(٣) سورة النور آية ٣٩.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٢٥٩.

وقال أيضاً: «... إن جميع المخلوقات مراتب للمحق، يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه، لا يعارض في شيء، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً، ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل، فإن الوجود عين واحدة لا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها، لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص، وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عيناً واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظره متكثراً لا غاية له من الكثرة، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً وهذا خارج عن القال...»^(١).

وقال أيضاً: «... فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا الله تعالى؛ لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى؛ وتعبدوه وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره. قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى: ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾^(٢) والإله في اللغة هو المعبود بالحق، وقوله: ﴿لا إله إلا أنا﴾ يعني لا معبود غيري وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري... إلخ»^(٣).

وقال في ميدان الإفضال: «... وأن هذا الاعتقاد ليس هو اعتقاد القائل بوحدة الوجود؛ لأن ذلك اعتقاد صحيح شرعاً يقبله العقل السليم بالوهاب الإلهي والفيض الرحماني وإن لم يدركه بالنظر الفكري...»^(٤).

وقال أيضاً عند شرحه لقول أحمد التجاني: (إحاطة النور المطلسم): «مما يوحى إلى وحدة الوجود لتعلم صفحة اعتقاد معتقدها وكمالها ونقص اعتقاد منتقدها واعتلاله، ولكن قد علم كل أناس مشربهم ومشرقهم ومغربهم...»^(٥).

(١) جواهر المعاني ٩٢/٢.

(٢) سورة طه آية ١٤.

(٣) جواهر المعاني ١٨٤/١، ١٨٥.

(٤) ميدان الفضل والإفضال ٦٢ المطبعة الرسمية بتونس ١٣٢٩ هـ.

(٥) ميدان الفضل والإفضال ٦٦.

وقال أيضاً: «والقائلون بوحدة الوجود أولو الذوق الصحيح والكشف الصريح وأهل هذا التصديق الجامع، فإنهم قائلون بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي...»^(١).

وقال أيضاً: «فإذا عرفت أن وجوده تعالى لا ماهية له وأنه يقبل التجلي في جميع الصور عرفت أن الوجود في هذه الصورة المرئية هو وجوده تعالى، والصورة ليست له تعالى بل إنما هي من حكم الذات المتجلى عليها.. فخرجت الصورة بجلي وجود الحق تعالى لها وبرزت للعيان على نحو ما لها من حكم...»^(٢).

هذه جملة من النصوص التي تبين إيمانهم بوحدة الوجود. وهناك نصوص أخرى كثيرة في مواضع متفرقة من كتبهم^(٣) لم نذكرها اختصاراً. وسنذكر فيما يلي ما استدلوا به من أدلة ونناقشها واحداً بعد الآخر.

الأدلة والمناقشة:

الدليل الأول:

قال في ميدان الإفضال: ... أن الله تعالى لا ماهية له، وأنه يقبل التجلي في جميع الصور وأن الوجود في هذه الصورة المرئية هو وجوده تعالى. ثم قال.. «ويشهد لهذا التجلي حديث مسلم الذي أخرجه في صحيحه ومنه «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً.. ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا..» الحديث^{(٤)(٥)}.

(١) ميدان الفضل والإفضال ٦٦.

(٢) ميدان الفضل والإفضال ٦٨، ٦٩.

(٣) انظر جواهر المعاني ١/ ٢٣٩، جواهر المعاني ١/ ٢٦٣، ٢٦٤، الدرة الخريدة ٣/ ٢٠٣.

(٤) ميدان الفضل والإفضال في شمس رائحة جوهرة الكمال ٧٠.

(٥) رواه المحاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٤٢١، ٤٤٥)، ورواه مسلم

(صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٣/ ٢٧، ٢٩) واللفظ لمسلم.

○ المناقشة :

الاستدلال بهذا الحديث مردود من وجوه :

الأول: إن إتيانه سبحانه وتعالى في هذه الصور يكون في يوم القيامة كما دلّ على ذلك لفظ الحديث نفسه، حيث جاء في أول الحديث: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صحوّاً ليس فيها سحاب...؟»^(١) الحديث. فليس فيه دليل على أن الله تعالى يتجلى بصور الموجودات في الحياة الدنيا كما يزعمون. الثاني: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الملاحدة يقولون: إن العارف بالله يعرفه في كل صورة، فإن الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم وهذا جهل منهم، فإن الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الأنبياء والمؤمنون، وكان إنكارهم مما حمدهم - سبحانه وتعالى - عليه، فإنه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبده»^(٢).

فهل الأنبياء والمؤمنون لا يعرفون الله حق المعرفة؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. الثالث: إنه يلزم على قولهم: إن الله يظهر بكل صورة، أن يكون الله في الحديث هو المنكر والمنكر؛ لأنهم يقولون: ليس في الوجود شيء سوى الله، كما قال بعضهم: من حدثك أن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له الآخر: ومن الذي كذب^(٣)؟

الرابع: إن معنى هذا الحديث أن تؤمن أن الله تعالى يرى يوم القيامة، وأنه يتحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة - كما جاء في الحديث - على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تكيف، فلا يقال: كيف تحول؟ وما نوع هذا التحول؟ ولا تأويل فلا يقال: إنه أتى بصورة ملك أو غيره؟ مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن مشابهة المخلوقين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص فيثبت ما أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبتته وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه، وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجيء وينفي المثل والسمي والكفاء والند»^(٤).

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٥/٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٢/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٤٢/٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٢٣/١٦، ٤٢٤ وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجد أبي عبد الله أنه قال في تفسيره: «أما الإتيان المنسوب إلى الله فلا يختلف قول أئمة السلف كمكحول والزهرى والأوزاعي وابن =

الدليل الثاني: دليل عقلي:

قال في جواهر المعاني: «... وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالة الوحدة وبطلان ما ألزموه لمن قال بها، قال رضي الله عنه: بيانها من وجهين:

الوجه الأول:

أن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ، وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه وبها قيام بنيانه. فإذا فهمت هذا ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة؛ لاستلزام تساوي الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلى آخر ما قالوه. قلنا: لا يلزم ما ذكره هنا؛ لأنه وإن كانت الخواص متباعدة فالأصل الجامع لهذا ذات واحدة كذات الإنسان سواء بسواء.

الوجه الثاني:

اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للمخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثر لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد. فبهذا النظر هو متساو فيلزم اتحاده وإن اختلفت أجزاؤه، كما ذكر في ذات الإنسان وأنها تختلف نسبه بحسب ما فصلته مشيئة الحق فيه من بين شريف ووضيع، وعالي وسافل، وذليل وعزيز، وعظيم الشأن وحقيقه، إلى آخر النسب فيه، ولم تخرجه تفرقة النسب عن وحدة ذاتيته، كما أن ذات الإنسان واحدة ووحدتها لا تنافي باختلاف نسب أجزائها واختصاص كل جزء بخاصية، فإن خاصية اليد غير خاصية الرجل وخاصيتها غير خاصية العين وهكذا سائر خواص الأعضاء والأجزاء، وإن ارتفع وجهه في غاية الشرف وانخفض محلّه في غاية الضعة والإهانة، ولم يخرج عن كون ذاته واحدة مع اختلاف الخواص مثل ما قلنا في ذات الإنسان.. ثم قال رضي الله عنه: وهناك وجه ثالث في إيضاحه وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان

= المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد ومالك بن أنس والشافعي وأحمد وأتباعه أنه يمر كما جاء، وكذلك ما شاكل ذلك مما جاء في القرآن أو وردت به السنة، كأحاديث النزول ونحوها وهي طريقة السلامة ومنهج أهل السنة والجماعة يؤمنون بظاهرها ويكملون علمها (أي كيفيتها) إلى الله ويعتقدون أن الله منزّه عن سمات الحدث، على ذلك مضت الأئمة خلفاً بعد سلف، كما قال تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ سورة آل عمران آية ٤٧ (مجموع الفتاوى ١٦/٥٠٩).

الوجود عليه من حضرة الحق أيضاً متحداً، ثم مثاله في الشاهد مثال المداد، فإن الحروف المتفرقة في المداد والكلمات المتنوعة والمعاني المختلفة التي دلت عليها صوره لم تخرجه عن وحدة مداديته، فإنه ما ثم إلا المداد تصور في أشكاله الدالة على المعاني المختلفة والحروف المتفرقة والخواص المتنوعة غير المؤتلفة ولا المتماثلة، فإنك إذا نظرت إلى عين تلك الصور التي اختلفت حروفها وكلماتها لم تر إلا المداد تجلى في أشكالها بما هو عين المداد فتتحد بالمدادية وتختلف بالصور والأشكال والكلمات والمعاني، فكما أن المداد في تلك الحروف عين تلك الحروف، والحروف في ذلك المداد عين ذلك المداد، وهي مختلفة الأشكال والأسرار والخواص والمعاني، كذلك نهاية الوجود في ذوات الوجود عين تلك الذوات، وتلك الذوات في ذلك الوجود عين ذلك الوجود، لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها، ولا افتراقها في هذه الأمور لم يخرجها عن اتحادها في ذلك المداد. ثم قال قدس الله سره العزيز: وقد اتضح الحق لمن فهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه^(١).

المناقشة : وتتلخص في أمور:

الأول: إن قياسهم وحدة الوجود على جسم الإنسان قياس مع الفارق، فإن جسم الإنسان بما فيه من أعضاء كاليد والرجل والعين متحد اتحاداً ذاتياً، إذ أن هذه الأعضاء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف سائر الموجودات في هذا الكون فإن كل موجود مستقل عن الآخر، فإن الإنسان مثلاً منفصل عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل: إن بينهما اتحاداً ذاتياً. وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات، فإذا كان هذا الاتحاد الذاتي ممتنعاً بين المخلوق والمخلوق فهو بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

قال الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد النوري^(٢):

«والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال، فإن رجلين مثلاً لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتيهما كما هو معلوم، فالتباين بين العبد

(١) جواهر المعاني ٢/ ٩٨، ٩٩.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن أيمن النوري الأصفهني صاحب كتاب «معيان المريدين» ذكر فيه الفرق التي قالت بالإباحة والاتحاد والتجسيم ورد عليها. (كشف الظنون ٢/ ١٧٤٤) مكتبة المثنى - بيروت.

والرب سبحانه وتعالى أعظم...»^(١).

الثاني: قولهم: «اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للمخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثراً لأسمائه.. فالأصل الذي برز منه واحد فهو بهذا النظر متساو.. إلخ»^(٢).

إن أريد به أن الوجود متحد المنشأ والمصدر إذ قد صدر من الله الواحد، فهو متحد في كونه مخلوقاً لله صادراً من عنده فهذا المعنى حق. وإن أريد أنه صدر من الله الواحد فهو ما صدر منه واحد، بمعنى أنهما متحدان ذاتاً، فهذا قول أهل الوحدة وهو قول باطل باتفاق العقلاء من العلماء وغيرهم.

وهذا المعنى هو الذي تدل عليه عبارتهم ومسياقهم له في هذا المقام. والله أعلم.

الثالث: وأما تمثيلهم بالمداد فهو كذلك باطل، وبيان ذلك: أن الكلمات وإن اتحدت في كونها كتبت بالمداد واختلفت معانيها وتركيب ألفاظها فليس بينها اتحاد ذاتي، فأنت ترى أن كل كلمة منفصلة عن الأخرى، فكتابتها بمداد واحد لا يعني أنها وحدة واحدة وإنما يدل على أنها تشترك في أصل المادة، وكذا المخلوقات من بني الإنسان مثلاً تشترك بأنها من أصل واحد: «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه»^(٣) ثم هي بعد ذلك تشترك في تركيبها، فكل إنسان مركب من لحم وعظم وعصب ودم.. إلخ، ولكن هذا الاشتراك لا يعني أن بينها اتحاداً ذاتياً، بل كل فرد من أفراد الناس منفصل عن الآخر، فهذا القول يكذبه الواقع الحسي المشهود.

الرابع: أن القول بوحدة الوجود مستحيل عقلاً، قال الفخر الرازي: «مسألة: الباري لا يتحد بغيره؛ لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتحدا بل حدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا؛ لأن المعدوم لا يتحد بالموجود»^(٤).

الخامس: أن هذا القول كما أنه مستحيل عقلاً فإنه مناقض للفطر والشرائع، إذ يلزم عليه

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣ نقلاً عن معيار المريد.

(٢) انظر ص ٩٠ من كتابنا هذا.

(٣) سورة غافراً ٦٧.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي ص ١١٢ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية المصرية.

محاذير كثيرة لا يقرها شرع ولا عقل ولا عرف فهو تخيلات وأوهام في عالم الضمير لا يمكن تطبيقها في واقع الناس، ومن هذه المحاذير:

○ أنه لو كان الوجود وحدة واحدة وأن الخالق عين المخلوق لما كان لأوامر الشريعة ونواهيها معنى، إذ الأمر هو المأمور وهو الأمر الذي أمر به، وهذا لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل^(١).

○ أن في هذا القول إنكاراً لأن يكون الله خلق شيئاً من هذه المخلوقات؛ لأنها ليست سواء، فالخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق وممن الممتنع أن يكون خالقاً لنفسه؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه، قال تعالى متحدياً للكفار: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة؛ لامتناع ذلك في بداءة العقول، وذلك من أظهر الكفر عند جميع الملل»^(٣).

○ ويلزم على هذا القول ألا يكون الله رب العالمين ولا مالك الملك؛ لأنه لا يكون رب نفسه ولا يكون مالكاً مملوكاً إذ ليس هناك أحد سواه.

○ كما يلزم منه أنه لم يرزق أحداً شيئاً ولا هدى أحداً ولا علم أحداً علماً فلم يصل إلى أحد منه خير ولا شر، إذ هو الرزاق المرزوق والهادي المهدي والعالم المعلم إذ ليس في الوجود سواه^(٤).

○ أن الله هو الذي يصوم ويقوم ويركع ويسجد ويموت وتصيبه الأمراض وتتسلط عليه الأعداء، ويكون - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - هو الموصوف بكل نقص وعيب، إذ ليس في الوجود أحد سواه يتصف بهذه النقائص والعيوب^(٥).

○ كما يلزم منه أن الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا غير الله إذ ليس في الوجود سواه، وقد

(١) (الله ذاتاً وموضوعاً) عبدالكريم الخطيب ص ٢١٩ الطبعة الثانية.

(٢) سورة الطور آية: ٣٥.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٣٣ الطبعة الأولى، مطبعة المنار.

(٤) التفسير القيم لابن القيم ٥١ مطبعة السنة المحمدية.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٣٥.

صرح التجانيون بذلك^(١).

○ كما يلزم منه تصحيح دعوى من ادعى الألوهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر^(٢).
○ أن كل عابد للشيطان أولهواه هو عابد لله - والعياذ بالله - إذ ليس الشيطان شيئاً سوى الرحمن، فالمتبعون للشياطين من الكفرة والملحدين هم من المطيعين لله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾^(٣) وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾^{(٤)(٥)}.

○ أن يلزم من هذا القول أن تكون الكلاب والحمير والخنازير آلهة تعبد، إذ ليس في الوجود أحد سوى الله^(٦)، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من آمن بوحدة الوجود :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٧) فهو المنفرد بالجلال، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والعيوب. فمن اعتقد أن الله متحد بمخلوقاته، وأن العبد عين الرب والرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وخالف الفطر والشرائع، وقد كفر الله تعالى النصارى الذين قالوا: إن الله اتحد بعيسى عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾^(٨) فكيف بمن يقول: إن الله متحد مع جميع مخلوقاته؟

(١) جواهر المعاني ١/ ١٨٤، ١٨٥ انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل القسم الثاني: ١٤٧.

(٣) سورة يس آية: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة مريم آية: ٤٤.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٤١.

(٦) (الله ذاتاً وموضوعاً) ٢٠٥.

(٧) سورة الشورى آية ١١.

(٨) سورة المائدة آية ١٧، ٧٢.

وسأذكر فيما يلي بعض ما قاله علماء الأمة في الإنكار على من قال بذلك وأنه كافر بالله خارج عن ملة الإسلام:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تحدّث عن وحدة الوجود وغيرها من المقالات المنحرفة :

«.. فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل، والواجب إنكارها فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون، لاسيما وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى وفرعون، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى: ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾^(١) والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار..»^(٢).

وقال في موضع آخر: «والسلف والأئمة كفروا الجهمية لما قالوا: إنه في كل مكان، وكان مما أنكروه عليهم أنه كيف يكون في البطون والحشوش والأخلية - تعالى الله عن ذلك - فكيف بمن يجعله نفس وجود البطون والحشوش والأخلية والنجاسات والأقذار؟»^(٣).

وقال.. في حكم من قال هذه المقالة: «فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته قولهم ومعرفته دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»^(٤).

٢ - وحكى القاضي عياض الإجماع على كفر من ادّعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد من الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة^(٥).

٣ - وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النوري:

«أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ

(١) سورة التحريم آية ٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٥، ٣٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ١٢٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨.

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٢٤٥ بتصرف، مطبعة مصطفى الحلبي.

الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية^(١) وإنما قاله طائفة غلاة؛ لقلّة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: «اتحد ناسوته بلاهوته»، وأما من حفظ الله بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه^(٢).

٤ - وقال الإمام أبو الحسن الماوردي^(٣) في الرد على بعض النصارى: «القائل بالحلول والاتحاد ليس من المسلمين بالشريعة بل في الظاهر والتسمية، ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد...»^(٤).

وقال الشيخ كمال الدين المراغي: «اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسى^(٥) تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم، وقال: «أ تكون الصنعة هي الصانع؟»^(٦) اهـ.

(١) أي: وليس هذا مذهب الصوفية المعتدلين.

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/٢٤٢، ٢٤٣ عن «معيان المريدين».

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ ثم انتقل إلى بغداد، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه: «أدب الدين والدنيا» و«الأحكام السلطانية»، و«الحاوي في فقه الشافعية» توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ، الأعلام ٥/١٤٦.

(٤) الحاوي للفتاوى ٢/٢٤٠.

(٥) هو أحمد بن عمر المرسى أبو العباس شهاب الدين، فقيه متصوف من مرسية في الأندلس، توفي سنة ٦٨٦هـ، الأعلام ١/١٧٩.

(٦) الحاوي للفتاوى ٢/٢٤٤.

الفصل الثاني إيمانهم بالفناء (وحدة الشهود)

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بالفناء :

قال في جواهر المعاني: «اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: وأما ما هو حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً، فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة وهو تجلي الحقائق بلا حجاب ولكن مع خصوصية، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عيناً وأثراً، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء، فليس هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق.

«فلم يبق إلا الله لا شيء غيره فلا تَمَّ موصول ولا تَمَّ واصل»^(١).

وقال أيضاً: «.. ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط، انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة، فيكون أمره أولاً ذهولاً عن الأكوان، ثم سكرًا ثم غيبة وفناء مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشيء شعورًا وحسًا واعتبارًا، وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه، فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق، وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة، وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقى والصعود في المقامات إلى أبد الآباد بلا نهاية»^(٢).

وقال أيضاً: «فإن الحضرة القدسية في غاية الصفا لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه، فإن من دخلها غاب عنه الوجود كله فلم يبق إلا الألوهية المحضة، حتى نفسه تغيب عنه، ففي هذه الحال لا ينطق للعبد ولا عقل ولا هم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حد ولا علم، فلو نطق العبد في هذا الحال لقال: لا إله إلا أنا سبحانه ما أعظم شأني؛ لأنه مترجم عن

(١) جواهر المعاني ١/ ١٦٠.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٩١، جواهر المعاني ٦/ ٢.

الله عز وجل»^(١).

والفناء في ذات الله عندهم ليس لكل العارفين وليس في كل الأوقات، فهو فناء خاص مؤقت^(٢).

الأدلة والمناقشة :

وقد استدلوا بدليلين من السنة هما:

الدليل الأول :

قال في الجواهر: «... ثم يتجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى منها وهي شهود الذات العلية والغيبية فيها ويقول: شهوده الصفات حجاب عن شهود الذات، وكثيراً ما يتكلم في هذا المعنى وفي البقاء بعد الفناء ومحو أوصاف العبد بظهور أوصاف ربه فيه، ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها...»^{(٣)(٤)} الحديث.

المناقشة :

١ - إن تفسير الحديث بهذا المعنى لم يقل به إلا بعض غلاة الصوفية، وقد وصفهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري من جراء ذلك بالزيغ فقال: «وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات، أنه يصير في معنى الحق - تعالى الله عن ذلك - وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعد في الخارج»^(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رد هذا المعنى: «وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب

(١) جواهر المعاني ٢/ ١٩، ٢٠.

(٢) الدرة الخريدة ١/ ٤٦.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١١٨، ١١٩، جواهر المعاني ٢/ ١٤، ١٥.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١١/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٥) فتح الباري ١١/ ٣٤٤.

المرضي المأموره والمبغض المكروه المنهي عنه، وقد يقال له: اتحاد نوعي وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك محال ممتنع، والقائل به كافر، وهو قول النصارى والغالبية من الرافضة والنسك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد «في شيء بعينه»^(١).

٢- إن في قوله في نهاية الحديث: «وإن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه»^(٢) ردّاً عليهم فأثبت سبحانه وتعالى سائلاً ومعطياً، وأثبت مستعيذاً ومستعاذاً به. قال ابن حجر في الفتح: «وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة؛ لقوله في بقية الحديث: «وإن سألتني» ولئن استعاذ بي فإنه كالصريح في الرد عليهم»^(٣) اهـ.

٣- إن الحديث مخصوص بحال معين بالسمع والبصر واليد والرجل، والقائلون بالفناء يجعلون المخلوق عين الخالق في كل شيء لا في هذه الأربعة وحدها^(٤).

٤- إن معنى الحديث هو ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «والحديث حق كما أخبر به النبي ﷺ، فإن ولي الله لكمال محبته وطاعته لله يبقى إدراكه لله وبالله، وعمله لله وبالله، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه، وما يراه مما يحبه الحق أحبه، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه. فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه»^(٥).

الدليل الثاني :

قال في الجواهر: «.. وفي هذا المعنى يتمحق الذكور والذكور ويصير في حالة إذ لو نطق لقال: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي.. لاستهلاكه في بحار التوحيد، وهذه المرتبة آخر الذكر وصاحبها صامت لا يذكر ولا يتحرك، وإليه يشير بقوله ﷺ: «من عرف الله كلّ لسانه»^(٦).

(١) مجموع الفتاوى ٥٩/١٠.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٣٤١/١١.

(٣) فتح الباري ٣٤٤/١١، ٣٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٤١/٢.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٧٣/٢، وانظر مجموع الفتاوى ٣٤٠/٢، ومجموع الفتاوى ٧٥٤/١٠.

(٦) جواهر المعاني ٢٥٧/٢.

المناقشة :

- ١ - إن هذا الحديث قال فيه الإمام النووي: إنه ليس بشايت^(١)، واعتمد على ذلك ملا علي القاري في كتابه: «المصنوع، في معرفة الحديث الموضوع» وما كان كذلك فلا يحتج به.
- ٢ - وعلى تقدير ثبوت الحديث فإن معناه: أن من عرف الله حق المعرفة كلّ وتعجب لسانه من ذكره تعالى؛ لعلمه أنه مهما ذكر الله فإنه لا يوفيه حق نعمته عليه، فليس فيه دليل على فناء العارف في ذات الله بوجه من الوجوه. ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢).
- ٣ - إن القول بفناء العارف في ذات الله قول واضح البطلان أنكره علماء السلف والخلف، بل لقد أنكره بعض علماء الصوفية. قال أبو نصر السراج: «أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية سمعوا كلام المحققين في الفناء فظنوا أنه فناء البشرية فوقعوا في الوسوسة، فمنهم من ترك الطعام والشراب وتوهم أن البشرية هي القلب والجثة إذا ضعفت زالت بشريتها، فيجوز أن يكون موصوفاً بصفات الإلهية، ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية وأخلاق البشرية؛ لأن البشرية لا تزول عن البشر، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ولالون البياض عن الأبيض، وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية»^(٣).
- وقال الهجويري: «وقد أخطأت جماعة في هذا المعنى وهم يظنون أن الفناء بمعنى فقدان الذات وانعدام الشخص، وأن البقاء هو أن يلحق بقاء الحق بالعبد، وهذان كلاهما محال.. ثم قال: ويعتقد كثير من جهلة هذه الطائفة بفناء الكلية وهذه مكابرة واضحة؛ لأنه لا يجوز أبداً فناء الأجزاء الطينية وانقطاعها»^(٤).

(١) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ١٥٤، الطبعة الأولى تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، وقد ذكر فيه بلفظ: «من عرف ربه كلّ لسانه».

(٢) رواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي ٢٠٣/٤.

(٣) اللمع لأبي نصر السراج ٥٤٣.

(٤) كشف المحجوب ٤٨٢/٢، ٤٨٣.

قول أهل السنة والجماعة في الفناء الذي يدعيه المتصوفة وحكمه :

لم يرد مدح لفظ «الفناء» في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة والتابعين، ولا ذكره مشايخ الصوفية المتقدمون بمدح ولا ذم^(١). وهذا اللفظ لا يقبل مطلقاً ولا يرد مطلقاً بل لابد فيه من تفصيل:

١ - فإن أريد بالفناء الفناء عن عبادة سوى بمعنى صرف العبادة لله وحده دون من سواه فهذا المعنى حق، وهو معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» ولا يقوم الدين إلا به.

٢ - وإن أريد به الفناء عن وجود سوى فليس هناك موجود إلا الله وهو ما يعبر عنه «بوحدة الوجود»، فهذا المعنى باطل، ولا شك أن القول به من أعظم الكفر، كما سبق بيانه في الفصل السابق^(٢).

وإن أريد به الفناء في ذات الله، بحيث يفنى العارف في ذات الله وهو ما يعبر عنه بالاتحاد في معين.

فهذا القول من جنس قول النصارى في عيسى عليه السلام، وهو مردود حتى عند بعض الصوفية كأبي نصر السراج والهجويري^(٣).. ولا شك أن هذا القول كفر بالله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما النوع الثاني فهو من يقول بالحلول والاتحاد في معين كالنصارى الذين قالوا بذلك في المسيح عليه السلام، والغالية الذين يقولون بذلك في علي بن أبي طالب وطائفة من أهل بيته، والحاكمية الذين يقولون بذلك في الحاكم، والحلاجية الذين يقولون بذلك في الحلاج.. ومن هؤلاء من يقول بذلك في بعض النسوان والمردان وبعض الملوك وغيرهم، فهؤلاء كفرهم شر من كفر النصارى الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم. ثم قال:.. وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بالحلول تارة والاتحاد أخرى وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه ولهذا يلبسون على من لم يفهمه»^(٤).

٣ - وإن أريد بالفناء: الفناء عن شهود سوى وهو المرادف للسكر والغيبة، كأن تغلب

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٧٧ مطبعة السنة المحمدية.

(٢) ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) ص ١٠٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨.

عليه شدة الوجد والمحبة فيكون بمنزلة السكران والمغمى عليه فهذا لا بد فيه من تفصيل:
 فإن كان هذا الفناء بسبب من عند نفسه بمعنى أنه سعى للوصول إليه فهو مؤاخذ غير معذور؛ لأن هذه الحالة قد تستمر معه وقتاً فتؤدي إلى تأخير الصلوات عن وقتها والانصراف عن أداء الواجبات؛ لأنه في هذه الحال لا شعوره فلا تصح منه عبادة.
 وإن كان هذا الفناء بسبب لا من عند نفسه بحيث غلبه داعي المحبة والوجد فسكر، لضعف نفسه وقوة الوارد عليه فهو غير مؤاخذ لقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(١) ولقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(٢).
 ثم إنه إن تكلم في هذه الحال فهو غير مؤاخذ بما يتكلم به، بل ما ورد عنه في هذه الحال يطوى ولا يروى ولا يؤدي^(٣) فهو بمثابة النائم والمغمى عليه^(٤).
 ثم إن أهل السنة والجماعة لا يرون أن حال الفناء حال كمال بل حال البقاء أفضل منها وأكمل؛ لأن هذا الفناء لم يكن لنبينا محمد ﷺ ولا لأحد من الصحابة، فلو كان هذا الفناء كاملاً لكانوا أحق به^(٥).
 قال ابن القيم: «والذي لا ريب فيه أن البقاء في الذكر أكمل من الفناء فيه والغيبة به، والفناء كاسمه الفناء، والبقاء بقاء كاسمه، «والفناء» مطلوب لغيره، «والبقاء» مطلوب لنفسه. «والفناء» وصف العبد «والبقاء» وصف الرب، و«الفناء» عدم و«البقاء» وجود، «والفناء» نفي «والبقاء» إثبات»، والسلوك على درب الفناء مخطر، وكم به من مفازة ومهلكة! والسلوك على درب البقاء آمن، فإنه درب عليه الأعلام والهداة والخفراء»^(٦).

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ٦٥٩) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک وقال السيوطي: حديث صحيح (الجامع الصغير ١/ ٦٨، ٦٩ - ط الحلبي).

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٦١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٣، ٣١٤، ٣٧٠، ٤٦١، ومدارج السالكين ١/ ١٥٥، ١٥٧، مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٥ الطبعة الرابعة.

(٥) مدارج السالكين ١/ ١٥٧، ١٥٨.

(٦) مدارج السالكين ٢/ ٤٣٧.

الفصل الثالث إيمانهم بأن بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك :

يعتقد التجانيون أن مشايخهم يعلمون الغيب من محمد ﷺ، وهذه العقيدة مبثوثة في كتب التجانيين، وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك:
قال في الجواهر: «.. ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية و فراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار مضمرة، وإخبار بمغيبات، وعلم بمواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعات»^(١).

وقال في رماح حزب الرحيم: «... وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاج»^(٢).

وقال في بغية المستفيد: «وأما مكاشفته رضي الله عنه، بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به، فلا يكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي الله عنه.. ومن إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو بالتلويح»^(٣).
وقال في الدرة الخريدة: «.. قلت: لا مانع من كونه تعالى يطلع على غيبه بعض أصفياه كما قال تعالى: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾، يعني: أو ولي كما قال بعض العارفين، والصحيح أنه لم ينقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتيح الغيب، فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية.. ثم قال: ومن كلام بعض العارفين: صدور الأحرار قبور الأسرار.

ومستخبر عن سر ليلي رددته
بعمياء من ليلي بغير يقين

(١) جواهر المعاني ١/ ٦٣.

(٢) رماح حزب الرحيم في نحو حزب الرحيم ١/ ٢٨.

(٣) بغية المستفيد ٢٤٦، ٢٤٧.

يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين^(١)»
الأدلة والمناقشة :

يستدلون على أن الأولياء يعلمون الغيب بقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول...﴾^(٢) الآية.

قال في جواهر المعاني: «... وبقي الطريق الرابع وهو ما يقذفه الله في قلب العبد بغير حاسة ولا واسطة ولا فكر ويسمى هذا بالعلم اللدني، فإن هذا العلم غير منفي عن الرسول ﷺ ولا عن غيره من النبيين والمرسلين، يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾^(٣)... الآية، قال المرسى^(٤): «أوصديق أولي»^(٥). وقال في الدرة الخريدة بعد كلام المرسى السابق وهو قوله: «أوصديق أولي»: «والصحيح أنه لم ينقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتيح الغيب، فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية»^(٦).
المناقشة :

١ - إن هذا التفسير من المرسى - إن صح عنه - لا دليل عليه، والمصرح به في الآية هو الرسول وحده، والمعنى أن الله يطلع بعض رسله على ما شاء من أمور الغيب دون من سواهم، وهذا ما صرح به علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.
قال ابن عباس: قوله: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره.
وقال قتادة: قوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يصطفيهم ويطلعهم على ما شاء من الغيب.
وقال أيضاً: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه.

(١) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

(٢) سورة الجن آية: ٢٦، ٢٧.

(٣) سبق ترجمته انظر ص ٩٦.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٢١٨.

(٥) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ قال: ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء، أنزل على رسوله ﷺ الغيب القرآن^(١).

وقال القرطبي: «فإن الله تعالى عنده علم الغيب ويده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعها عليها أطلعها، ومن شاء حجبها عنها حجبها، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله بدليل قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾^(٢) وقال: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾^(٣).

وبهذا يتبين أن معنى الآية أن الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسله، فإنه ينزل عليهم الكتب ويسن لهم الشرائع كما أنزل على نبينا محمد ﷺ القرآن وعلمه شرائع الدين، فإن ذلك كله كان غيباً في علم الله ثم أوحاه إلى نبينا محمد ﷺ لما ارتضاه رسولاً، فليس هناك أحد من الأولياء والمشايخ قد اطلع على غيب الله ووحيه، بل هو خاص بمن يرتضيه من رسله وأنبيائه.

وقال ابن حجر - رضي الله عنه - : قوله: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾، في الآية رد على كل من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك؛ لأنه مكذب للقرآن، وهم أبعد شيء من الارتضاء مع سلب صفة الرسلية عنهم^(٤)، وبهذا يتبين بطلان هذا التفسير. والله أعلم.

٢ - أن ادعاء علم الغيب مردود بالكتاب والسنة :

الكتاب :

ورد في الكتاب العزيز آيات كثيرة صريحة في نفي علم الغيب عمن سوى الله منها سوى ما سبق:

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾^(٥).
فهذه الآية صريحة في حصر علم الغيب بالله وحده ونفيه عما سواه، وفي ذلك يقول الإمام

(١) تفسير الطبري ٢٩/٧٦، ٧٧ دار المعرفة.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٩.

(٣) تفسير القرطبي ٧/٢.

(٤) فتح الباري ١٣/٣٦٤، ٣٦٥.

(٥) سورة النمل آية ٦٥.

القرطبي: «فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبت لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ﴾، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره»^(١).

قال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٦).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾^(٧).

فكل هذه الآيات تدل على اختصاص الله بعلم الغيب وحده دون من سواه، فلا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بسواهما؟

كما وردت آيات أخرى تنفي عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب وكذلك عن سائر الرسل، ومعلوم أنه إذا كان الرسل الذين هم أحب عباد الله إلى الله لا يعلمون الغيب فغيرهم من باب أولى، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾^(٨).

قال في المنار: «وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت^(٩) غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب، وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب

(١) تفسير القرطبي ١٧/٤ الطبعة السابعة.

(٢) سورة يونس آية ٢٠.

(٣) سورة هود آية ١٢٣.

(٤) سورة النحل آية ٧٧.

(٥) سورة الكهف آية ٢٦.

(٦) سورة فاطر آية ٣٨.

(٧) سورة آل عمران آية ١٧٩.

(٨) سورة الأنعام آية ٥٠.

(٩) كذا في الأصل ولعل الصواب: (ولم يؤت...).

خاصاً به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه، فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشايخ المعروفين وغير المعروفين؟^(١).

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾^(٢).

السنة :

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة في هذا المعنى:

منها ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: (لا يعلم الغيب إلا الله)^(٣)».

فإذا كان محمد بن عبد الله سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائناً من كان.

وقول مؤلف الدرة الخريدة: «والصحيح أنه لم ينقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتيح الغيب فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية»^(٤).

قول لا يحتاج إلى مناقشة؛ لأنه واضح البطلان لمخالفته للكتاب والسنة مخالفة صريحة. قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^(٥).

روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن مسعود قال: «أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتيح الغيب».

وعن السدي قال: ﴿مفاتيح الغيب﴾ خزائن الغيب^(٦).

وروى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب

(١) تفسير المنار ٧/ ٤٢٥ دار المعرفة.

(٢) سورة المائدة آية: ١١٦.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣٦١).

(٤) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

(٥) سورة الأنعام آية: ٥٩.

(٦) تفسير الطبري ٧/ ١٣٦.

خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(١).

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة^(٢): «استعار للغيب مفاتيح اقتداء بما نطق به الكتاب العزيز: ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ وليقرب الأمر على السامع؛ لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها، وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب: الأبواب، والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب، فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أخرى ألا يعرف» ثم قال: «المراد بنفي العلم عن الغيب الحقيقي، فإن لبعض الغيوب أسباباً قد يستدل بها عليها لكن ليس ذلك حقيقياً»^(٣).

قلت: والغيب الذي يدعي التجانيون أن مشايخهم يعلمونه هو من الغيب الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله ولا سبيل للبشر إلى معرفته، كما هو واضح من نصوصهم السابقة، كقولهم: «.. ومن إخباره بالغيب من طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو بالتلويح»^(٤) ومعلوم أن الأمور التي لم تقع من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده. وكادعائهم «أن الشيخ يرى أحوال مريده كما يرى الأشياء في الزجاج»^(٥) وكادعائهم أن النبي ﷺ أعطي مفاتيح الغيب وأنهم ورثوها منه، مع أن الآية والحديث صريحان في نفي ذلك. نعوذ بالله من الخذلان ونسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من ادعى شيئاً من علم الغيب :

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب دون سواه لا ملك مقرب

(١) رواء البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣ / ٣٦١).

(٢) هو عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد، من العلماء بالحديث مالكي المذهب، أصله من الأندلس، من كتبه «جمع النهاية» واختصره صحيح البخاري ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة و«بهجة النفوس» شرح جمع النهاية و«المراعي الحسان» في الحديث. توفي بمصر سنة ٦٩٥ هـ، الأعلام ٤ / ٢٢١.

(٣) فتح الباري ١٣ / ٣٦٥.

(٤) انظر ص ١٠٣.

(٥) انظر ص ١٠٣.

ولا نبي مرسل، وأنه يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب إذا شاء متى شاء، كما أوحى إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن وكان غيباً في علم الله.
ثم إن الغيب ينقسم إلى قسمين:

الغيب المطلق:

وهو ما يعلمه الله وحده دون من سواه، فالله كما استأثر بعلم بعض المغيبات فإنه سبحانه وتعالى قد أحاط علماً بجميع المغيبات كما قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾^(١) وهو المقصود عند الإطلاق.
الغيب المقيد:

وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، كالذي يعلمه الملائكة عن أمر عالمهم ولا يعلمه البشر، وكالذي يعلمه بعض البشر دون بعض، وذلك ما يتوصل إليه بمعرفة الأسباب الموصلة إليه سواء كانت عقلية كالمسائل الرياضية، أو علمية كالمخترعات الحديثة كالهاتف والحاسب الآلي «الكمبيوتر» وغيرها، وكالأمور المختصة بكل شخص من الأمور العادية إذ هي معلومة له غيب عند غيره، وهذا لا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله^(٢)، ومن ادعى معرفة شيء من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فقد كفر، كما قرر ذلك العلماء المحققون؛ لمخالفتهم لصريح القرآن والسنة.

ومن ذهب إلى الكهنة والمنجمين الذين يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لقول النبي ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٣) وما أخذ من مال على ذلك فهو حرام، وأقوال العلماء في ذلك صريحة وواضحة نذكر جملة منها فيما يلي لبيان هذا الأمر:

قال أبو حيان - رحمه الله - مشنعاً على هؤلاء المتصوفة في دعوى علم الغيب مع جهالتهم بالأحكام الشرعية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^(٤): «... ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والإطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها، يخبرون بذلك على رؤوس

(١) سورة النمل آية: ٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ١١٠، تفسير المنار ٧/ ٤٢٢.

(٣) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٤/ ٢٢٧) المطبعة المصرية.

(٤) سورة الأنعام آية: ٥٩.

المنابر ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم عن العلوم، يوهمون أنهم يعلمون الغيب، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية» والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾^(١).

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر، وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم:

فارتموا يدعون أمراً عظيماً لم يكن للخليل لا والكليم
بينما المرء منهم في انفسال أبصر اللوح ما به من رقوم
فجنى العلم منه غصاً طرياً ودرى ما يكون قبل الهجوم
إن عقلي لفي عقال إذا ما أنا صدقت بافتراء عظيم^(٢)

وقال القرطبي في تكفير من ادعى شيئاً من علم الغيب: «قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده (رسله)، فمن قال إنه ينزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر، أخبر عنه بأماراة ادعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر، فإن لم يجزم وقال: إن النوء ينزل الله به الماء عادة، وإنه سبب الماء عادة، وإنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه؛ لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته؛ لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء، قال الله تعالى^(٣): «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» (بالكواكب)». قال: وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا رية في كفره أيضاً^(٤).

وقال القرطبي في حكم اتخاذ المنجمين والذهاب إليهم وأن من فعل ذلك فقد ارتكب

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٩/٣ المطبعة المصرية) ولفظه في مسلم «وقالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية» والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

(٢) البحر المحيط ٤/١٤٥، ٤/٤٣٦، ٥/٩٣ مطابع النصر الحديثة، الرياض.

(٣) أي في الحديث القدسي الذي رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/٣٣٣)

ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٢: ٥٩-٦١).

(٤) تفسير القرطبي ٧/٢، ٣ دار الكتاب العربي.

من كبائر الذنوب: «قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما في الديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل انخدع كثير من المتتبعين للمقه والدين فجاؤوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من أموالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكائز؛ لقوله عليه السلام^(١): «لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم^(٢)؟

وقال أبو عمر بن عبد البر في تحريم أخذ شيء من المال على الكهانة وادعاء علم الغيب، قال: «ومن المكاسب المجمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشاوى، وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء علم الغيب وأخبار السماء، وعلى الرمز واللعب والباطل كله»^(٣).

ومن مجموع هذه الأقوال يتبين أن من ادعى شيئاً من علم الغيب فقد كفر، وأن من ذهب إلى كاهن أو عراف ممن يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأن ما أخذ على ذلك من مال فقد أجمع العلماء على تحريمه. والله أعلم.

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) تفسير القرطبي ٣/٧.

(٣) الكافي لأبي عمر بن عبد البر ٤٤٤/١ - مكتبة الرياض الحديثة الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٨ م.

الباب الثاني
عقيدتهم في القرآن وفي الرسول ﷺ
وفي اليوم الآخر

تحدثت في الباب السابق عن أهم انحرافات التجانية في عقيدتهم في الله كإيمانهم
بوحدة الوجود والفناء، وادعائهم أن بعض المشايخ يعلمون الغيب.
وفي هذا الباب سأحدث عن أهم انحرافاتهم في عقيدتهم في القرآن وفي الرسول ﷺ
وفي اليوم الآخر، في الفصول التالية :

الفصل الأول: عقيدتهم في القرآن.
الفصل الثاني: عقيدتهم في الرسول ﷺ، وفيه خمسة مباحث.
الفصل الثالث: عقيدتهم في اليوم الآخر، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الأول عقيدتهم في القرآن

يعتقد كثير من التجانيين بأن «صلاة الفاتح لما أغلق» أفضل من القرآن الكريم، وقبل أن نذكر النصوص التي وردت في كتبهم في ذلك نذكر نص صلاة الفاتح لما أغلق التي يزعم التجانيون أنها أفضل من القرآن الكريم :

صلاة الفاتح لما أغلق :

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»^(١).

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك :

قال مؤلف جواهر المعاني: «.. ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار»^(٢).

ولما سئل التجاني عن تفضيله لورده على القرآن أجاب عن هذه المعارضة قائلاً: «للمعارضة بين هذا وبين ما ورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة؛ لأن فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أريد به العموم وهذا خاص ولا معارضة بينهما؛ لأنه كان ﷺ يلقي الأحكام للعامة في حياته، يعني إذا حرم شيئاً حرمه على الجميع وإذا افترض شيئاً افترضه على الجميع وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كان ﷺ يلقي الأحكام الخاصة للخاصة.. فلما انتقل إلى الدار الآخرة، وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء، صار يوحى إلى أمته الأمر الخاص للخاص ولا مدخل للأمر العام فإنه انقطع بموته ﷺ... إلخ»^(٣).

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٢ تحقيق محمد الحافظ، الطبعة الخامسة.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٣٦، الجيش الكفيل بأخذ الثأر.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١٤١، الدرة الخريدة ٤/ ٢٠٣.

ثم هم أيضاً يعتقدون أنها من كلام الله، وفي ذلك يقول مؤلف الرماح: إن من شروطها: «أن يعتقد أنها من كلام الله»^(١).

وقال مؤلف بغية المستفيد: «.. مع اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف البكري ولا غيره، وأنها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورانية..»^(٢).

وقال مؤلف الدرة الخريدة: «.. واعتقاد المصلي بها أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه، وأنها لم تكن من تأليف البكري وفي «جع»^(٣) والفضل الذي فيها لا يحصل إلا بشرطين: الأول: الإذن، الثاني: أن يعتقد الذاكر أن هذه الصلاة من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلف»^(٤).

المناقشة :

١ - إن هذه الصلاة التي يزعم التجانيون أن شيخهم تلقاها من النبي ﷺ لم ترو - كاملة - مسندة مرفوعة إلى النبي ﷺ لا في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، لا في حديث قدسي ولا في غيره^(٥)، فكيف يزعمون أنها من كلام الله كالأحاديث القدسية ؟

٢ - أنه قد ورد بعض هذه الصلاة في صلاة منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، فقد جاء في كتاب «الشفاء» للقاضي عياض ما نصه: «وعن سلامة الكندي: كان علي يعلمنا الصلاة على النبي: اللهم داحي المدحوات، وبارئ السموكات، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدافع لجيشتات الأباطيل كما حمل، فاضطلع بأمرك لطاعتك... إلخ»^(٦).

والمذكور منها في هذه الصلاة قوله: «الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، المعلن الحق

(١) رماح حزب الرحيم ١٣٩ / ٢.

(٢) بغية المستفيد ٣٧٥.

(٣) هذا الرمز يرمز به مؤلف الدرة الخريدة لكتاب الجامع لابن المشري (الدرة الخريدة ٤ / ١).

(٤) الدرة الخريدة ٤ / ١٢٨، ٢١٩.

(٥) مشتهى الخارف الجاني ١٦١.

(٦) الشفاء للقاضي ١٦٣ / ٢ - ١٦٤، دار الوفا للطباعة والنشر، دمشق.

بالحق» إلا أنهم يدلون «المعلن» في الجملة الأخيرة بـ «ناصر» فيقولون: ناصر الحق بالحق. وقد رواها الحافظ ابن كثير فقال: «روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد ابن الحباب ثلاثهم عن نوح بن قيس: حدثنا سلامة الكندي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء: «اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، وجبار القلوب على فطرها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحنك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدافع لجيئات الأباطيل، كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك.. إلخ» وقد حكم عليها ابن كثير بأنها موقوفة على علي، ثم قال ابن كثير: «هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه.. إلا أن في إسناده نظراً، قال شيخنا أبو الحجاج المزي^(١): سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً. كذا قال»^(٢).

فتبين من ذلك أن هذا الأثر المذكور لم يرو عن علي رضي الله عنه بسند صحيح متصل. ٣- إن تفضيل التجاني صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن استهزاء واستهتار بكتاب الله؛ لأن التفصيل في غير مقام الاستهزاء والتهكم لا بد فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل، فلا يقال: فلان أعلم من الحمار، إلا على جهة التهكم. بل لو أنه قال بأن القرآن أفضل من صلاة الفاتح لما أغلق؛ لكان في ذلك تنقيصاً له: ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا فكيف وقد فضل صلاة الفاتح على القرآن^(٣)؟

٤- إن في قوله هذا صدىً عن كتاب الله، وصرفاً للناس عن قراءته وتدبر معانيه، وداعياً إلى هجره، فإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق وهي لا تتجاوز ثلاثة أسطر تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، فإن من يعتقد ذلك سينصرف عن قراءة القرآن إلى هذه الصلاة التي لا تتطلب منه وقتاً ولا جهداً.

(١) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي، ولد سنة ٦٥٤ بظاهر حلب، محدث الديار الشامية في وقته، من مؤلفاته «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» و«تحفة الأشراف في معرفة الأطراف» توفي سنة ٧٤٢، الأعلام ٩/ ٣١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٩ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١٦٦، ١٦٧.

ثم إن في صرفهم عن قراءة القرآن صرفاً لهم عن طريق الإسلام الصحيح، حتى يصبح هؤلاء المسلمون أسرى لخرافات الصوفية وعقائدها^(١)، يقول التلمساني^(٢) وهو من أئمة الصوفية: «القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا»^(٣).

٥ - قوله حينما سئل عن تفضيله لورده على القرآن: «لا معارضة بينهما؛ لأنه كان ﷺ يلقي الأحكام العامة للعامة، فلما انتقل إلى الدار الآخرة.. صار يوحى إلى أمته الأمر الخاص.. إلخ». سيأتي بيان بطلان ذلك، وأن التكليف انقطع بموته ﷺ، في مبحث إيمانهم بأن النبي ﷺ لم يبلغ ما أوحى إليه، فارجع إليه وفقك الله^(٤).

٦ - قوله في بغية المستفيد: «فتحصل أن الفضل الذي تلقاه سيدنا من الحضرة المحمدية لا يحصل إلا مع الإذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه ولو بواسطة أو وسائط»^(٥) مردود؛ فإن توقف حصول الثواب على الإذن من التجاني أو واسطة من الوسائط يتنافى مع دعوى تلقي صلاة الفاتح عن الرسول ﷺ؛ لأن الذكر المتلقى عنه ﷺ لا يحتاج إلى إذن أحد؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أذن لعباده بل أمرهم بذلك كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾^(٦).

وقال جل من قائل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾^(٧) فدعوى توقف حصول الثواب على إذن الشيخ أو واسطة من الوسائط دعوى مجردة عن الدليل بل هي دعوى منافية للدليل الصحيح الثابت عن الله ورسوله.

٧ - وإذا كانت هذه الصلاة من كلام الله فكيف يصح للتجاني أن يزيد فيها لفظ «سيدنا»

(١) مصرع الشرك والخرافة ٥٢٣ تأليف خالد محمد علي الحاج، مطابع الدوحة الحديثة.

(٢) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني أبو مدين، من مشاهير الصوفية وأصله من الأندلس وأقام بفاس وسكن بجاية وتوفي بتلمسان سنة ٩٥٤ هـ وعمره قريب من الثمانين، عنوان الدراية ٢٢، ٣٢ الطبعة الأولى، الأعلام ٣/ ٢٤٤.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٤٥.

(٤) انظر ص ١٤١.

(٥) بغية المستفيد ٣٧٥، الدرة الخريدة ٤/ ٢١٨، ٢١٩.

(٦) سورة الأحزاب ٤١، ٤٢.

(٧) سورة الأحزاب ٥٦.

ويزعم أن الله يقول: «اللهم صل على سيدنا محمد...» أفلا يدري أن الرسول ﷺ ليس سيداً لله بل الله هو السيد^(١) سبحانه وتعالى؟

٨ - ومما يدل على بطلان ما زعموه تناقضهم، فتارة يقول: هي من كلام الله نزلت بقلم القدرة، وتارة يقول: هي أفضل من كلام الله، وتارة يقولون: هي من كلام الله كالأحاديث القدسية.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله أو أنها أفضل من القرآن الكريم:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بلسان عربي مبين المتعبد بتلاوته، منه بدأ وإليه يعود، ليس بمخلوق ولا يشبه كلام المخلوقين، وفصل القرآن على غيره من سائر الكلام كفضل الله على خلقه^(٢).

حكم من اعتقد أن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله أو أنها أفضل من القرآن الكريم: زعم النحائي أن النبي ﷺ هو الذي أخبره بأن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله تعالى، فكيف تكون هذه الصلاة من كلام الله تعالى ولم يبلغها النبي ﷺ لأصحابه ولا دونوها في مصاحفهم؟ والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾^(٣) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٤) كما أنها لم ترد عن النبي ﷺ في حديث صحيح ولا ضعيف^(٥).

ومن العجب أن يتصور النحائي هذا القول وأن ينطق به لسانه مع معرفته أنه كذب على رسول الله ﷺ، وقد قال جمهور العلماء: من اعتقد حل الكذب على النبي ﷺ فقد كفر^(٦). وقد قال النبي ﷺ: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»^(٧).

(١) الهدية الهادية ١٠٦.

(٢) شرح الطحاوية ١٧٩، ٣٥٢-٣٥٤.

(٣) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٤) سورة الحجر آية: ٩.

(٥) انظر ص ١١٤، ١١٥.

(٦) فتح الباري ١/٢٠٢.

(٧) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/٢٠١).

قال محمد الخضر الشنقيطي: «فحيث إن تعمد الكذب على النبي ﷺ قال بعض العلماء إنه كفر^(١).. يكون تعمد الكذب على الله كفراً اتفاقاً»^(٢).

ومما جاء في تغليظ الكذب على الله:

١ - قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يسوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾^(٣).

قال أبو حيان: «بدأ أولاً بالعام وهو افتراء الكذب على الله وهو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادعاء وحي أو غيره، ثم ثانياً الخاص وهو افتراء مسسوب إلى وحي من الله تعالى.. ثم ثالثاً بأخص مما قبله؛ لأن الوحي قد يكون بإنزال القرآن وبغيره»^(٤).

٢ - ومنها قول الله تعالى: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾^(٥).

قال أبو حيان: «نص الشعبي وغيره أن المفترين هم المبتدعون، وأن الذين لا يعقلون هم الأتباع»^(٦).

كما زعم التجاني أن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من القرآن ستة آلاف مرة^(٧).
ومن زعم أن شيئاً من كلام البشر أفضل من القرآن فقد كفر بما أنزل على محمد، وذلك لأن القرآن كلام الله وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. فتفضيل كلام بعض المخلوقين على كلام الله كتفضيل بعض المخلوقين على الله، وفاعل ذلك لا يشك في كفره^(٨).
ومما يدل على ذلك:

١ - ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك

(١) وبه قال أبو محمد الجويني وابن المنير (فتح الباري ١/ ٢٠٢).

(٢) مشتهى الخارف الجاني ١٦٢.

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٣.

(٤) البحر المحيط ٤/ ١٨٠ مطابع النصر بالرياض.

(٥) سورة المائدة آية: ١٠٣.

(٦) البحر المحيط ٤/ ٣٤.

(٧) انظر ص ١١٣.

(٨) مشتهى الخارف الجاني ١٦٥.

وتعالى: من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^(١).

٢- ما رواه أبو هريرة بلفظ: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه»^(٢).

٣- أن الكلام صفة من صفات الله^(٣)، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذات الله لا تشبهها ذوات المخلوقين فإن كلام الله لا يشبهه كلام المخلوقين. وقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فقال سبحانه: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾^(٤).

قال ابن كثير في تفسيره: «نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسول الله ﷺ لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتضافروا، فإن هذا أمر لا يستطيع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له؟»^(٥) اهـ.

فمن سوى صلاة الفاتح لما أغلق بكلام الله سبحانه وتعالى فقد كفر؛ لأنه سوى بين كلام الخالق وكلام المخلوق، فكيف بمن فضل صلاة الفاتح لما أغلق على كلام الله؟ فلا شك أن ذلك أشد كفرًا.
والله أعلم.

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ٨/ ٢٤٤، ٤٤٥.

(٢) رواه أبو يعلى في معجمه والسيهقي في شعب الإيمان، وقال السيوطي: صحيح (الجامع الصغير ٢/ ٥٧).

(٣) الهدية الهادية ١٠٥.

(٤) سورة الإسراء آية: ٨٨.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٩٣.

الفصل الثاني عقيدتهم في الرسول ﷺ

تحدثت في الفصل السابق عن أهم انحراف للتجانية في عقيدتهم في القرآن وهو تفضيلهم لصلاة الفاتح لما أغلق على القرآن الكريم. وسأتحدث في هذا الفصل عن أهم انحرافاتهم في عقيدتهم في الرسول ﷺ في المباحث التالية:

- المبحث الأول: إيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.
- المبحث الثاني: إيمانهم بأن النبي ﷺ قد كتم شيئاً من أمر الدين.
- المبحث الثالث: إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبعباد الله الصالحين.
- المبحث الرابع: الغلو في حق النبي ﷺ وبالشيخ التجاني واعتقاد أنهم أرباب مع الله.
- المبحث الخامس: إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء، كما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء.

المبحث الأول

إيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.
- المطلب الثاني: فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا.

المطلب الأول

رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا

ذكر بعض النصوص التي تصرح بإيمانهم برؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا: لما كانت هذه الطريقة تقوم على ادعاء رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا والأخذ منه مباشرة، إذ كل ما قالوه من أفكار وما ذكروه من أوراد زعموا أن شيخهم قد أخذها عن النبي ﷺ بقطعة لامناً.. كان لابد من مناقشة هذا الموضوع بشيء من التفصيل، إذ بسقوطه وبطلانه يتبين بطلان جميع ما زعموه، فأقول وبالله التوفيق:

إن النصوص التي تصرح بإيمانهم برؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في كتبهم أكثر من أن تُحصى، وسنذكر فيما يلي بعض الأمثلة على ذلك من كتب مختلفة:

قال في جواهر المعاني: «قال رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود بقطعة لامناً قال لي: أنت من الأمنين، ومن رآك من الأمنين إن مات على الإيمان.. إلخ»^(١).

وقال في رماح حزب الرحيم: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ بقطعة ومشافهة.. إلخ»^(٢).

وقال في بغية المستفيد: «.. منهم من يرى روحه في البقعة متشكلة بصورته الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته ﷺ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته ﷺ»^(٣).

وقال في الدرة الخريدة: «وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في البقعة، فيراه الولي اليوم كما يراه الصحابة رضي الله عنهم فهي أفضل من الجنة...»^(٤).

(١) جواهر المعاني ١/ ١٢٩. وانظر أيضاً: جواهر المعاني ١/ ٣٠، ٣١ جواهر المعاني ٢/ ٢٢٨.

(٢) رماح حزب الرحيم ١/ ١٩٩.

(٣) بغية المستفيد ٧٩، ٨٠.

(٤) الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ١/ ٤٧.

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

يستدل التجانيون على إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا بما رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»^(١) قالوا: فالحديث صريح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، قال ابن أبي جمرة: «ودعوى الخصوص بغير مخصص منه عليه السلام تعسف»^(٢).

المناقشة :

أولاً: أن الحديث على هذه الرواية^(٣) ليس نصاً صريحاً في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كما يزعم التجانيون، بل الحديث محتمل؛ ولذا اختلف العلماء في معناه وأولوه على عدة تأويلات:

- (أ) قال ابن التين: «المراد به: من آمن به في حياته ولم يره - لكونه حيث غاباً عنه - فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أن لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته»^(٤).
- (ب) قال ابن بطلال^(٥): «معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الوجه الحق»^(٦).

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري: ٣٨٣/١٢) واللفظ له. ورواه مسلم (صحيح مسلم على شرح النووي ٢٦/١٥)، ورواه أبو داود (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٣٦٦/١٣).

(٢) رماح حزب الرحيم ٢٠٥/١.

(٣) ورد الحديث بعدة روايات إحداها قوله: «سيراني في اليقظة» والثانية: «لأنما رآني في اليقظة» والثالثة: «فقد رآني في اليقظة» قال ابن حجر: «وجل أحاديث الساب كالثالثة إلا قوله في اليقظة» (فتح الباري ٣٨٣/١٢).

(٤) فتح الباري ٣٨٥/١٢.

(٥) هو علي بن حلف بن عبد الملك بن بطلال وكنيته أبو الحسن، من أهل قرطبة، عالم بالحديث، له شرح البخاري، توفي سنة ٤٤٩ هـ (الأعلام ٩٦/٥).

(٦) فتح الباري ٨٥/١٢ شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥: ٢٩٣ الطبعة الأولى.

وقيل: إنه على التشبيه والتمثيل، ويدل على ذلك قوله في الرواية الثانية: «لكأنا رأني في اليقظة»^(١).

وقيل: المعنى أنه يراه يقظة في الآخرة، وفي هذا بشارة لرائيه بأن يموت مسلماً؛ لأنه لا يراه تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته على الإسلام. وهذا قول الدمامي^(٢) ونصره محمد الخضر الشنقيطي^(٣)، وهو الذي أميل إليه.

أنه يراه في المرأة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهو قول ابن أبي جمرة. قال في الفتح: «وهذا من أبعد المحامل»^(٤).

أنه يراه حقيقة في الدنيا ويخاطبه^(٥).

ثانياً: أن هذا الاحتمال الأخير باطل وذلك من وجهين:

الأول: أنه مستحيل شرعاً، ووجه ذلك:

١ - أن النبي ﷺ قد مات فادعاء حياته بعد موته ﷺ قبل يوم القيامة مستحيل شرعاً؛ لما يلزم منه مخالفته لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٦).

ولا يتأتى على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذلك الشهداء، ولما ورد عن النبي ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلّم عليه^(٧)، فإن تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة ولذا يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص، ثم إنه يلزم من ذلك أن يطالبوا بالتكاليف وأن يخرجوا ليجاهدوا أعداء الله، واللازم باطل وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

٢ - أن حمله على رؤية النبي ﷺ يقظة في الدنيا بعد وفاته يلزم منه ادّعاء الكذب على

(١) فتح الباري ١٢/٣٨٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/٢٨٩، فتح الباري ١٢/٣٨٥.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ٥٤، ٥٥.

(٤) فتح الباري ١٢/٣٨٥.

(٥) فتح الباري ١٢/٣٨٥.

(٦) سورة الزمر آية: ٣٠.

(٧) رواه أبو داود وسكت عنه (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٦/٢٦). ورواه أحمد في المسند

(المسند ٢/٥٢٧). قال ابن القيم: وقد صح إسناد هذا الحديث وسألت شيخنا ابن تيمية عن سماع

يزيد بن عبد الله عن أبي هريرة فقال: «كأنه أدركه وفي سماعه منه نظر». اهـ (عون المعبود ٦/٣٠).

رسول الله ﷺ وذلك مستحيل؛ لأن النبي ﷺ معصوم عن الكذب، وبيان ذلك. أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»^(١).

فعلق الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعاً كثيراً من سلف الأمة وخلفها قد رأوه في المنام ولم يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق ﷺ لا يتخلف^(٢).
الثاني: أنه مستحيل عقلاً:

قال القرطبي: «وهذا القول يدرك فسادُه ببادئ العقول إذ يلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها.

وأن لا يراه راثنين في آن واحد في مكانين.

وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطبوه، ويلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل»^(٣).

واعترض على هذا بأن النبي ﷺ يمكن أن يراه شخصان في مكانين مختلفين في وقت واحد، كما ترى الشمس أو القمر في أماكن متعددة في آن واحد من جماعة كثيرين^(٤).

وأحيب عن هذا الاعتراض بأن النبي ﷺ بشر كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولم يكن له حجم الشمس وارتفاعها حتى يمكن أن يراه جمع كثير في وقت واحد، ثم إن النبي ﷺ إذا كان في بيته لا يراه إلا من كان معه في البيت دون من كان خارجه، وكذلك الشمس فإنها لو رؤيت داخل بيت في جرمها لاستحال رؤية جرمها في بيت آخر^(٥).

ثالثاً: أنه على فرض صحة هذا الاحتمال لا يليق بعالم بله غيره أن يصرف هذا الدليل إلى هذا الاحتمال؛ لأن من القواعد الأصولية: أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، فكيف إذا كان هذا الاحتمال ينقضه نفس الحديث ويرده الشرع والعقل^(٦)؟

(١) سبق تخريجه ص ١٢٢.

(٢) فتح الباري ١٢ / ٣٨٥.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥ / ٢٩٣، فتح الباري ١٢ / ٣٨٤.

(٤) علماء تزكية النفس: ٥٠.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥ / ٢٩٥.

(٦) مشتهى الخواف الجاني: ٥٥، ٥٦.

رابعاً : ما نقلوه عن ابن أبي جمرة من قوله: «ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصص منه عليه السلام فمتعسف»^(١).

مردود بأن الحديث ليس نصاً صريحاً في رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا ولا في الآخرة، فتخصيصه بالدنيا بغير مخصص تعسف أيضاً.. لكن لما كان تأويله برؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا مخالفاً للشرع والعقل؛ حملته جمهور العلماء على رؤية النبي ﷺ بقطعة في الآخرة. والله أعلم.

الدليل الثاني :

قال في رماح حزب الرحيم: «إن رؤية النبي ﷺ داخلية تحت قدرة الله تعالى، فالمنكر لها منكر لقدرة الله على ذلك، ومن أنكر قدرة الله فقد كفر. والله سبحانه وتعالى الذي أحيا الميت ببعض البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾^(٢)، والذي جعل دعاء إبراهيم سبباً لإحياء الطيور: ﴿ثم ادعهم يأتينك سعيًا﴾^(٣)، وجعل تعجب العزيز سبباً لموته وموت حمارة ثم لإحيائهما بعد مائة سنة، قادر على أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سبباً لرؤيته في البقعة»^(٤) اهـ. ملخصاً.

وقال محمد الحافظ التجاني: «وأصل الاجتماع الروحي اجتماع النبي ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام وهم في الدار الآخرة، وكان الكلیم سيدنا موسى عليه السلام سبباً في تخفيف الصلوات عن هذه الأمة وهو في الدار الآخرة، وصح أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس وقد أوصى بها بعد استشهاد.

أخرج الحاكم في المستدرک: عن ثابت عن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس كفنهُ وقد انهزم أصحابه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتكم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة. ثم حمل فقاتل ساعة فقتل وكانت درعه قد سُرقت، فرآه رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قدر تحت إكاف بمكان كذا وكذا وأوصى بوصايا، فطلب الدرع فوجد حيث قال فأنفذوا وصيته. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي»^(٥).

(١) انظر ص ١٢٢.

(٢) سورة البقرة آية: ٧٣.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

(٤) رماح حزب الرحيم ١/ ٢٠٥، رسالة علماء تركية النفس ١٨.

(٥) قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرک ٣/ ٢٣٥).

وعن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان أعتق عشرين عبداً مملوكاً ودعا بسر اويل فشدّها عليه - ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام - وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشر بين يديه فقتل وهوبين يديه «رواه أبو يعلى في الكبير ورجالها ثقات وله طرق أخرى غير هذا»^(١) اهـ.

وقال محمد الحافظ: «وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه»^(٢) اهـ.

المناقشة:

١ - إن الذين ينكرون رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا هم من أعلم الناس بقدرة الله تعالى: «وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً»^(٣). فالله تعالى قادر على أن يجعل عباده كلهم مؤمنين: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»^(٤) وكما أنه قادر على أن يجعل المبتدع سنياً ملتزماً، ولكن هكذا شاء الله عز وجل: «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»^(٥).

فمن اعتقد أن النبي ﷺ لا يرى يقظة بعد موته في الدنيا فقد بنى ذلك على أن هذه المسألة من المسائل الاعتقادية - لأنه منكر لقدرة الله - والأصل في الأمور الاعتقادية الحظر حتى يرد دليل يرفع هذا الحظر، وليس هناك دليل شرعي معتبر يرفع هذا الحظر، بل دلّ الشرع والعقل على خلاف ذلك.

٢ - أن قدرة الله تعالى متعلقة بكل شيء إذ هو القادر على كل شيء سبحانه، فلا تلازم إذاً بين قدرة الله تعالى وبين رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، إذ لو قلنا بذلك للزم من هذا القول إباحة جميع المحرمات، وتحريم جميع المباحات، وإلغاء جميع الشرائع، وإفساد

(١) قال الهيثمي: رواه عبد الله وأبو يعلى في الكبير ورجالها ثقات. (مجمع الروائد ٧/ ٢٣٢ ط الثانية).

(٢) رسالة علماء تزكية النفس ٥٧، ٦١.

(٣) سورة فاطر آية ٤٤.

(٤) سورة يونس آية ٩٩.

(٥) سورة السجدة آية ١٣.

العباد والبلاد؛ لأن الله قادر على ذلك جميعاً، فمن الممكن أن نبيح الزنا لأن إباحته داخلية تحت قدرة الله، ومن الممكن أن نحرم الصلاة لأن تحريمها داخل تحت قدرة الله، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم. والله أعلم.

٣ - أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد أنكرها جمع غفير من العلماء والأئمة كابن حجر العسقلاني وأبي بكر ابن العربي وابن تيمية والألوسي وغيرهم، فهل معنى هذا أنهم يجهلون قدرة الله عز وجل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

٤ - إن ما استدل به محمد الحافظ من إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قياساً على رؤية النبي ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء يقظة في الدنيا لا يصح، وبيان ذلك:

(أ) أن الإسراء والمعراج كانا معجزة للنبي ﷺ خاصة لا يقاس عليه غيره.
(ب) أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا أمر من أمور الاعتقاد لا يجوز فيها القياس؛ لأنها توقيفية.

٥ - أن كل ما ذكره من الآثار فغاية ما فيها رؤى منامية وهذه ثابتة للنبي ﷺ ولسائر أمته في الأحاديث الصحيحة^(١)، والنزاع في اليقظة لا في المنام.

٦ - قوله: «.. وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه»^(٢).
يجاب عنه من وجهين:

(أ) أن هذا قياس لا يصح؛ لأن الرؤية في النوم قد جاءت بذكرها الأحاديث الصحيحة بخلاف رؤية اليقظة، فقد دل الشرع والعقل على خلافها، فلا يصح قياس ما دل الدليل على منعه على ما دل الدليل على إثباته.

(ب) أن قوله: «.. والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه» غاية ما فيه الاستدلال بقدرة الله تعالى وقد سبق الجواب عنه^(٣).
الدليل الثالث:

أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كرامة يمنحها الله من يشاء من عباده، فالمنكر

(١) انظر ص ١٣٣.

(٢) انظر ص ١٢٦.

(٣) انظر ص ١٢٦.

لها منكر لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسنة والآثار المسندة، ففي الكتاب قصة أصحاب الكهف وقصة الخضر مع موسى وقصة آصف بن برخيا مع سليمان.. وغيرها.
وفي السنة قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار وحديث جريج وكلام الطفل ببراءته.. وغيرها كثير.

ومن الآثار قصة عمر رضي الله عنه مع سارية.
ومن العقل والنظر وقوعها المتكرر تكراراً ينتهي إلى حد القطع بشهادة الكتاب والسنة والإجماع^(١).
المناقشة :

١ - إن هذا الدليل لا يرد على محل النزاع إذ لا تلازم بين إنكار رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا وبين إنكار الكرامة، فقد أنكر رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته جمع من العلماء المشتهين لكرامات الأولياء كابن حجر العسقلاني والقرطبي وابن العربي والأهدل وغيرهم.
٢ - إن رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا ليست من باب الكرامة، وبيان ذلك:
(أ) أن الكرامة هبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده الصالحين لا تطلب ابتداء^(٢)، وهم يقولون بطلبها ابتداء.

(ب) أن الكرامة لا تدرك بالتعلم، وهم يقولون بأنها تدرك بالتعلم عن طريق كثرة الذكر والرياضة^(٣).

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي: «أما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها ولا تحد ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني^(٤) اهـ.
(ج) أن الكرامة أمر خارق للعادة لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، ورؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا معارضة لنص شرعي^(٥) كما أنها مستحيلة عقلاً^(٦).

(١) الجيش الكفيل بأخذ الثأر: ٥٤، ٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١ / ٣٦٠.

(٣) بغية المستفيد ٧٩، ٨٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١٩٨ المكتب الإسلامي.

(٥) انظر ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٦) انظر ص ١٢٣.

(د) أن الكرامة غالباً لا تحدث إلا مرة واحدة في العمر وربما مرة واحدة على امتداد الزمان، بينما يرى التجانيون أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا تقع لآلاف البشر في الوقت الواحد، وكل ذلك يبطل القول بأنها من باب الكرامة. والله أعلم.

الدليل الرابع :

«أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد وقعت لجمع غفير من سلف هذه الأمة منهم الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبدالرحمن القناوي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر، وإبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وغيرهم»^(١)

المناقشة :

١ - إذا ظهر في كلام الأولياء والصالحين ما يخالف الشرع والعقل فينبغي أن يحمل على أحسن المحامل ويصار إلى تأويله، إذ قد ينقل عنهم الكلام ويفهم على غير ما أرادوا؛ لتفاوت المدارك واختلاف العقول، فمن ذلك مثلاً ما قاله أبو العباس المرسي: «لوحجب عي السي ﷺ طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين» قال الشيخ الأهدل^(٢): «فهذا كلام فيه تجوزيقع مثله في كلام الشيوخ والصالحين، والمراد به أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان عن دوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأقوال، ولم يرد أنه لم يحجب عن الروح الشخصية فذلك مستحيل»^(٣).

أما من لم يبلغ درجة أولئك في الصلاح والتقوى فلا عرة مما يقوله، إنما هو شيطان تمثل له وأخبر قرينه بخبر كاذب، بل قد يتمثل الشيطان لعباد الله الصالحين كما حدث لعبد القادر الجيلاني فقد رأى الشيطان في النوم فقال له: أنا ربك قد أبحت لك المحرمات. فقال: أخساً يا لعين. فقليل له: بم عرفت أنه شيطان؟ قال: «بقوله: أبحت لك المحرمات، بقوله: أنا ربك

(١) رماح حزب الرحيم ١/ ١٩٩. الجيش الكفيل بأخذ الثأر ٦٤، ٦٥.

(٢) هو حسين بن عبدالرحمن بن محمد الحسيني العلوي الهاشمي بدر الدين أبو محمد، والأهدل: أحد أجداده، ولد في أبيات حسين في اليمن سنة ٧٨٩هـ وانتقل إلى زيد ومنها إلى مكة، مفتي الديار اليمنية، من كتبه: «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد» و«اللمعة المقنعة في ذكر فرقة المبتدعة» توفي في أبيات حسين سنة ٨٥٥هـ (الأعلام ٢/ ٢٥٩).

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٣٠٠، ٣٠١.

لانتقطع النزاع، فكيف لا يظهر في اليقظة لأفضل الناس بعده في أمرهم؟
٢ - اختلاف أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة الزهراء رضي الله عنها على الميراث، واشتداد حزنهما على أبيهما بعد وفاته.

٣ - ما وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، حتى وقعت حرب الجمل فقتل فيها خلق كثير من الصحابة.

٤ - خلاف علي رضي الله عنه مع الخوارج، وما وقع بين علي ومعاوية من النزاع^(١).
ففي كل هذه الحوادث لم يرو أن النبي ﷺ ظهر لأصحابه يقظة ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلة وتقوى؟ والله أعلم.

الدليل الخامس :

أن رؤية النبي ﷺ يقظة قد قال بها علماء كثيرون قبل التجاني كالإمام السيوطي، وابن أبي جمرة، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني^(٢)، وابن حجر المكي الهيثمي، والغزالي، وابن الحاج^(٣)، والسبكي، والعفيف اليافعي^(٤).

قال الإمام السيوطي: بعد أن ذكر حديث البخاري: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»^(٥) وبعض النقول عن بعض العلماء.. قال: «فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهويته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونها أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٥، غاية الأمان في الرد على النبهاني ١/ ٢٢٦.

(٢) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، نسبته إلى بني نيهان من فلسطين، ولد سنة ١٢٦٥ هـ، له كتب منها: «معجم الشيوخ» خلط فيها الصالح بالطالح وله كتاب «جامع كرامات الأولياء» ولمحمود شكري الألوسي كتابان في الرد عليه الأول: «غاية الأمان في الرد على النبهاني» والثاني: «الآية الكبرى في الرد على الراية الصغرى» توفي سنة (١٣٥٠ هـ) في قريته «أجزم» (الأعلام ٩/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحاج أبو عبد الله المالكي الفاسي، نزيل مصر، كف بصره في آخر عمره، له كتاب «مدخل الشريعة الشريف» وله شمس الأنوار، وكنز الأسرار، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٧ هـ (الأعلام ٧/ ٢٦٤).

(٤) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ٥٨، رسالة علماء تركية النفس ٣٨، ٣٩.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٢٢.

عمن أراد برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك ولا داعي للتخصيص برؤية المثل^(١).

وقال الغزالي: بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير خلق الله: «حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق»^(٢) انتهى.

المناقشة:

هذا الدليل مردود من وجهين:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى حينما بعث نبيه ﷺ أنزل عليه القرآن وآتاه الحكمة فحد الحدود وبين الشرائع والأحكام، فما دلت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفينا، وما اختلف فيه رد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذ هما المرجع في هذا الباب. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾^(٣) ولم يمت النبي ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين وأتم به على عباده النعمة كما قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٤).

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا وكذلك لم يرو شيء في السنة المطهرة، وأما الحديث السابق^(٥) فقد بينا آنفاً بطلان الاستدلال به على رؤيته ﷺ يقظة بعد موته ووجه الحق فيه. والله أعلم.

الثاني: أن الله تعالى قد حفظ كتابه: ﴿إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٦) وقد عصم الله نبيه ﷺ فلا يبلغ عن ربه إلا الحق: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٧) وكلام العلماء يؤخذ منه ويرد مهما بلغت منزلتهم علماً وتقوى وورعاً، فهم مقيدون

(١) الحاوي للفتاوي ٢/ ٤٣٥.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ٣١ مطبعة شمس الحرية.

(٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤) سورة المائدة آية ٣.

(٥) انظر ص ١٣١.

(٦) سورة الحجر آية ٩.

(٧) سورة النجم آية: ٣، ٤.

بالكتاب والسنة إذ هما المحك فما وافقهما قبل، وما خالفهما ردّ، وعبارات العلماء في هذا المعنى كثيرة.

وهناك كثير من العلماء الأجلاء الذين لهم باع طويل في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومع ذلك لم يسلموا من الزلل، والأمثلة على ذلك كثيرة في باب العقائد وفي باب الفروع، وقد تركت ذكرها أدباً مع علماء الشريعة.

مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ بقطة بعد موته في الدنيا، وحكم من قال: إنه يرى النبي ﷺ بعد موته بقطة:

قبل الحديث عن رؤية النبي ﷺ بقطة بعد موته يحسن أن نشير إلى حكم رؤيته في المنام فنقول وبالله التوفيق:

إن رؤية النبي ﷺ في المنام حق؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بالسند المتصل عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني»^(١)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٢).

وقال أبو قتادة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق»^(٣).

وأما رؤيته ﷺ بعد موته فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يرى بقطة، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبس الشيطان - لعنه الله - ولا يتأتى عليه حديث: «فإن الشيطان لا يتمثل بي».

فإن الشيطان كما أخبر ﷺ لا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخير كاذب كما فعل ذلك مع الجيلاني^(٤).

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: «وقد ثبت في الصحيح عن النبي

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/٣٨٣).

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/٣٨٣)، وروى مسلم الجزء الأول منه

(صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥/٢٤)

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/٣٨٣)، ورواه مسلم في صحيحه المطبوع

مع شرح النووي ١٥/٢٦)

(٤) انظر ص ١٢٩

ﷺ أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»^(١) فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان فمنعه الله أن يتمثل به في المنام. أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت^(٢) فقد أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول، ومنهم من يقول: إن هذه رقيقة ذلك المرئي (أي قرينته وشبحه)، أو هذه روحانيته وهذا معناه لشكل (لعلها تشكل) ولا يعرفون أنه جني تصور بصورته، ومنهم من يظن أن ذلك ملك، والملك يتميز عن الجني بأشياء كثيرة.. والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل أو تمريرض.. وتارة يسرقون له ما يسرقون من أموال الناس.. فيعتقد أنها من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً.. إلخ»^(٣).

وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي في استحالة رؤيته ﷺ يقظة بعد موته^(٤). وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة»^(٥).

والأدلة على عدم إمكان رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة كثيرة أشرنا إلى كثير منها في المناقشة، ونلخصها فيما يلي:

١ - أن رؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف، فلا يجوز بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على إثباتها، ولم يدعيها أحد - فيما نعلم - من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول وهو ما يعرف عندهم: «بانتفاء المدرك». أما حديث: «فسيراني في اليقظة» فقد بيّنّا كلام العلماء على هذه الرواية ووجه الحق فيها

(١) رواه مسلم بنحوه (صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٦/١٥).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب «النبي».

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٢٩، ٣٠ المطبعة السلفية.

(٤) انظر ص ١٢٤.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٢٩٩/٥.

فارجع إليه^(١) وفقك الله للصواب.

٢ - أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا مستحيلة شرعاً وعقلاً ، وقد سبق بيان ذلك^(٢).

٣ - أنه قد حدثت حوادث خطيرة في صدر الإسلام كانت الحاجة فيها إلى ظهوره ﷺ شديدة جداً، ومع ذلك لم يذكر أحد أنه ﷺ روي يقظة فكيف يظهر للمفضول ولا يظهر للفاضل^(٣).

فمن قال بأن النبي ﷺ يرى يقظة بعد موته في الدنيا فقد أتى بقول يدرك فسادَه بأوائل العقول، قال القسطلاني: قال في المواهب اللدنية: «وبالجملة فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فسادَه بأوائل العقول؛ لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبة الناس له.. إلخ»^(٤).
وقد سبق ذكر قول القرطبي في ذلك^(٥).

(١) انظر ص ١٢٢

(٢) انظر ص ١٢٤.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٥، غاية الأمان في الرد على النبهاني ١/ ٢٦٦.

(٤) المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٥/ ٢٩٩.

(٥) انظر ص ١٢٤

المطلب الثاني

فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته يقظة

ذكر بعض النصوص التي تبين عملهم فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته في
اليقظة:

كما يزعم التجانيون أنهم يرون النبي ﷺ يقظة، فإنهم يزعمون أنهم يستفتونه ويسألونه عن
أمر دينهم ودينهم ويتلقون منه الأوراد ويصحح لهم الأحاديث فيعملون بذلك، وفيما يلي
بعض النصوص الدالة على ذلك وهذه النصوص منها ما يدل على اعتقادهم ذلك، ومنها ما
يدل على تطبيقهم لهذا الاعتقاد.

فمما يدل على اعتقادهم ذلك :

ما جاء في بغية المستفيد: «.. عن الشيخ أحمد الزواوي كان يقول: طريقنا أن نكثر من
الصلاة عليه ﷺ حتى نصير من جلسائه ونصحه يقظة مثل أصحابه، ونسأله عن أمور ديننا
وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله فيها. اهـ. قال مؤلف بغية المستفيد
تعليقاً: إلى غير هذه العبارات المشيرة إلى كيفية الطريقة المحمدية»^{(١)(٢)}.

وأما ما يدل على تطبيقهم لذلك فمعه :

١ - قال مؤلف جواهر المعاني عن الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق: «هي من إملأ
رسول الله ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لاماماً»^(٣).

٢ - وقال أيضاً: «.. سأل سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود، عن نسبه
وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الآل والأحماد؟ فأجبه ﷺ بقوله. «أنت ولدي حقاً» كررها
ثلاثاً ﷺ، وقال: نسبك إلى الحسن بن علي صحيح، وهذا السؤال من سيدنا رضي الله عنه
لسيد الوجود يقظة لاماماً، وشهره ﷺ بأمور عظام جسام ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم»^(٤).

(١) تسمى الطريقة التجانية عندهم بالطريقة المحمدية والأحمدية والإبراهيمية والحنفية.

(٢) بغية المستفيد ٧٩.

(٣) جواهر المعاني ٢/ ٢٢٨.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٣٠، ٣١.

وقال أيضاً فيما يرويه عن شيخه التجاني: «قال: رأيت مرة ﷺ، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام، قلت له: ورد عنك راويتان صحيحتان واحدة قلت فيها يمكن بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى سبعا.. ما الصحيحة منها؟ قال ﷺ: رواية السبع»^(١).

(ب) المناقشة:

١ - لو سلمنا جدلاً - وهو محال - أن النبي ﷺ يرى يقظة، فالحق أنه لا عمل إلا بالكتاب والسنة، والسنة هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف، وما ادعاه التجانيون من الإخبار عن النبي ﷺ يقظة بعد موته فليس داخلاً في تعريف السنة، فلا يمكن أن يسمى حديثاً مرفوعاً ولا موقوفاً ولا مرسلأ ولا مضطرباً ولا شاذأ.

قال محمد الخضر الشنقيطي: «فإن كانت مرفوعة متصلة الإسناد كما يقول صاحب المنية:

وكل ما يروى فعن خير الوري مترجم لفظه بالامرا»^(٢)

فعلى هذا يكون ما قالوه وحياً مروياً عن النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٣) ويكون هو صحابياً والقلوب عنه تابعيون، أو تكون غير مرفوعة متصلة الإسناد لاستحالة وجود الصحابة في القرن الثاني عشر، فتكون مروية عن النبي ﷺ مباشرة وهذا غير معقول، اللهم إلا أن يقولوا: إن شريعتهم لما كانت مخترة غير داخلية تحت قانون شرعي وجب أن يخترع لها اصطلاح غير داخل في اصطلاح المحدثين»^(٤).

٢ - أنه يشترط فيما روي عن النبي ﷺ في حياته صحة السند وعدالة الرواة، فكيف يروى لانشك في بطلانها لمخالفتها للأدلة النقلية والعقلية.

٣ - أن اتصال النبي ﷺ بالناس قد انقطع بوفاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ. ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعين﴾ وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أساساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال:

(١) جوامع المعاني ٥٥/١.

(٢) منية المريد ٧ مكتبة القاهرة.

(٣) سورة النجم اية ٣، ٤.

(٤) مشتهى الخارف التجاني: ٤٤، ٤٥.

إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم .. إلى قوله .. الحكيم﴾^(١).

قال الألوسي: «ومعنى الجملتين: أنني ما دمت فيهم كنت مشاهداً لأحوالهم فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك فلا أعلم حالهم ولا يمكنني بيانها»^(٢).

ففي الحديث كما ترى تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول ﷺ وبين الناس بعد مماته. وقال ابن القيم: «فالعالم اللدني نوعان: لدني رحمانى، ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ»^(٣).

٤ - وقد اختلف الأصوليون هل يجوز للرسول ﷺ تأخير البيان إلى وقت الحاجة أو لا يجوز له ذلك؟ أما تأخير البيان إلى ما بعد وفاته ﷺ فلم يقل به عاقل فضلاً عن عالم منصف يطلب الحق ويتحرى الحقيقة.

٥ - وسئل الشيخ التجاني: «أيكذب عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه»^(٤).

قلت: وقد عرضنا ذلك على الكتاب والسنة فبان بطلانه وبعده عن الحق، فوجب عليهم رده أخذاً بوصية شيخهم، كيف لا، وقد بان لهم الدليل.

وسياتي لهذه المسألة زيادة بيان في المبحث الثاني من هذا الفصل^(٥).

مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته:

١ - سبق أن بينا بالأدلة^(٦) مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة

وأنها من تخييل الشيطان وتوهمه، وبناء على ذلك فإن ما يدعون أنهم تلقوه عن النبي ﷺ بعد موته يقظة في الدنيا ليس من النبي ﷺ وإنما هو من تخييل الشيطان وتوهمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/ ١٩٤).

(٢) روح المعاني ٧/ ٦٩، إدارة الطباعة المنيرية.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٦١.

(٤) رسالة «الانتصاف» ١ (الحلقة الثالثة) محمد المحافظ التجاني.

(٥) انظر ص ١٤١.

(٦) انظر ص ١٣٣.

أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا أو سمعوا أموراً من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين.. فأهل الهند يرون من يعظمونه^(١) من شيوخهم الكفار وغيرهم، والنصارى يرون من يعظمونه^(٢) من الأنبياء والحواريين وغيرهم، والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه^(٣)، إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجييبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحبه.. وهذا وأمثاله، أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم.. ولكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثيراً منهم إذا صدق به ظن أنه من الآيات الإلهية وأن الذي رأى ذلك رآه لصاحبه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضل الشيطان^(٤).

٢ - أن النبي ﷺ إذا رؤي في المنام وتكلم بشيء أو أمر بشيء أو نهى عن شيء، فإن كان موافقاً للكتاب والسنة ولم يحرف حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية؛ علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق، وتكون الرؤيا بشارة وتأييماً للرأي، ولا يجوز إثبات حكم شرعي بمجرد الرؤيا.

قال الإمام النووي رحمه الله في حديث: «من رآني في المنام فقد رآني»^(٥): «فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلييس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حال النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سياً الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن شيء منه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خوف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل تقرر من أصل ذلك

(١) كذا في الأصل والأقرب إلى الصواب «يفظنونه».

(٢، ٣) كذا في الأصل والأقرب إلى الصواب «يفظنونه».

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧ / ٣٩٠، ٣٩٢.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

الشيء، والله أعلم»^(١).

وإن كان الأمر مخالفاً لما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع، وقد حكى الإمام النووي الاتفاق على ذلك^(٢)، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن رجلاً رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: اذهب إلى موضع كذا فاحفره فإن فيه ركازاً فخذ لك ولا خمس عليك فيه، فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع فحفره فوجد الركاز فيه، فاستفتى علماء عصره فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العزيز بن عبد السلام بأن عليه الخمس وقال: «أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث صحيح وقد عارضه ما هو أصح منه وهو حديث: «في الركاز الخمس»^(٣).

فإذا كان هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي ﷺ في النوم مع ثبوت رؤيته ﷺ في المنام في الأحاديث الصحيحة^(٤)، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عن النبي ﷺ بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة بالشرع والعقل كما سبق^(٥)؟

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١/ ١١٥.

(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١/ ١١٥، الموافقات للشاطبي ٢/ ١٩٤، شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٤، المدخل لابن الحاج ٤/ ٣٠٣.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ ٢/ ١٠١، ط عبد الحميد أحمد حنفي، وقد نقلها أيضاً السيوطي والعزيزي والعتار في حاشيته على جمع الجوامع، وأبو عبد الله قنون في تعليقه على الموطأ.

(٤) انظر ص ١٣٣.

(٥) انظر ص ١٣٤.

المبحث الثاني إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه:
بعد أن ذكرنا في المبحث السابق رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته، وحكم ما يدعون أنهم تلقوه عن النبي ﷺ فيها، ناسب أن نذكر هذا الفصل؛ لأن ما عزوه إلى النبي ﷺ بعد موته من الأوراد والأخبار فيه اتهام للنبي ﷺ بعدم تبليغ ذلك للأمة وكنمه عنها.
والنصوص التي تدل على إيمانهم بأن النبي لم يبلغ جميع ما أنزل إليه من ربه وأنه كتم شيئاً منه، كثيرة جداً نذكر منها:

- ١ - قال مؤلف جواهر المعاني: «وسألته رضي الله عنه: هل خبر سيد الوجود بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصه:
الأمر العام الذي كان يأتيه عاماً للأمة طوي ساط ذلك بموته ﷺ، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص فإن ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا يتقطع»^(١).
ثم قال: «.. ولا يقال: إن خبره بعد موته ليس كخبره في حياته، بل هما سيان في جميع ما أخبر به ﷺ، إلا في التفصيل المتقدم من العام للعام، والخاص للخاص»^(٢).
- ٢ - وقال مؤلف الجيش الكفيل: «وسئل: هل كان ﷺ عالماً بفضل صلاة الفاتح لما أعلق؟ فقال: نعم كان عالماً به قالوا: ولم لم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت»^(٣).

(١) جواهر المعاني ١/ ١٤٠، رماح حزب الرحيم ١/ ١٤٦، الدرة الخريدة ١/ ٧٠، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٤١، الدرة الخريدة ٤/ ٢٠٣، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٣) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ١١٠، جواهر المعاني ١/ ١٤١.

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

قال مؤلف الجيش الكفيل بأخذ الثأر: وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله تعالى ما نصه: قال عليه الصلاة والسلام: «أخذت ليلة أسري بي ثلاثة علوم: علم أخذ علي العهد أن أبلغه للخاص والعام، وعلم أخذ علي العهد أن لا أبلغه إلا لخواص أصحابي الذين يقدرون على حمله، وعلم لا يقدر على حمله غيري فأخذ علي العهد ألا أخبر به أحداً».

ثم قال: «إذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، كيف وعنده علم الأولين والآخرين؟»^(١).

* المناقشة :

١ - إن هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد قال محمد بن عبد الباقي الزرقاني: «قال الشامي... وهو كذب بلا شك اهـ. والعجب من النعماني حيث أورد الروایتين بطولهما ساكتاً عليهما قائلاً: ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة»^(٢).

٢ - وعلى فرض صحة الحديث فإنه معارض بنصوص الكتاب والسنة التي تدل على أن النبي ﷺ قد بلغ جميع ما أوحى إليه من ربه ولم ينقص منه حرفاً ولم يزد عليه حرفاً، فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٤).

(١) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ١١٠، ١١١، رشق السهام ١١٢.

(٢) وهذا الحديث ذكر في بعض الكتب الصوفية فقد ذكره حسن فهمي النامرواني في كتابه: (الاقتصاد وشرح قصيدة البردة ١٤٠ المطبعة العامرية) عند قول البوصيري:

كيما تفوز بوصول أي مستتر عن العيون وسرأي مكتوم

كما ذكره ابن عطاء الله في كتابه: المنن، ومحمد بن القاسم القادري في حاشيته على شرح خالدة الأزهر على البردة.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) سورة المائدة ٦٧.

ومن السنة ما ورد عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»^(١).

٣- قوله: «فإذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه» يحتمل الحق والباطل، فإن أراد أن النبي ﷺ قد يخص بعض أمته بشيء لا تنبئ عليه الأحكام الشرعية فهذا حق، كما أخبر حذيفة وحده بأسماء المنافقين. وإن أراد أنه قد يخص بعض أمته بشيء ما أمر بتبليغه من الشرع فهذا باطل؛ لعموم آيات التبليغ وإكمال الدين السابق ذكرها قريباً^(٢).

* الدليل الثاني :

ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم»^(٣) قال مؤلف بغية المستفيد: «ومعلوم أنه لا يقطع منه البلعوم إلا بإفتاء من لم يطلعه الله تعالى على ما اختص به من العلم الذي يتحققه في باطنه عن رسول الله ﷺ.. وروي مثل ذلك عن مولانا علي كرم الله وجهه، قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: «وذلك لأنهم يعلمون من الله تعالى ما لا يعلمه غيرهم. قال: وهؤلاء هم حملة العلم الذين كان يقول فيهم علي بن أبي طالب حين يضرب بيده على صدره ويتنهد: «إن ههنا علوماً لو وجدت لها حملة» اهـ. وكثيراً ما تجري هذه العبارة على لسان سيدنا الشيخ رضي الله عنه كما يعلم من استقراء كلامه في رسائله وغيرها»^(٤).

* المناقشة :

١- إن الجواب الذي كتبه أبو هريرة في أول الأمر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده ولا شيء من الأحكام التكليفية، إذ أن هذا مما لا يجوز كتبه. وقد قيل: إن الذي في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين والملاحم التي تكون بين المسلمين والكفار، ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر: لو

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٠٤).

(٢) انظر ص ١٤٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢١٦).

(٤) بغية المستفيد ٦٦ - ٦٧.

أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم: كذب أبو هريرة، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها؛ لأن ذلك مما لا تحتمله رؤوس العوام، وقيل: إنه إنما كان يمتنع خوفاً من أن يسطو عليه أمراء بني أمية؛ لما يعرفه من الأحاديث التي تبين أسامي أمراء السوء، فكان أبو هريرة يكتفي عن بعضها ولا يصرح خوفاً على نفسه، كقوله: «أعوذ بالله من رأس ستين وإمارة الصبيان» يشير بذلك إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاءه ومات قبلها بسنة^(١).

٢- أن أبا هريرة من الصحابة المكثرين لرواية الحديث، ولو كانت من الأحكام التكليفية لما وسعه كتمانها لما روي عنه من قوله: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً. ثم يتلو: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات.. إلى.. الرحيم﴾.. الحديث»^(٢).

٣- إن جهل ما كتبه أبو هريرة لا يضر المؤمن وليست مما يقرب إلى الله تعالى من الأقوال والأعمال.

* الدليل الثالث :

قال مؤلف رشق السهام :

«وقد خص بني عبد الدار بالسدانة، وخزيمة بأن شهادته شهادة عدلين، وأبا بكر بفتح خوخته، وغير ذلك من الأحكام الظاهرة، وخص حذيفة بالسر، فظهر بما قررنا أن تخصيص النبي ﷺ ببعض الصحابة أو الصالحين بعدهم بمزية لا تعارض أصلاً شرعياً لا يعد كتماناً، وأنه محمول على أنه مما خير في تبليغه لا ما أمر بتبليغه للعامة، وأن من قال: إنه أخبره ﷺ بشيء لم يخبره الصحابة لا يعتد أنه مما أمر بتبليغه لا يعد ناساً له الكتمان المستحيل في حقه، سيما إذا كان هذا الشيء الذي ذكر داخلًا تحت النصوص الشرعية»^(٣).

* المناقشة :

١- إن ما خص النبي ﷺ به المذكورين ليس من علم معرفة الله وتوحيده وشرعه، إذ هذا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (رسالة الحجج العقلية والنقلية) ١١٢، فتح الباري ١/ ٢١٦، ٢١٧، مشتهى الخارف الجاني: ١٥.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢١٣).

(٣) رشق السهام: ١١٦، ١١٧.

مما لا يجوز أن يخص به أحد دون أحد.

٢ - أن السر الذي خص به النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه هو معرفته بأعيان المنافقين كما ثبت في الصحيح^(١)، ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة رضي الله عنه؛ لنهي الله عن الصلاة على المنافقين، وجهل المؤمن بأسماء المنافقين لا يضره^(٢).

٣ - أن عطف الصالحين على الصحابة في قوله:

«فظهر بما قررنا أن تخصيص النبي ﷺ بعض الصحابة أو الصالحين بعدهم بمزية.. إلخ» مردود؛ لأن النبي ﷺ له أن يخص من شاء من الصحابة بما شاء، أما الصالحين بعدهم فلا سبيل إلى ذلك بعد موته ﷺ وانقطاع الوحي.

وبهذا يتبين أنه لا دليل في هذا على دعوى التجانيين أن النبي ﷺ قد خص التجاني وأتباعه بأشياء كتّمها عن صحابته رضي الله عنه، فهو دليل في غير محل النزاع. والله أعلم.

* الدليل الرابع: واستدلوا بما ترجم به البخاري (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية الأيفهموا)^(٣).

* المناقشة:

وهذا الدليل مردود؛ لأن مراد البخاري رضي الله أن الناس مختلفون ففهم العلماء وفهم العوام وفهم من هو بين بين، فكل إنسان يخاطب على قدر عقله، إذ لو حدثت العوام ببعض الأحاديث لافتتوا ورموك بالعظائم، ولذلك قال: «كراهية الأيفهموا».

ولورجعنا إلى الأحاديث التي ذكرها البخاري تحت هذا الباب لتبين لنا أن هذا مراده، فقد أورد الأثر المروي عن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٢٤/٧) ونصه: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود ابن عامر، حدثنا شعبة بن الحجاج عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس قال: قلت لعمار: أرايتم صنعكم هذا الذي صنعتكم في أمر علي، أرايتم أرايتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ، فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: في أصحابي اثنا عشر متافقاً منهم ثمانية تكفيكم الديلة وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم».

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل: ١١٢، ١١٣.

(٣) رشح السهام ١١٦ مطبعة الأمتية، الرباط.

ورسوله؟^(١) وهذا ليس فيه شيء من الكتم المزعوم.

وما رواه أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرجل - قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً. قال: ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذن يتكلموا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً^(٢).

يجاب عنه بأن معاذاً لو كان يعتبر ذلك سراً لا يسعه التحدث به لما تحدث به عند موته خوفاً من الإثم، ولذلك قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «دل صريح معاذ على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم، وإلا لما كان يخبر به أصلاً، أو عرف أن النهي مقيد بالاتكال فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك. ثم قال الحافظ: «والأول - أي حمله على التنزيه - أوجه؛ لكونه أخر ذلك إلى وقت موته»^(٣) اهـ.

وبهذا يتبين أنه لا دليل لهم في حديث معاذ على ما ادّعوه.

وبعد مناقشة هذه الأدلة نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة فنقول وبالله التوفيق:

(أ) قوله: «وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، وأن ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع»^(٤).

هذا القول مردود من وجوه:

١ - أنه لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة، ولا يجوز قبول شيء من أمر الدين إلا بالوحي من كتاب أو سنة، وذلك لأن السنة وحي من عند الله: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٥) والرسول ﷺ لا يكذب على الله، لقوله ﷺ في حديث تأييد النخل: «فيه: ..» فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل^(٦) ولم يرو عن النبي ﷺ

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٢٦).

(٣) فتح الباري ١/ ٢٢٧.

(٤) انظر ص ١٤١.

(٥) سورة النجم آية: ٣، ٤.

(٦) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٥/ ١١٦، ١١٧).

شيء في ذلك حتى يؤخذ به.

٢ - أن النبي ﷺ قد بين في حياته لأئمة أحكام الدين كاملة كما في حديث جبريل، حينما سأل جبريل السي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: «.. ثم أدبر فقال: ردوه، فلم يروا شيئاً. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»^(١) فما خرج عن هذه الثلاثة فليس من الدين، ومنه الخاص الذي زعم التجانيون أن النبي ﷺ يلقيه للخاص فليس من الدين وليس مما يقرب إلى الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ بين لأئمة كل شيء يقربها إلى الله وحذرهما من كل شيء يحول بينها وبين مغفرته ورضاه، كما قال ﷺ:

«.. وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»^(٢).

وقال ﷺ: «ترك فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»^(٣) وما كان كذلك فلا يجوز اعتقاده والعمل به^(٤).

٣ - أن هذا القول فيه اتهام للنبي ﷺ بكتمان بعض ما أوحى إليه عن جميع أصحابه رضي الله عنهم، وهذا مخالف لكثير من الآيات والأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٦).

وحديث أبي جحيفة السابق^(٧)، وما خالف الكتاب والسنة فهو قول باطل قطعاً.

٤ - أن هذا النص يدل على أمر خطير وهو عدم انقطاع خبر السماء عن الناس بوفاة الرسول ﷺ، وهو خلاف ما ثبت عن أبي بكر وعمر وأم أيمن رضي الله عنهم. فعن أنس رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزرها كما

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ١١٤).

(٢) رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ٥/ ٣٧٧، ٣٧٨).

(٣) رواه مالك في الموطأ (موطأ مالك المطبوع مع شرحه الزرقاني ٤/ ٢٤٦).

(٤) الهدية الهادية ١٨ الطعة الثانية.

(٥) سورة المائدة آية ٦٧.

(٦) سورة المائدة آية ٣.

(٧) انظر ص ١٤٣.

كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلتا يبكيان معها^(١).

(ب) قوله حينما سئل: «هل كان النبي ﷺ عالماً بفضل صلاة القاتح لما أغلق؟ فقال: نعم، كان عالماً به. قالوا: ولم لم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت»^{(٢)(٣)}.

قلت: وهذا تصريح من التجاني بأنه هو وأتباعه أفضل من أصحاب النبي ﷺ بما فيهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. ويكفيك بهذا مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن النبي ﷺ كنتم شيئاً من وحي الله. ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النبي ﷺ لم يتوفه الله حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ولم يكنتم شيئاً مما أوحاه الله إليه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٤).

قال الطبري: «قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ يعني: إن كتبت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتي»^(٥).

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٦/٩، ١٠).

(٢) انظر ص ١٤١.

(٣) وهذه العبارة قال محمد الحافظ التجاني في رسالة علماء تركية النفس ص ١٢ إنها لم ترد في كتب الطريق وهي مكذوبة على الشيخ، وقد وجدت مذكورة في كتاب جواهر المعاني ١/١٤١ وكتاب الجيش الكفيل بأخذ الثأر ص ١١٠ وهذا يدل على أنه أنكرها قصداً، أو أنه يدافع عن طريقة لا يعرف أصول مذهبها وما في كتبها من خرافة، وكلاهما خطأ كبير في رجل محدث مثله!!

(٤) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٥) تفسير الطبري ١٠/٤٦٨ دار المعارف بمصر، تفسير القرطبي ٦/٢٤٢ دار الكتاب العربي.

٢ - ومنها قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾^(١).

قال الفخر الرازي عند تفسير هذه الآية: «إنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فهيجه الله تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم، والغرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم، وإن لم يؤد ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي إيقاع الخيانة منه، فلماذا لا بد من تحمل أحد الضررين، وتحمل سفاهتهم أسهل من تحمل إيقاع الخيانة في وحي الله تعالى»^(٢).

٣ - ومنها قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٣) فدلّت هذه الآية على أن الدين قد كمل، وقد قال بعض السلف: وما لم يكن بيمينه دين فليس بدين.

٤ - وقد شهد الله تعالى لرسوله بالتبليغ في مواضع كثيرة من القرآن وكفى بها شهادة:

قال تعالى: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتهم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿فإن توليتهم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾^(٦) يعني كما قال المفسرون: «فإن توليتهم فلن تضروا الرسول ﷺ شيئاً إنما عليه البلاغ وقد فعل»^(٧).

*ومن السنة:

ما رواه البخاري عن مسروق عن عائشة أنها قالت: «من حدّثك أن محمداً ﷺ كتّم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾ الآية ..»^(٨).

(١) سورة هود آية ١٢.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٩٣ المطبعة البهية.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) سورة المائدة آية ٩٩.

(٥) سورة التغابن آية ١٢.

(٦) سورة المائدة آية ٩٢.

(٧) روح المعاني ١٧/ ٧.

(٨) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٨/ ٢٧٥) ورواه مسلم بلفظ: عن عائشة =

وفي رواية لمسلم عن عائشة أنها قالت: «.. ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتُم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾» (١).
ومنها حديث أبي جحيفة السابق (٢).

فهذه الأحاديث كلها تدل على أن النبي ﷺ قد بلغ كل ما أوحى إليه ولم يكتُم منه شيئاً كما يزعم التجانيون.
* الإجماع:

أجمع المسلمون على أن الرسول ﷺ قد بلغ رسالة ربه ولم يكتُم منها حرفاً واحداً، قال الرازي في التفسير الكبير: «أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحى إليه؛ لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة، وأيضاً فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه، فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها» (٣).

ومن اعتقد أن النبي ﷺ قد كتُم شيئاً مما أوحاه الله إليه فقد كفر؛ لمخالفته لصريح القرآن والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله: «.. واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتُم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتُمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتُمهم شيئاً لما بلغ كما أمر، ومن قال هذا فهو كافر، إياكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضع دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم» (٤).

- أنها قالت: «.. ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتُم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾».. الحديث» (صحيح مسلم بشرح النووي ٣: ٨، ٩).

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ١٠).

(٢) انظر ص ١٤٣. (٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٩٣ المطبعة البهية المصرية.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٦ مكتبة المثنى ببغداد.

المبحث الثالث

إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين :

يؤمن التجانيون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبالشيوخ التجاني، ومؤلفاتهم مليئة بالنصوص التي تدل على ذلك، وسنورد هنا نصين فقط لمجرد الدلالة على هذا الاعتقاد، وسيرد في الأدلة ما يؤيد ذلك ويدعمه، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب الطريق كجواهر المعاني، وكرماح حزب الرحيم، وكالبغية وغيرها..

١ - قال مؤلف رماح حزب الرحيم مشيراً إلى كيفية التوسل بالنبي ﷺ، وبالشيوخ التجاني فقال: «وأما كيفية التوسل به رضي الله عنه وبجده ﷺ فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة^(١)، وأهد ثوابها لرسول الله ﷺ بنية قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول: يارب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها - مائة مرة - ثم تقول: أسألك وأتوجه إليك بجاء القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً..»^(٢).

٢ - وقال مؤلف الدرة الخريدة: «من زار من الإخوان الأحمديين شيخاً من المشايخ حياً كان أو ميتاً بقصد التوسل به والاستمداد غير شيخنا أبي الفيض^(٣).. فقد خرج عن طريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها، بل اسلخ منها اسلخ الجلد عن النعاج، وانفصل عنها انفصال البيض عن الدجاج..»^(٤) إلخ.

(١) سبق ذكرها انظر ص ١١٣.

(٢) رماح حزب الرحيم في نحر حزب الرحيم ١/ ٢٦٥.

(٣) هي كنية التجاني وسموه بذلك لكثرة ما يفيضه عليهم من الخير كما يزعمون.

(٤) الدرة الخريدة ٣/ ١٤٤.

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

يستدلون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١).

وجه الدلالة منها أنه حينما سئل عن معنى هذه الآية قال: «معناها: اتقوا الله وخافوه من شدة عقابه وابتغوا إليه الوسيلة وهي الأعمال الصالحات التي فيها رضاه سبحانه وتعالى، ويؤخذ من هذه الآية على طريق الإشارة: وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتصلوا به، ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ، ومن جملة ما يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى الشيخ الكامل فإنه أعظم الوسائل إلى الله تعالى والسلام»^(٢) اهـ.

* المناقشة :

١ - إن هذه الآية لا دلالة فيها على أن المقصود بالوسيلة هو النبي ﷺ، فهي دليل في غير محل النزاع.

٢ - إن الوسيلة التي وردت في الآية بمعنى القربة وهي التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة كالصلاة وسائر الطاعات، وهي التي أشار لها التجاني في بداية جوابه فيا ليته اقتصر على ذلك.. وهذا المعنى هو الذي اتفق عليه الأئمة من المفسرين.
«قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾»^(٣):

«قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي: القربة. وكذا قال مجاهد، وأبو وائل، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد، وغير واحد، وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه..» ثم قال ابن كثير بعد ذلك: «وهذا الذي قال هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه»^(٤).

فهذا ما ورد عن السلف في تفسير هذه الآية، ولم يقل أحد منهم: إن المقصود بالوسيلة هو النبي ﷺ، أو أحد المشايخ كالتجاني أو غيره، فتفسير هذه الآية بهذا التفسير مع إجماع

(١) سورة المائدة آية: ٣٥.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢١٧.

(٣) سورة المائدة: ٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢ دار إحياء الكتب العربية - الحلبي، تفسير القرطبي ٦/ ١٥٩.

العلماء على خلافه تفسير باطل؛ ولهذا قال الألوسي رحمه الله: «واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقسم على الله بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا. ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا. ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة.. وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل»^(١).

* الدليل الثاني :

ويستدلون بما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم». قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يخلق الله جاهاً أعظم من جاه النبي ﷺ»^(٢).

* المناقشة :

١- إن هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد أورده شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ: «إذا سألت الله فاسأله بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» ثم قال: «وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها»^(٣).

وقال السهسواني: «لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث»^{(٤)(٥)}.
٢- إن التوسل بجاه النبي ﷺ وغيره، قال بالمنع منه جماهير العلماء، ولا أعلم مخالفاً في ذلك إلا العز بن عبد السلام^(٦) فأجار التوسل بجاه النبي ﷺ خاصة، وعلّق القول بذلك على صحة الحديث الذي رواه الترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك. فقال: ادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوه بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في»^(٧).

(١) روح المعاني ٦/ ١٢٤ - ١٢٥ دار إحياء التراث.

(٢) بغية المستفيد ١٢٥.

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ١٣٢ ط السلفية.

(٤) صيانة الإنسان ١٨٨ المطبعة السلفية.

(٥) وقال الألباني: «لا أصل له» سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١: ٣٠ الطبعة الثالثة.

(٦) صيانة الإنسان ١٨٢، تيسير العزيز الحميد ٢٢٨، ٢١٢. وما ينبغي التنبيه إليه أن العز بن عبد السلام ممن سلك طريق التصوف.

(٧) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث إلى جعفر وهو غير =

وفي الجواب عنه نقول:

إن هذا الحديث قد اختلف العلماء في صحته؛ لاختلافهم في أبي جعفر راوي الحديث، فإن كان الخطمي فهو ثقة والحديث صحيح، وإن كان غيره فهو محل نظر، والراجع أن الحديث صحيح وأن أبا جعفر الذي عليه مدار الحديث هو الخطمي ويدل على ذلك أمور:

(أ) أن الخطمي هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة، ويروي عنه شعبة كما في إسناد هذا الحديث^(١).

(ب) أنه قد جاء في بعض نسخ الترمذي التصريح بأن أبا جعفر هو الخطمي كما في النسخة المطبوعة سنة (١٢٩٢ هـ) في مطبعة بولاق^(٢) وهي من أقدم الطباعات، ويؤيد ذلك أن أحمد رواه في المسند^(٣) في رواية له وصرح بأنه الخطمي.

(ج) أن أكثر العلماء قالوا بأنه الخطمي وأن الحديث صحيح.

فقد رواه ابن ماجه في سننه وقال: «هذا حديث صحيح»^(٤).

ورواه الحاكم في المستدرک وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»^(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي، هكذا وقع في الترمذي، وسائر العلماء قالوا: هو أبو جعفر الخطمي، وهو الصواب»^{(٦)(٧)}.

وبهذا يرجح صحة هذا الحديث. والله أعلم.

٢- ثم إن هذا الحديث ليس فيه دليل على جواز التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه، إذ هو على تقدير حذف مضاف، أي بدعاء نبيك أو بشفاعته، ويدل على هذا المعنى أمور كثيرة منها:

= الخطمي» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ١٠/٣٢، ٣٤).

(١) تهذيب التهذيب ٨/١٥١ دار صادر.

(٢) جامع الترمذي ٢/٢٧٧ طبعة بولاق.

(٣) المسند ٤/١٣٨ السطر ٢٧.

(٤) سنن ابن ماجه ١/٤٤١ ط الحلبي.

(٥) مستدرک ١/٣١٣، ٥١٩.

(٦) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٩٦ ط السلفية.

(٧) وقال الألباني: «والصواب أنه الخطمي نفسه» انظر التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ٧٠ الطبعة الثانية.

(أ) قول الأعرابي أول الحديث: «ادع الله أن يعافيني» وقوله بعد ذلك: «فادعه».

(ب) قول النبي ﷺ: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير».

(ج) قول الأعرابي في دعائه «اللهم فشقه في».

(د) أن مجيء الأعرابي إلى النبي ﷺ كان بقصد أن يدعو له، إذ لو كان قصده التوسل

بذاته أو بجاهه لكان يكفيه أن يجلس في بيته ويدعو قائلاً مثلاً: اللهم ردّ إليّ بصري بجاه نبيك محمد ﷺ.

فهذه الأمور كلها تدل دلالة صريحة على أن قصد الأعرابي كان هو التوسل بدعاء النبي ﷺ، وذلك جائز مشروع^(١).

٣- وأخيراً فإن هذا الحديث دليل في غير موضع الاستدلال، فالأعرابي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له مع حضوره في حياته ﷺ، فأين هذا من دعاء الأموات والالتجاء إليهم في الشدائد^(٢)؟

وبهذا يتبين القول الحق. والله أعلم.

* الدليل الثالث :

استدلوا بقياس الخالق على المخلوقين، فقال مؤلف الدرة الخريدة: «.. وتأمل بيوت الحكام تجدها لا بد فيها من الوساطة، ففي سلوكنا للوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء حوائجنا، ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل؟»^(٣).

* المناقشة :

والرد على هذا من وجوه :

١ - أن هذا قياس فاسد، إذ الوسائط التي تكون بين الناس والملوك تكون على أحد ثلاثة وجوه، والله سبحانه وتعالى منزّه عنها جميعاً، وهذه الوجوه تتلخص فيما يلي:

(أ) فالوساطة بين الناس والحكام تكون لإخبارهم بما لا يعرفون من أمر رعاياهم، والله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة فهو ليس بحاجة إلى مثل هذا، ومن نسب الجهل إلى الله فقد كفر.

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ١٣٦ ط السلفية.

(٢) قاعدة جنية في التوسل والوسيلة ١٣٩، ١٤٠.

(٣) الدرة الخريدة ٨٠ / ٤.

(ب) أن الملك قد يكون عاجزاً عن تدبير أمور رعيته وقمع أعدائه فلا بد له ممن يعينه على ذلك، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك فليس له ظهير ولا معين، وهو على كل شيء قدير.

(ج) أن الملك قد يكون ظالماً لرعيته لا يريد النفع لهم إلا بمحرك يحركه من الخارج، فإذا خاطب الملك من يخافه أو يرجوه تحركت إرادته، والله سبحانه منزّه عن كل ذلك، فهو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها^(١).

٢ - أنه لو كان هناك ملكان، أحدهما يقوم بقضاء حوائج الناس بلا واسطة والآخر يقوم بقضائها بواسطة، فلا شك أن الأفضل هو الذي يقوم بقضاء حوائج الناس بلا واسطة، فلماذا شبهتم الله بالمفضول دون الماضل؟ ثم كيف تشبهونه تعالى بظلمة الحكم الدين جعلوا على أبوابهم حجاباً فلا يصل إليهم أحد إلا بشفاعة وواسطة؟ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾^{(٢)(٣)}.

٣ - قولهم: «فمن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل؟».

قلت: إن أدب دعاء الله تعالى ومساأته قد بينه الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾^(٤) وقد أخذ العلماء من هذه الآية معنى لطيفاً وهو عدم اتخاذ الوسائل؛ لأن الله تعالى هو الذي تولى القول بنفسه كما قرن بين الدعاء والإجابة.

وأدب سؤال الله تعالى ودعاؤه معروف مشهور، فلا بد من دعاء الله بقلب مخلص خاشع مع فعل الأسباب واجتناب الموانع التي تحول بين الدعاء والاستجابة^(٥).

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) سورة الزمراء ٦٧.

(٣) التوصل إلى حقيقة التوصل ٣٤٢ الطبعة الثالثة.

(٤) سورة المؤمن آية ٦٠.

(٥) فالدعاء له آداب وشروط منها: ١ - أن يدعو الله مخلصاً من قلبه.

٢ - ألا يعتدي في دعائه.

٣ - ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

٤ - أن يكون مطعمه ومشربه وملبسه حلال.

٥ - ألا يستبطئ الإجابة.

٦ - أن يعزم في الدعاء فلا يقول: رب اغفر لي إن شئت.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم التوسل :

معنى الوسيلة :

قبل الحديث عن مذهب أهل السنة والجماعة في التوسل، لابد من الإشارة إلى معنى الوسيلة كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي كلام الصحابة وفي لغة العرب: فمعنى الوسيلة في اللغة: هي المنزلة والدرجة والقربة^(١)، ومعناها في القرآن الكريم: القربة، وهي التقرب إلى الله تعالى بالطاعات من واجبات ومستحبات، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾^(٢) وقال سبحانه: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾^(٣).

ومعناها في الحديث النبوي الشريف درجة في الجنة فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «... ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٤).

فهذه الوسيلة درجة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة عقب كل أذان في الدعاء المشهور: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته»^(٥).

ومعناها في كلام الصحابة طلب الدعاء منه ﷺ في حياته وطلب شفاعته في الآخرة، ومنه قول عمر في حديث العباس: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.. قال.. فيسقون»^(٦).

فهم توسلوا بدعاء النبي ﷺ في حياته وبدعاء العباس بعد وفاة الرسول ﷺ لا بذاته، إذ لو كانوا توسلوا بذاته لما عدلوا عن رسول الله ﷺ.

(١) لسان العرب ١٤ / ٢٥٠، القاموس المحيط ٤ / ٦٥، مختار الصحاح ٧٤٧، مطبعة مصطفى الحلبي.

(٢) سورة المائدة آية ٣٥.

(٣) سورة الإسراء ٥٦، ٥٧.

(٤) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٤ / ٨٥).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢ / ٩٤)، رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ٢ / ٢٣١، ٢٣٢).

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢ / ٤٩٤).

وأما التوسل في اصطلاح كثير من المتأخرين فيراد به الإقسام بالنبي ﷺ والسؤال به، كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح^(١).

حكم التوسل عند أهل السنة :

والتوسل عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى قسمين :

١ - توسل مشروع.

٢ - توسل محرم ممنوع.

وإليك بيان كل واحد منهما.

١ - التوسل المشروع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

(أ) التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وهذا ثابت في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ جالساً، يعني ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك. فقال النبي ﷺ لأصحابه: تدررون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»^(٣).

(ب) التوسل بالأعمال الصالحة وهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَاتَّعَمُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾^(٥) والمراد بالوسيلة كما سبق^(٦): القربة، وهي التقرب لله بالطاعات. وأما السنة فما روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٤٨، ٥٠ ط السلفية.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) رواه النسائي (سنن النسائي ٥٢/٣) ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ١٢٦٨/٢) ورواه أحمد (المسند ٣/١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥) ورواه الحاكم في المستدرک ١/٥٠٣، ٥٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٤) سورة المائدة آية ٣٥.

(٥) سورة الإسراء آية ٥٧.

(٦) انظر ص ١٥٢.

رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها.. الحديث»^(١).

ومن التوسل بالأعمال الصالحة التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه في رسالته، وطاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه وموالاة من وآله، والتوسل بمحبة الصالحين وتوقيرهم وإجلالهم، ونحو ذلك، فهذا التوسل هو عين دين الإسلام.

ومن التوسل المشروع: أن يدعو الله سبحانه بإضافته إلى عباده الصالحين كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل.. الحديث»^(٢) ومنه حديث: «.. اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتنا»^(٣).

ومن التوسل بالأعمال الصالحة: التوسل بالصلاة على النبي ﷺ، ومن ذلك ما ورد في حديث أبي بن كعب في فضل الصلاة على النبي ﷺ وفيه قال: «إذا تكفى همك ويغفر ذنبك»^(٤).

(ج) التوسل بدعاء النبي ﷺ لمن توسل به في حياته، وكذا التوسل بدعاء الصالحين، ومنه قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ ففسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فافسقنا. قال: فيسقون»^(٥) فهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته، ثم توسلوا بدعاء العباس بعد وفاته.

ومنه قول الأعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ قال: «يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا. فرفع يديه - وما يرى في السماء قرعة - فوالذي نفسي

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٠ / ٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٦ / ٥٦، ٥٧).

(٣) رواه أحمد في المسند ٦ / ٣٠٢. وقال الهيثمي: «عند الترمذي بعضه، رواه أحمد وإسناده حسن» (مجمع الزوائد ١٠ / ١٧٦).

(٤) رواه الترمذي (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذ ٧ / ١٥٣، ١٥٤) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» وقال الهيثمي: رواه الترمذي ولفظه: «إذا تكفى همك ويغفر ذنبك» رواه أحمد وإسناده جيد (مجمع الزوائد ١٠ / ١٦٠).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه الفتح ٢ / ٤٩٤).

بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال.. الحديث»^(١).

ومن التوسل بدعاء الصالحين ما روي عن أبي الزبير عن صفوان بن عبد الله بن صفوان.. قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادع الله لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل» قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك، يرويه عن النبي ﷺ^(٢).

ولا يتوقف دعاء المسلم لأخيه على فاضل أو مفضول، فقد طلب النبي ﷺ من عمر بن الخطاب أن يدعوله، فقد روي أن عمر بن الخطاب استأذن النبي ﷺ في العمرة، فقال له النبي ﷺ: «أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا»^(٣).
كما يكون هذا التوسل يوم القيامة حيث يتوسلون بشفاعته ﷺ الثابتة بالأحاديث الصحيحة^(٤).

وأما التوسل المحرم الممنوع فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) أن يكون بذات الشخص المتوسل به سواء كان النبي ﷺ أو غيره.

(ب) أن يكون بجاه الشخص المتوسل به سواء كان النبي ﷺ أو غيره.

(ج) أن يقسم على الله بالمتوسل به.

وستتناول كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة فيما يلي:

(أ) التوسل بذات الشخص المتوسل به، وهو ما يقصدون به الاستغاثة بالمخلوق - سواء كان النبي ﷺ أو غيره - فيما لا يقدر عليه إلا الله، وذلك غير جائز لأمر:

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٤/١٣)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٦/١٩١) بنحوه.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/٥٠).

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ١٠/٧)، ورواه أبو داود (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٤/٣٦٥)، ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ٢/٩٦٦) بلفظ: «يا أخي أشركنا في شيء من دعائك ولا تنسنا».

(٤) انظر: صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/٣٩٢، ٣٩٣.

١ - أنه لم يرد دليل شرعي يدل عليه لافي كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ.
 ٢ - أن الدليل دل على خلافه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾^(١).
 وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.. الآية﴾^(٢)

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾^(٣).

وغير ذلك من الآيات التي تدل على نفي اتخاذ الوسائل ودعاء غير الله سبحانه، بل الواجب إخلاص العبادة له وحده فلا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده.

وحكم هذا النوع أنه شرك بالله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله. فقال رحمه الله: «.. الحمد لله رب العالمين، إن أراد أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنی وصفاته العلى وأمثال ذلك، إلا بالرسول الذين أرسلهم الله لعباده. إلى أن قال.. وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك ويرجون^(٤) إليه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار.. ثم قال.. وقال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾^(٥).

(١) سورة المؤمنون آية ١١٧.

(٢) سورة الأحقاف آية ٥.

(٣) سورة الإسراء آية ٥٦، ٥٧.

(٤) كذا في الأصل ولعلها «يرجعون».

(٥) سورة آل عمران آية ٧٩، ٨٠.

١ - أنه لم يرد دليل شرعي يدل عليه لافي كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ.

٢ - أن الدليل دل على خلافه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.. الآية﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾^(٣).

وغير ذلك من الآيات التي تدل على نفي اتخاذ الوسائل ودعاء غير الله سبحانه، بل الواجب إخلاص العبادة له وحده فلا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده.

وحكم هذا النوع أنه شرك بالله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله. فقال رحمه الله: «.. الحمد لله رب العالمين، إن أراد أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنی وصفاته العلی وأمثال ذلك، إلا بالرسول الذين أرسلهم الله لعباده.. إلى أن قال.. وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك ويرجون^(٤) إليه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار.. ثم قال.. وقال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾^(٥).

(١) سورة المؤمنون آية ١١٧.

(٢) سورة الأحقاف آية ٥.

(٣) سورة الإسراء آية ٥٦، ٥٧.

(٤) كذا في الأصل ولعلها «يرجعون».

(٥) سورة آل عمران آية ٧٩، ٨٠.

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين^(١).

وقال أيضاً: «وإن أثبتتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً»^(٣).

(ب) التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من عباد الله الصالحين، كأن يقول المتوسل: بحق فلان أو بجاهه وحرمة ونحو ذلك، فهذا موضع خلاف بين العلماء، فقد أجازَه العزبن عبد السلام بالنبي ﷺ خاصة، معلقاً القول به على صحة حديث الأعمى، وقد سبق بيان ذلك^(٤).

وحكم هذا النوع أنه بدعة مذمومة وليس بشرك؛ لعدم ورود نص بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الثالثة»^(٥) أن يقال: أسألك فلان أو بجاه فلان عندك، ونحو ذلك الذي تقدم عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه منهي عنه، وتقدم أيضاً أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره»^{(٦)(٧)}.

(ج) أما التوسل بالإقسام على الله بالتوسل به كأن يقول: اللهم إني أقسمت عليك

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢١، ١٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٦.

(٣) رسالة نواقض الإسلام ٢٨٣ مطبوعة ضمن الجامع الفريد، طبعة الجميع.

(٤) انظر ص ١٥٤ وما بعدها.

(٥) أي المرتبة الثالثة من مراتب الدعاء البدعي.

(٦) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٥٦.

(٧) صيانة الإنسان ١٨٥، ٢٠١.

بفلان أن تشفي مريضاً أو تقضي حاجتي ونحو ذلك.
 وحكم هذا النوع التحريم، وذلك لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز شرعاً.
 وقد قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»^(١).
 وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ليحلف حالف بالله أو
 ليسكت»^(٢).
 ومن هذا يتبين أن الإقسام بالمخلوق شرك، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الحائق؟ إذ
 هذا تقرب إلى الله تعالى بالشرك به^(٣).
 من هذا يتبين أن التوسل الممنوع على ثلاثة أقسام:
 فالتوسل بذات المتوسل به، بمعنى دعاء المخلوق والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله
 سبحانه والإقسام به على الله: شرك بالله ومخالفة للنصوص الصحيحة.
 وأما التوسل بالجاء ونحوه فهو محل نظر، وجمهور العلماء على منعه، وأنه بدعة مذمومة
 ينبغي للمؤمن العدول عنها إلى الألفاظ الصريحة الصحيحة.
 ومن هذا يتبين أن من توسل بذوات الأنبياء والمشايخ واستغاث بهم على الله فقد أشرك
 مع الله غيره، ومن توسل بجاء أحد منهم فقد ارتكب بدعة محرمة.
 جنبنا الله وإياكم مواطن الزلل والسوء.

- (١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي ٥/ ١٣٥، ١٣٦)،
 ورواه أحمد في المسند ١/ ٤٧، ٢/ ٣٤، وأخرجه الحاكم في المستدرک ١/ ١٨، وقال: «هذا حديث
 صحيح على شرط الشيخين».
 (٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي ٥/ ١٣٤،
 ١٣٥) ورواه أحمد في المسند ٧/ ٧.
 (٣) شرح الطحاوية ٢٦٢ الطبعة الرابعة.

المبحث الرابع

الغلوفي حق النبي ﷺ وفي الشيخ التجاني واعتقاد أنهم أرباب مع الله

ذكر بعض النصوص التي تثبت غلوهم في حق النبي والتجاني:

إن عقيدة الغلوفي النبي ﷺ والمشايخ موجودة لدى كثير من المبتدعة والصوفية، والتجانية ممن يقعون في شرك الربوبية فيعتقدون أن النبي ﷺ أو الشيخ التجاني يعطي ويمنع، ويشفي ويمرض، ويجب دعاء المضطر وغير ذلك، وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي تبين ذلك.

أولاً: الغلوفي حق النبي ﷺ:

١ - قال مؤلف جواهر المعاني: «..لا شك أنه ﷺ في هذا الميدان تام في نفسه لا يطرأ عليه النقص بوجه من الوجوه، كامل ﷺ بفيض الكمالات على جميع الوجود من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والفيوضات والتجليات والمواهب والمنح وجميع وجوه العطايا، فكل ما يفيضه الحق سبحانه وتعالى على الوجود مطلقاً ومقيداً أو كثيراً أو قليلاً مما اشتهر أو شذ إنما يفيضه بواسطة الرسول ﷺ، فمن ظن أن يصل شيء إلى الوجود بغير واسطة رسول الله ﷺ فقد جهل أمر الله، وإن لم يتب خسر الدنيا والآخرة بهذا الاعتقاد..»^(١).

٢ - ونقل مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله: «إن روح النبي ﷺ وروحي هكذا (وأشار بأصبعه السبابة والتي تليها) فروحه تمد الأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء»^(٢).

٣ - وقال مؤلف بغية المستفيد: «قال رضي الله عنه: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما ماض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي، ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور.. وقال: لا يتلقى ولي فيضاً من الله تعالى إلا بوساطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومدده الخاص به إنما يتلقاه من

(١) جواهر المعاني ٢/ ٢٣٣.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٢.

النبي ﷺ^(١).

٤ - قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً إن لم يتب من هذا الاعتقاد»^(٢).

ثانياً : الغلو في حق الشيخ التجاني :

١ - قال مؤلف بغية المستفيد: «.. وقول الناظم: وليس يخلو من مقدم.. أراد به الناظم رحمه الله تعالى دفع ما يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة بوفاة الشيخ رضي الله عنه وبتناول العهد، والرد على من يقول: إن الشيخ الميت لا تنفع صحته لانقطاع المدد بموته كما قيل بذلك، ويريد أن يسحب الحكم على شيخنا أيضاً رضي الله عنه، وقد تقدم أن هذه الطريقة المحمدية لا يزال مددها جارياً مدى الدهور والأعصار، على أيدي من يصله الإذن الصحيح فيها في سائر البلاد والأقطار، بضمنان من نبينا ﷺ المصطفى المختار، وسابق عناية من ربنا الفاعل المختار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(٣).

٢ - وقال مؤلف الدرة الخريدة: «.. فسيدي أبو الفيض أصل جميع الوسائل المتقدمة والمتأخرة، وشيخ المشايخ، وبرزخ البرازخ، والمنبع الذي تنفجر منه العلوم والفيوض والمعارف والأسرار لجميع الأولياء والأقطاب والعارفين والأحباب»^(٤).

٣ - قال في منية المريد :

وكم تصرّف لـذا الولي	في العالم العلوي والسفلي
وكم علمنا له من إبراء	حليف أمراض بلا دواء
وكم له من دفع خطب هائل	ونصير مظلوم وردع صائل
وكم إغاثة لذي أسفار	في الضنك في البحار والبراري

وقال قبل هذا :

وكل ما ينال كل عارف من خلال ومن المعارف

(١) بغية المستفيد ٢٢٥، رماح حزب الرحيم ٥/٢، ميدان الفضل والإفضال ١٣.

(٢) الدرة الخريدة ٤/٢٠٣، جواهر المعاني ١/١٤١، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٣) نعية المستفيد ٢٩٣.

(٤) الدرة الخريدة ١/٢٦.

فشيخنا أمده من النبي وحزبه بئله للرتب^(١)
وقال أيضاً :

لاشك أن شيخنا التجاني ممد كل عارف صمداني
يعطي ويمنع ويسلب فمن كمثل من الوري في ذا الزمن^(٢)

(ب) الأدلة والمناقشة :

* الدليل الأول :

يستدلون بقول الرسول ﷺ: «إنما أنا قاسم والله معطي»^(٣).

وجه الاستدلال من الحديث ذكره مؤلف جواهر المعاني فقال: «أخبر أن العطاء الأول هو الاقتطاع الإلهي كان متصلاً بالقسم على ما نفذت به المشيئة الإلهية، والاقتطاع أولاً كان من الله لجميع خلقه، والتقسيم هو تناوله من يد الملك أو من حضرته وتوصيله إلى من أمر بإعطائه كان عنه ﷺ، فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك، فهذا معنى الحديث وهو: إنما أنا قاسم والله معطي»^(٤).

* المناقشة :

١ - إن هذا المعنى الذي ذكره وهو أن النبي ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، وأنه قاسم ما يقع في ملك الله من الخير والشر بمنزلة العبد مع الملك، باطل يرد الكتاب والسنة.
فإن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف دون من سواه، وهو المالك للضر والنفع: ﴿قل فمن

(١) منية المريد ٨.

(٢) بغية المستفيد ٢٦٦.

(٣) رواه البخاري بلفظ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ١٦٤، ٦/ ٢١٧، ورواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ١٢٨، ١٤/ ١١٤، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٣٤.

(٤) جواهر المعاني ٢/ ٢٧٩، ميزاب الرحمة الربانية ١٦٠.

يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً^(١).
وقال سبحانه: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض آمن بملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^(٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾^(٣).
فلو كان النبي ﷺ قاسم ما يقع في ملك الله لما رد هؤلاء الصحابة الكرام، ولأعطاهم ما يتقون به على أداء الجهاد في سبيل الله.

فالله وحده هو المتصرف وهو المعطي والقاسم، فله الحكم وإليه ترجعون.
وفي الحديث: «.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٤).

٢ - أن المعنى الصحيح للحديث كما ذكره الأئمة عليهم رحمة الله، أن الله سبحانه هو المعطي وحده والرسول قاسم يقسم ما بين يديه من الأموال والغنائم بينكم، فالله هو المعطي حقيقة، وهذا المعنى هو الذي ذكره البخاري رحمه الله تعالى في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فإن لله خمسة وللرسول﴾^{(٥)(٦)} فهو قاسم لشيء معين لا مطلقاً.
فليس المعنى أنه قاسم كل ما يقع في ملك الله من خير أو شر في حياته ﷺ وبعد مماته كما يدعيه التجانيون وسائر المتصوفة المنحرفين.

الدليل الثاني: قال مؤلف الدرة الخريذة: «إذا استمد من شيخه جاءه المدد»^(٧) وإن

(١) سورة الفتح آية ١١.

(٢) سورة يونس آية ٣١.

(٣) سورة التوبة آية ٩٢.

(٤) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوزي ٢١٩/٧، ٢٢٠).

(٥) سورة الأنفال آية ٤١.

(٦) فتح الباري ٢١٧/٦.

استنصروكم في الدين فعليكم النصر^{(١)(٢)}.

*** المناقشة :**

إن هذه الآية دليل في غير محل النزاع، فهم يستدلون بها على أن المشايخ يمدون أتباعهم في الحياة وبعد الممات، وهذا الاستدلال بينه وبين الحق كما بين المشرق والمغرب، إذ المعنى الصحيح لهذه الآية كما أجمع عليه أئمة المفسرين رحمهم الله أنها في المؤمنين الذين لم يهاجروا من دار الحرب، فإن طلبوا منكم العون والنصر فأعينوهم، قال القرطبي عند تفسير هذه الآية: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ : «يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم، فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته»^(٣).

ويدل على أن هذا هو المعنى المقصود قوله تعالى في الآية: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فالآية خاصة في إغاثة المسلمين لإخوانهم في دار الحرب وليس فيها دليل على ما أرادوه البتة.

وهذا الاستدلال ظاهر البطلان فلا يلتفت إليه.

*** الدليل الثالث :**

«.. وسألته رضي الله عنه: لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل، وحق سيدي فلان.. فقال: لأنه إذا سأل الله فلم يجب وقع له وسواس في وجود الحق سبحانه فيقع بما هو أدهى وأمر، فكان من المصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين؛ لأنهم إذا وقع لهم وسواس في كونهم أولياء الله فإن ذلك لا يضر»^(٤) اهـ.

*** المناقشة :**

١ - هذا الدليل واضح البطلان؛ لأن عدم إجابة السؤال ليست موضعاً للشك في وجود الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا أن العبد إذا سأل الله فلا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أن تعجل

(١) سورة الأنفال آية ٧٢.

(٢) الدرة الخريدة ٣ / ٢٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ٥٧، تفسير الطبري ١٠ / ٣٨.

(٤) الدرة الخريدة ٣ / ٩٠.

له دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قال النبي ﷺ: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. فقال رجل من القوم: إذا نكث. قال: الله أكثر»^(١). وفي رواية لأحمد: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكث. قال: الله أكثر»^(٢).

٢ - ثم يقال ثانياً: كيف يباح ما حرم الله سبحانه وتعالى بالنص الصريح لاحتمال وقوع وسواس في قلب رجل لم يتمكن الإيمان من قلبه؟

*بعد مناقشة هذه الأدلة نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة فنقول وبالله التوفيق:

(أ) قول التحابي: «إن روح النبي ﷺ وروحي هكذا (وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها) فروحه تمد الأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء...»^(٣).

*المناقشة:

هذا القول مردود من وجوه:

١ - أن هذا القول لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة ولا من أثر ولا من إجماع، فهو قول لا يعتمد على دليل شرعي ثابت، وكل ما لم يعتمد على دليل فهو واه «باطل».

٢ - أن النبي ﷺ قد جاء بعد الأنبياء جميعاً، فكيف يتصور أنه يمد الأنبياء الذين سبقوه بمئات السنين؟ فلو قيل: إنه يمد من جاء بعده أو في حياته، فهذا مع بطلانه أقرب تصوراً من أنه يمد من كان قبله، فهذا مما تحيله العقول والشرائع.

٣ - أن المدد عند إطلاقه يراد به المدد الحسي كالرزق والإبراء والإعانة، ويراد به المعنوي كالهداية والتوفيق والإلهام، والرسول ﷺ مع حرصه الشديد على دخول عمه أبي طالب في الإسلام لم يستطع ذلك فقد كان يقول له: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عد

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه» جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوزي ١٠/٢٤، ٢٥، ورواه أحمد في المسند بنحوه ٣٢٩/٥.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/١٨.

(٣) انظر ص ١٦٥ - ١٦٦.

الله.. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.. فأنزل الله سبحانه وتعالى في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (١)(٢).

ففى الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ هداية التوفيق والإلهام (٣) وأثبتها لنفسه جل وعلا، فإذا كان الرسول ﷺ لم يستطع هداية عمه وهو من أقرب الناس إليه فكيف بغيره؟

٤ - أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً وإنما يطلب الخير والمدد من الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ (٤).

فإذا كان النبي ﷺ وهو المرسل من عند الله لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فكيف يملك لغيره؟ ثم كيف يملك غيره من سائر الناس من أصحاب الطرق الذين يدعون التصرف والنفع والضرر؟

٥ - قوله: «وروحى تمدد الأقطاب والعارفين والأولياء» (٥) من أين له هذه الخصوصية، أمن

كتاب الله أم من سنة رسول الله ﷺ؟ والرسول ﷺ وهو المبعوث رحمة للعالمين لم يكن له شيء من هذا، وكذلك صحابته الكرام لم يخصصوا بشيء من ذلك، فكيف يخص بها هذا الرجل في القرن الثاني عشر الهجري؟ إلا أنها الخرافة التي لا تنتشر إلا بين جهلة وعوام الناس.

(ب) قولهم عن الرسول ﷺ: «ومن توهم أنه ﷺ انقطع مدده عن أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ وأساء الأدب معه، ويخشى عليه أن يموت كافراً إذا لم يتب من هذا الاعتقاد» (٦).

وقولهم عن شيخهم التجاني: «...أراد به الناظم دفع ما قد يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة لوفاة الشيخ رضي الله عنه وتطاول العهد، والرد على من يقول: إن الشيخ الميت لا تنفعه صحبتته لانقطاع مدده بموته كما قيل بذلك، ويريد أن يسحب الحكم بذلك على

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٨/٥٠٦).

(٢) سورة القصص آية ٥٦.

(٣) الهداية نوعان: هداية التوفيق والإلهام وهذه لله خاصة، وهداية الدلالة والإرشاد وهذه ثابتة للنبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وإنك لا تهدي إلى صراط مستقيم﴾.

(٤) سورة الأعراف آية ١٨٨.

(٥) انظر ص ١٦٤.

(٦) انظر ص ١٦٥.

شيخنا أيضاً رضي الله عنه.. إلخ»^(١).

فهذا القول أشنع من القول بالتصرف في الحياة على قبحه وشناعته، فالله سبحانه وتعالى قال في حق نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ.. الْآيَةَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٤).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٥).

فجميع الآيات والأحاديث تدل على انقطاع الحس والحركة من الميت، وعلى أن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن الزيادة والنقصان. فكل هذا يدل على أن الميت ليس له تصرف في نفسه فضلاً عن غيره، فكيف يدّعي هؤلاء من التجانيين وأشباههم بأن للميت تصرفاً في الإبراء والرزق والإغاثة ونحوها؟ نعوذ بالله من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٦).

مذهب أهل السنة والجماعة وبيان أن ذلك من الشرك:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله وحده هو الذي يملك الضر والنفع والهداية والإضلال، وهو وحده الخالق الرازق المحيي المميت لا يملك أحد شيئاً من ذلك لا ملك ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما.

وأما الرسول ﷺ فعليه تبليغ رسالة ربه: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾^(٧) وإرشاد الناس إلى طريق الخير والهدى: ﴿وإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨) وقد فعل ﷺ فجزاه الله عن هذه

(١) انظر ص ١٦٦.

(٢) سورة الزمر آية ٣٠.

(٣) سورة الزمر آية ٤٢.

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٥) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١١ / ٨٥).

(٦) تيسير العزيز الحميد ١٩٥ وما بعدها.

(٧) سورة المائدة آية ٩٩.

(٨) سورة الشورى آية ٥٢.

الأمة خير الجزاء.

وأما من جاء بعده من عباد الله المتقين فعليهم الإيمان بما جاء به ودعوة الناس إليه والمجاهدة في سبيل ذلك بالمال والنفس فهذه مهمتهم ليس إلا، ولا يملك أحد من البشر كائناً من كان نفعاً ولا صراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل ذلك كله لله وحده، والأدلة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ كثيرة جداً.

فالله وحده هو الذي يملك الهداية والإضلال لأحد سواه، قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾^(١).

والله وحده هو الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر: ﴿الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾^(٢).

وهو الذي يجيب دعاء المضطر إذا دعاه ويكشف السوء: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر.. الآية﴾^(٤).

والله وحده هو الرازق: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾^(٥).

والله وحده هو المتصرف الذي له الخلق والأمر: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^(٦).

ومن السنة ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن احتتموا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»^(٧).

فالله سبحانه وتعالى هو وحده النافع الضار.

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥.

(٢) سورة الرعد آية ٢٦.

(٣) سورة النمل آية ٦٢.

(٤) سورة الأنعام آية ٦٣.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٠.

(٦) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٧) سبق تخريجه ص ١٦٧.

وفي الدعاء المأثور: «.. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»^(١).
فهو وحده المعطي المانع فلا أحد يستطيع أن يرد عطاءه سبحانه ولا أحد يستطيع أن يعطي ما منعه: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٢).

وقد اتفق علماء الأمة على أن طلب الحوائج من الأموات والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخير ويمنعون عنهم الشر، شرك بالله تعالى، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، بل هو أيضاً مخالف لكتب السابقين من الأنبياء، ففي التوراة: «أن موسى نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك، وذكر أن ذلك من أسباب عقوبة الله لمن فعله، وذلك أن دين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم»^(٣).

وسنذكر فيما يلي بعض ما ورد عن علماء السلف في حكم ذلك:

قال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي: «.. لما صعبت التكليف على الجاهل والطفام؛ عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار لهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير الغوث: «.. مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتن البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصاري في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل، فإنه ليس في المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته»^(٥).

وقال صنع الله الحنفي الحنبلي: «.. وأنه قد ظهر الآن بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات، وبهم

(١) رواء البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٣٢٥).

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ١٥٧.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١٩٢، ١٩٣ نقلاً عن كتاب «الفنون».

(٥) الجامع القريد ٤٤٧ طبعة الجميع.

تكشف المهمات، فيأتون قبورهم فينادونهم في قضاء الحاجات.. ثم قال: وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾^{(١)(٢)}.



(١) سورة النساء آية ١١٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٩٦، ١٩٧.

المبحث الخامس

إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء كما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء :
هذا المبحث قد يتبادر إلى بعض الأذهان أنه ليس له تعلق بفصل «عقيدتهم في الرسول ﷺ»، والحق أن له تعلقاً بهذا الفصل من وجهين :
أنهم غلوا في الولي إلى درجة مساواته بالرسول ﷺ تارة، وتفضيله عليه تارة أخرى. وهم وإن لم يصرحوا بذلك إلا أنهم يأتیانهم كثيراً من المزاي للولي يصرون على تفضيله على النبي ﷺ تلويحاً لاتصريحاً، هذا من وجه.
ومن وجه آخر فإنهم قالوا بعقيدة ختم الولاية «مضاهاة لعقيدة ختم النبوة». وسند كرفيما يلي بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء.
ومن هذه النصوص :

قال مؤلف جواهر المعاني : «.. وسألته رضي الله عنه عن حقيقة الولاية، فأجاب رضي الله عنه بما نصه، قال : «الولاية خاصة وعامة، فالعامة : هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، والخاصة : هي من سيد الوجود ﷺ إلى الختم، والمراد بالخاصة هي من اتصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها واحد، إن الله تعالى ثلاثمائة خلق من اتصف بواحد منها دخل الجنة، وهذا خاص بسيد الوجود ﷺ ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم.. هكذا قال، ونسبه للحاتمي رضي الله عنه. ثم قال سيدنا رضي الله عنه : لا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الانصاف بالأخلاق على الكمال أن يكونوا كلهم أعلى من غيرهم في كل وجه، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام، وأظنه يشير إلى نفسه رضي الله عنه وبعض الأكابر، لأنه أخبره سيد الوجود ﷺ بأن مقامه أعلى من جميع المقامات... انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه^(١)».

وذكر مؤلف رماح حزب الرحيم من أسباب تسميتهم الطريقة التجانية بالمحمدية :
«.. أن الله تعالى لما ختم بمقامه مقامات الأولياء، ولم يجعل فوق مقامه إلامقامات

(١) جواهر المعاني ٢ / ٨٤، الدرة الخريدة ١ / ٣٠.

الأنبياء، وجعله القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والخاتم المحمدي المعلوم...»^(١).
(سميت هذه الطريقة بالمحمدية).

٣- قال مؤلف الرماح: «فإن قلت: كيف يكون الولي المتأخر أفضل من الأولياء الكبار المتقدمين، الذين شاع فضلهم وذاع وطارصيتهم شرقاً وغرباً؟.. قلت: من حيث كان النبي المتأخر محمد ﷺ أفضل من إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، وغيرهم من الأنبياء والرسل، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام»^(٢).

٤- وقال مؤلف بغية المستفيد: «فقد ثبت عنه من طريق الثقات الأثبات من ملازميه وخاصته، أنه أخبر تصريحاً على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصدّيقين، وبأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله»^(٣).

ثم قال بعد ذلك: «.. وبالجملّة فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا رضي الله عنه جميع من لازمه إلى وفاته رضي الله عنه ولم يختلف منهم اثنان فيه، حتى استفاض ذلك على السنة الخاص والعام من الأصحاب والإخوان في سائر البلدان، فلا يلتفت لنفي من نفاه كائناً من كان»^(٤).

معنى خاتم الأولياء عندهم :

التجاني خاتم الأولياء عندهم بمعنى أفضلهم، وليس معناه أنه لا يأتي بعده ولي بل قد يأتي بعده أولياء ولكنهم لا يصلون مرتبته، وفي ذلك يقول مؤلف البغية: «.. ومعنى كونه خاتماً لمنصب الولاية المحمدية ألا يظهر أحد في ذلك المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه، فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لالنفس الظهور»^(٥).

فهو عندهم أفضل من جميع الأولياء متقدمهم ومتأخرهم، وقد صرح بذلك مؤلف كتاب: «أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين»، فقال:

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٥.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٢١.

(٣) بغية المستفيد ١٩٣، ١٩٤.

(٤) بغية المستفيد ١٩٤.

(٥) بغية المستفيد ١٠٧.

«.. وأن الختمية بالمعنى الأخص خاصة بالختم الأكبر لا مطمع فيها لمن قبله ومن بعده حسبما سبق بذلك القدر الإلهي الذي لا مرد له، وأعني بالخاتم الأكبر سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدي سيدنا ومولانا أحمد بن مولانا محمد التجاني رضي الله عنه»^(١) اهـ.

الأدلة والمناقشة :

استدل التجانيون على أن شيخهم خاتم الأولياء بأدلة كثيرة غالبها حكايات لا تقوم بها حجة ولا يعتمد عليها في شيء، ومن أقوى أدلتهم الأحاديث التي استدل بها الحكيم الترمذي^(٢) على أن هناك خاتماً للأولياء يكون في آخر الزمان، ومنها:

الدليل الأول :

استدلوا بحديث: «مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»^(٣)(٤).

والرد على هذا من وجوه :

- ١ - أن الحديث لا دلالة فيه على أن آخر هذه الأمة أفضل من أولها، ولأن في آخرها من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله، بل الحديث بلفظ: «لا يدرى أولها خير أم آخرها».
- ٢ - أن معنى الحديث: أن في آخر هذه الأمة من يقارب أولها ويشابهه بالخيرية حتى يلتبس على بعض الناس أيهما أفضل، وإن كان أحدهما في الواقع وفي نفس الأمر أفضل من الآخر؛ وذلك لأن مرتبة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة الرسول ﷺ^(٥)، ولن تكون لأحد بعد صحابة رسول الله ﷺ إذ لا ينبي بعد محمد ﷺ، ويدل على ذلك حديث: «.. وددت أنا قد رأينا إخواناً، قالوا: أولسا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا

(١) أقوى الأدلة والبراهين ١٣.

(٢) سبق ذكر ترجمته انظر ص ٥٢-٥٦.

(٣) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوزي

٨ / ١٧٠-١٧٢). ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٥٦، ورواه أحمد في المسند ٣ / ١٣٠ -

١٤٣، ٤ / ٣١٩، وقال ابن حجر في الفتح «هو حديث حسن» (الفتح ٦ / ٧) قال المناوي: قال الزركشي:

ضعفه النووي في فتاويه (فيض القدير ٥ / ٥١٧).

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ٣٦.

(٥) فتح الباري ٧ / ٧.

بعد.. الحديث^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. هو تفضيل للصحابة فإن لهم خصوصية الصحبة التي هي أكمل من مجرد الأخوة»^(٢) ولقول النبي ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث^(٣).

٣- أن الاستدلال بهذا الحديث على أن آخر هذه الأمة من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله ﷺ، مردود بصريح القرآن والسنة المتواترة، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤)، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾^(٥) وغيرهما.

وهو أيضاً مخالف لقول الرسول ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث^(٦)، وقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»^{(٧)(٨)}.

٤- ولو فرضنا جدلاً - مع أن ذلك مردود بالكتاب والسنة - أن في المتأخرين من هذه الأمة من هو أفضل من المتقدمين، فليس في الحديث دليل على أن ذلك الفاضل قد يكون خاتم الأولياء سواء كان التجاني أو غيره، وليس فيه دليل على أن التجاني أفضل المتأخرين فضلاً عن أن يكون أفضل المتقدمين والمتأخرين لا من قريب ولا من بعيد، فهي دعوى مجردة عن الدليل، وكل دعوى خلت عن الدليل فهي دعوى باطلة.

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣٨/٣)، ورواه النسائي (سنن النسائي ١/١٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٣٧١، ٢/٢٢٧.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/٧). ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٨٧/١٦).

(٤) سورة الواقعة آية ١٠، ١١.

(٥) سورة الحديد آية ١٠.

(٦) سبق تخريجه انظر ص ١٧٨.

(٧) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٩٢/١٦) ورواه أحمد في المسند ٣/١١، ٥٤، ٦٤، ٢٦٦.

(٨) مجموع الفتاوى ١١/٣٦٧، ٣٦٨.

الدليل الثاني :

واستدلوا بما روي عن عبدالرحمن بن سمرة قال: «بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة، فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله، فقال: على رسلك يا عبدالرحمن، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل، رحم الله زيدا، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل حتى قتل، رحم الله جعفرًا، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فقاتل فقتل، رحم الله عبدالله، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله تعالى. فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا. قال: لا تبكوا، فإن مثل أمي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكبها وهبأ مساكنها وحلق سفعها فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ولعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق نبياً ليجدن ابن مريم في أمي خلفاء من حواريه» وفي رواية أخرى: «ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلكم أو خير منكم - ثلاث مرات - ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»^{(١)(٢)}.

* المناقشة :

١ - أن هذا الحديث لا يدل على أفضلية غير الصحابة؛ وذلك لأن مجرد المثلية والخيرية في الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وذلك لأن ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة لا يعدله فيها أحد^(٣).

وبعبارة أخرى: فإن الواحد من المتأخرين إذا عمل مثل عمل عمله بعض المتقدمين كان له مثله أجره أو أكثر، كما في حديث: «... قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: لا؛ بل أجر خمسين رجلاً منكم»^(٤) لكن لا يتصور أن بعض المتأخرين يعمل مثل عمل أكابر السابقين كأبي بكر وعمر فإنه ما بقي يبعث نبي مثل محمد يعمل معه مثلما عملوا مع

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٥٦ قال ابن حجر: رواه ابن أبي شيبة من حديث عبدالرحمن بن جبير بن نفير بإسناد حسن (فتح الباري ٦/٧) وقال السيوطي: صحيح (الجامع الصغير ١٣٤/٢) وقال المناوي: الحديث مرسل (فيض القدير ٣٥٣/٥).

(٢) أقوى الأدلة والبراهين ٣٦، ٣٧.

(٣) فتح الباري ٧/٧.

(٤) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذ ٨/٤٢٥، ٤٢٦).

محمد ﷺ^(١). والله أعلم.

- ٢- ولو كان هذا الحديث يدل على أن في آخر الزمان من هو أفضل من الصحابة، فإنه معارض بالأحاديث المتقدمة آنفاً^(٢) وهي أقوى منه سنداً وامتناً وأقرب إلى نصوص القرآن السابق ذكرها^(٣)، فاعتقاد مضمونها أولى من اعتقاد مضمون هذا الحديث.
- ٣- وأخيراً فإن هذا الحديث لادلالة فيه على ختم الولاية بالتجاني، ولا على اختصاص التجاني بأنه أفضل المتأخرين فضلاً عن أن يكون أفضل المتقدمين والمتأخرين.

* الدليل الثالث :

- الأدلة السابقة هي أقوى الأدلة التي استدل بها التجانيون تبعاً للحكيم الترمذي، وهناك أدلة أخرى لا يعتمد عليها ولا تقوم بها حجة؛ لأنها مجرد دعاوى ادّعاها لنفسه أو ادّعاها له غيره من أصحابه، ونحن نجعلها فيما يلي ونرد عليها واحداً بعد الآخر فمنها:
- ١- قال مؤلف أقوى الأدلة والبراهين: «إن سيدي المختار الكنتي أثبت لها - أي ختم الولاية - في كتابه الطريق...»^(٤) ويؤيده أيضاً أن ابن عربي ذكر أنه اجتمع به بفاس اجتماعاً برزخياً، ولم يدعها أحد من أهل فاس فيما علمنا ولا ادّعت له، سوى سيدنا رضي الله عنه...^(٥) وقد أثنى عليها علماء قبله مثل إسماعيل الرياحي^(٦)، وكالعارف سيدي عمر الفتوي... والعارف سيدي عبيدة الشنقيطي مؤلف الجيش، والعارف سيدي محمد الكنسوسي^(٧).

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٣٧١.

(٢) انظر ص ١٧٩.

(٣) انظر ص ١٧٨.

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ٤.

(٥) أقوى الأدلة والبراهين ١٤.

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي، كان على الطريقة الشاذلية ثم انتقل منها إلى التجانية، توفي في سبعة عشر رمضان ١٢٦٦ هـ وهو مدفون بتونس. (كشف الحجاب ١٣٢، ١٤٩).

(٧) هو محمد بن أحمد كنسوس السوسي المراكشي وكنيته أبو عبد الله، من أهل سوس بالمغرب الأقصى،

ولد سنة ١٢١١ هـ له كتاب «الجيش المرمم» والحلل الرنحفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية» توفي

سنة ١٢٩٤ هـ (الأعلام ٦ / ٢٤٤).

والرد على هذا من وجهين :

(أ) أن هذه الأقوال لبعض التجانيين كالفتوي والشنقيطي والكنسوسي فلا يقوم بها حجة، إذ لا تقبل شهادة الإنسان لنفسه، أما ابن عربي فقد اشتهر بكفره^(١) وزندقته، فكيف يقبل قوله؟

(ب) ثم لو فرضنا جدلاً أنهم علماء أتقياء عدول فإن كلامهم مقيد بالكتاب والسنة، إذ كل يؤخذ من كلامه ويُرد، إلا محمداً ﷺ فيما يبلغ عن ربه. علماً بأن مثل هذه الأقوال لا يلتفت إليها في أمر من أمور العقيدة مبني على التوقف والنص. والله أعلم.

٢ - قال مؤلف أقوى الأدلة والبراهين: «.. ومما يؤيد ذلك (أي أنه خاتم الأولياء)، ما ثبت عنه في بعض شطحياته كقوله: «منذ خلق الله الأرواح والروح الشريف ﷺ يمد أرواح الأنبياء والرسل، وروحي تمد الأقطاب والأولياء» وكقوله: «كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النسخ في الصور» وكقوله: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي من لدن آدم إلى النسخ في الصور»^(٢).

قلت: إن قوله: «منذ خلق الله الأرواح والروح الشريف يمد الأنبياء.. إلخ» وقوله: «كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النسخ في الصور» قول متهافت باطل بالشرع والعقل: «ودلت لأن المتقدم لا يعقل أن يأخذ من المتأخر، والرسل ليس فيهم أحد يأخذ من أحد إلا من كان مأموراً باتباع شريعة نبي من الأنبياء كأبياء بني إسرائيل، والرسل الذين بعثوا فيهم أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى: ﴿إِذَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْنَا... الآية﴾^(٣) أما إبراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى، ونوح لم يأخذ عن إبراهيم، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد ﷺ، إنما بشروا به وآمنوا به»^(٤)

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٤٠.

(٢) أقوى الأدلة والبراهين ١٤.

(٣) سورة المائدة آية ٤٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧.

وقد بينا بطلان هذا القول في المبحث الرابع، فارجع إليه وفقك الله^(١).

وأما قوله: «قدمي هاتان على رقة كل ولي من لدن آدم إلى النسخ في الصور» فهو كلام ساقط مقتضاه أنه أفضل من جميع الأولياء متقدمهم ومتأخرهم، وفي هذا من الغلو والتطاول على عباد الله ما فيه، كما أنه مخالف لهدي صحابة رسول الله ﷺ فلقد كانوا - مع فضلهم وورعهم وتقواهم - يخافون النفاق على أنفسهم، قال البخاري: قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»^(٢).

ثم إن هذا القول لا فائدة فيه، إذ أن أقل المؤمنين تواضعاً لا تحدثه نفسه أن يضع قدمه حافية أو منعولة على قدم مؤمن آخر، فكيف يضعها على رقبته؟ إن هذا الكلام في غاية السقوط، فكيف يليق بمتصوف يزعم أنه تجرد لله وهذب نفسه وجاهد لها أن يطمأ رقاب أولياء الله بقدميه^(٣)؟ وهذا الكلام الباطل استدلوا به على زعمهم الباطل بأن التجاني خاتم الأولياء وهذا شأن الباطل لا يؤيد إلا بمثله.

٣ - وقال أيضاً: «... ويؤيد هذا ما تقدم من أنه ابتلي بالإنكار عليه، ولم يبتل بالإنكار عليه أحد مثل ما ابتلي به سيدنا رضي الله عنه...»^(٤).

قلت: ويرد على ذلك من وجهين:

(أ) أن مجرد الإنكار عليه لا يدل على أنه خاتم الأولياء، فقد أنكر على كثير من الفساق والكفرة كثير من أعمالهم، فهل مثل هذا الإنكار يصلح دليلاً على أفضلية المنكر عليه أو أنه خاتم الأولياء؟

(ب) أن هذا الإنكار إنما صدر من علماء المسلمين، ومعلوم أن علماء الأمة قد أمروا بإنكار المنكر، ولو لم يكن كلامه منكراً لما كثر المنكرون عليه.

وهناك استدلالات قريبة من هذه الاستدلالات لا يعتمد عليها ولا تقوم بها حجة، فهي مجرد أقاويل وحكايات باطلة.

(١) انظر المبحث الرابع ص ١٦٤-١٧٤.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/١٠٩).

(٣) الهدية الهادية ٥٧ (بتصرف) الطبعة الثانية.

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ١٤.

رد مجمل :

١ - إن هذه التسمية بخاتم الأولياء باطلة لأصل لها في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام مأثور عن السلف، ولم يذكرها^(١) أحد قبل أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه: «ختم الولاية» فزعم أنه يكون في المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما، وهو كلام باطل؛ يدل على ذلك أن الحكيم الترمذي تناقض مع نفسه، وذلك أنه لما قيل له: إن بعض الناس يقول: إن الولي يكون منفرداً عن الناس، أبطل ذلك وقال: «يلزم من هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر»^(٢).

وقد هجر بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه هذا الكتاب^(٣).

وقد تبعه في ذلك ابن عربي الذي زعم أن هناك خاتمين للولاية: فهناك خاتم للولاية المحمدية، وهناك خاتم للولاية المطلقة، وهو عيسى عليه السلام^(٤). ثم تبعه غلاة المتصوفة، فكل يدعيها لنفسه فهي مرتبة موهومة لا حقيقة لها^(٥).

٢ - لم يرد في اللغة العربية أن كلمة: «خاتم» بمعنى أفضل كما فسرها التجانيون، وإنما جاءت بمعنى آخر، ولكن لما كان هذا المعنى يلزمهم بأن لا يكون هناك ولي لله بعد التجاني، وهي حقيقة ينكرها أقل الناس تمييزاً، لجأوا إلى المغالطة فقالوا: «إن معنى خاتم الأولياء: ألا يظهر أحد في هذا المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه، فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لا لنفس الظهور»^(٦) وهذا المعنى مردود بمقتضى اللغة.

قال في معجم مقاييس اللغة: «الخاء والتاء والميم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشيء»^(٧). وقال في اللسان: «.. وختام القوم وخاتمهم وخاتمتهم: آخرهم»^(٨).

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٣٦٥ (بتصرف).

(٢) مجموع الفتاوى ٢ / ٢٢٢.

(٣) لسان الميزان لابن حجر ٥ / ٣٠٨ طبع حيدرآباد، الهند سنة ١٣٣١ هـ.

(٤) الفتوحات المكية ٢ / ١٧٤، ١٧٧ المكتبة العربية، القاهرة سنة ١٣٩٢ هـ.

(٥) مجموع الفتاوى ٢ / ٢٢٨.

(٦) انظر ص ١٧٦.

(٧) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٤٥ الطبعة الثانية، المصباح المنير ١ / ٧٥ المطبعة العثمانية.

(٨) لسان العرب ١٥ / ٥٥.

وقال في القاموس المحيط: «.. ومن كل شيء عاقبته وأخبرته كخاتمته وآخر القوم كالخاتم»^(١).

٣- «إن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن بقي قبل قيام الساعة، ولا يلزم أن يكون أفضل من غيره من الأولياء؛ لأنه آخرهم، وإنما نشأ هذا الخطأ من قياسهم خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، فلما كان خاتم الأنبياء أفضلهم قالوا بأن خاتم الأولياء هو أفضلهم، وفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء لم يكن لمجرد أنه خاتم الأنبياء بل لدلالات أخرى دلت على ذلك»^(٢).

٤- إن أفضل الأولياء من هذه الأمة ليس خاتمهم بل أولهم وسابقتهم إلى الإيمان بخاتم الأنبياء، إذ كل من كان كذلك كان أفضل من غيره، وهذا الذي دلّ عليه القرآن والسنة المطهرة^(٣)، فإن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم أمثالهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة المشهورة.

فعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي»^(٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»^(٦).

* مناقشة بعض النصوص التي تحتاج إلى مناقشة:

قولهم في النصوص السابقة: «بأن التجاني هو القطب المكتوم الخاتم المحمدي.. إلخ».

(١) القاموس المحيط ٤/ ١٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٦٥ (بتصرف).

(٣) انظر ص ١٧٧.

(٤) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٧/ ٢٠).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٧/ ١٧).

(٦) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ١/ ٣٨)، ورواه أحمد في المسند ١/ ٨٠.

هذا بناء على قولهم بأن في الأولياء أقطاباً ونقباء ونجباء وأبدالاً وأوتاداً.. إلخ. فقد قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. عن الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد. فمسكن النقباء الغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت حاجة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته»^(١).
والغوث عند التجانية مرادف لقطب الأقطاب كما سيأتي^(٢).
والرد على ذلك من وجوه:

١ - أن هذه الأسماء لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، وقد روي في الأبدال حديث منقطع عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين. قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث ويتصربهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»^(٣).
وقد حكم شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث بالانقطاع^(٤).
وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقاً على هذا الحديث: «إسناده ضعيف لانقطاعه، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة، ثم قال: وسيأتي في شأنهم حديث آخر في مسند عبادة بن الصامت وقال فيه أحمد هناك: وهو منكر»^(٥).

٢ - وقد تكلم العلماء على أحاديث الأبدال والأقطاب، فقال العلامة ابن القيم: «.. أحاديث الأبدال والأقطاب والأغوات والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩. قلت: وهذا الأثر أخرجه ابن عساكر من طريق عبيد الله بن محمد العبيسي قال: سمعت الكتاني يقول: النقباء... وذكره، انظر: (تاريخ ابن عساكر بالتاريخ الكبير ١/ ٦٢، ٦٣، مطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩ هـ).

(٢) انظر ص ١٨٧.

(٣) رواه أحمد (المستند ١/ ١١٢).

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٤.

(٥) حاشية المستند ٢/ ١٧١، بقلم أحمد شاكر - الطبعة الثالثة.

الله ﷺ، وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام فإنهم فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل مكانه رجل آخر» ذكره أحمد ولا يصح أيضاً فإنه منقطع^(١).
وقال السخاوي: «حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة»^{(٢)(٣)}.

وقال الحافظ ابن حجر: «الأبدال ورد في عدة أخبار منها ما يصح وما لا يصح، وأما القطب فورد في بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت»^(٤).
فأحاديث الأبدال لم ترد في الصحيحين ولا في شيء من بقية الكتب الستة إلا حديثاً واحداً عند أبي داود^(٥).. فهي إلى الضعف أقرب منها إلى الصحة.. ثم هي على تقدير ثبوتها فإن معنى الأبدال فيها هم العباد الأتقياء وليس ما يزعمه الصوفية، وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله.

٣- ثم إن هؤلاء الأقطاب والأبدال هل كانوا في زمن نوح وإبراهيم وموسى قبل نبينا محمد ﷺ؟ فإن كانوا كذلك فمن كان القطب زمن إبراهيم عليه السلام حين كان الناس كفاراً؟ «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً»^(٦) أي مؤمناً وحده وكان الناس جميعاً كفاراً، فإذا كان إبراهيم هو القطب فأين الأبدال والنجباء والنجباء والأوتاد؟
وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا محمد ﷺ ففي أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء، وما الدليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع أو عقل^(٧)؟

(١) المنار المنيف لابن القيم ١٣٦، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

(٢) المقاصد الحسنة ٨، وقد ألف السخاوي في ذلك رسالة سماها: «نظم اللال في الكلام على الأبدال».

(٣) وقد صنف العزيز عبدالسلام رسالة في الرد على من يقول بوجودهم - أي الأبدال - وأقام النكير على قولهم: بهم يحفظ الله الأرض (تاريخ العروس للعلامة مرتضى الزبيدي ٧/ ٢٢٣). مطابع دار صادر بيروت ١٣٦٠ هـ - ١٩٦٦ م، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع - بتغازي.

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/ ٣٩٧.

(٥) وهذا الحديث هو حديث أم سلمة «يكون اختلاف عند موت خليفة.. وفيه: فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه... الحديث» (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ١١/ ٣٧٥، ٣٧٨).

(٦) سورة النحل آية ١٢٠.

(٧) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٣٧.

٤ - إنه يلزم من هذا أن يرزق الله سبحانه وتعالى وينصر الكفار على أعدائهم بلا واسطة، ولا يرزق المؤمنين ولا ينصرهم إلا بواسطة، والتعظيم في عدم الواسطة^(١).

٥ - ثم إن هذا القول قريب من قول الرافضة: إنه لا بد من إمام معصوم لا يتم الإيمان إلا به.. وهذا الترتيب عندهم قريب من ترتيب الإسماعيلية والنصيرية في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد.. إلخ^(٢).

٦ - إن هذه الألفاظ مما التبس فيها الحق بالباطل، فبعض الناس ينكروها جملة وتفصيلاً لما يجد فيها من الباطل، وبعضهم يؤمن بها لما يجد فيها من الحق ونحن في هذه العجالة نبين إن شاء الله ما فيها من الحق وما فيها من الباطل لتكون من الذين يلتزمون طريق العدل والإنصاف، ويتجنبون طريق الزيغ والضلال.

* فأقول وبالله التوفيق:

أولاً:

«القطب»: وهو المسمى عندهم «قطب الأقطاب والغوث الجامع»، وهو عند التجانية الخليفة عن الله تعالى في تصريف جميع الوجود جملة وتفصيلاً، فحيث كان الرب إلهاً كان هو خليفته في تصريف الحكم.. وفي ذلك يقول مؤلف جواهر المعاني: «وسألت عن حقيقة القطبانية فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفته في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية لله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتولية ونسابة عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً، وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها ثم تصرفه في مراتب الأولياء يتذوق مختلف أذواقهم، فلا تكون مرئية في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المنصرف في جميعها والممد لأربابها، وله اختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام»^(٣).

وقال في تفسير الإنسان في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٤٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٣٩.

(٣) جواهر المعاني ٢/ ٩٠.

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً»^(١) قال:
«وحملها الإنسان» وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود وبه يرحم جميع
الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولوزال
عن الوجود طرفة عين واحدة؛ لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة العين، وهو المعبر عنه
بلسان العامة (قطب الأقطاب) و(الغوث الجامع)^(٢).

فإن أريد بالقطب هذا المعنى فهو باطل من وجوه:

- ١ - أنهم خلعوا على هذا القطب صفات الإله الواحد الذي لا شريك له، فهم وإن لم
يدعوا أنه إله يعبد من دون الله كما صرح فرعون، إلا أنهم لم يبقوا شيئاً من صفات الله تعالى إلا
وصفوه بها، فالقطب هو النائب عن الحق في تصريف الكون، وروحه مبثوثة في الوجود لتبعث
فيه الحياة والحركة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
- ٢ - أن هذا الكلام قل أن يصدر عن مجنون فضلاً عن عاقل، فكيف يصدر عن يدعي أنه
من أولياء الله الصالحين؟

- ٣ - أن التجاني قد طرد من الجزائر كما سبق في ترجمته^(٣)، وقد أودى في المغرب، فأين
هذا القطب المدبر لشؤون الكون لم لم يدافع عن نفسه؟

- ٤ - قال الدكتور الهلالي: «أرأيت لو حبس هذا القطب في مكان لا يجد فيه سبيلاً لقضاء
الحاجة، فهل يستطيع أن يخرج من ذلك الحبس الضيق إلى عالم من العوالم التي يدبر
شؤونها ويقضي حاجته، أم يبقى في «حبس بيمس» حتى يتفوط على ثيابه ويبول عليها؟
وحينئذ يسخر منه الشيطان الذي أغواه وأمره بأدعاء ذلك الأمر العظيم الذي لا يقدر عليه إلا
الله»^(٤).

- ٥ - ثم إن هذا القطب الذي لوزال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً
في أسرع من طرفة العين، أرأيت لو مات فهل يبقى بتصرف في هذا الكون، أم أن الكون
سيهلك بهلاكه؟

(١) سورة الأحزاب ٧٢.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢٢٧.

(٣) انظر ص ٥٥.

(٤) الهدية الهادية ١١٧.

٦ - وأخيراً فإن مثل هذا الكلام لا يستحق الرد ولا المناقشة، فإن أقل الناس إدراكاً يدرك بطلانه، إذ هو من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في نفي القطب:

ولا قطب نعرفه غير نجم يرى في السماء وقطب الرحي
ونحوهما لا الذي ذكروا يكون مقيماً بغار حرا
يمد الأنعام ويجري الشـؤون وتلك، وربك، أدهى الفـرا
فهل من كتاب وهل سنة أنت من صحيح الحديث بهذا^(١)

وإن أريد به المعنى اللغوي وهو أن القطب هو الحديد التي يدور عليها الرحي، أو أنه الكوكب الذي بين المجدي والفرقدين، أو أنه سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم كما يقال: فلان قطب بني فلان^(٢) سواء كان قطباً لبلده أو قبيلته أو لأسرته، كما قال الشاعر:

كم أنبت دوحة الإسلام من حسن وأطلعت في بهيم الليل من قطب
فهذا المعنى لا غبار عليه وهو معنى حق، فلا اختصاص إذاً للأقطاب بعدد معين، ولا يلزم أن يكون أفضل الناس في زمنه بل قد يكون أفضلهم، وقد يكون من أفضلهم، وقد يكون أسوأهم^(٣).

ثانياً :

«الغوث» إن أريد به المعنى المرادف للقطب كما تقول التجانية فذلك باطل، وقد تقدم بيان بطلانه آنفاً.

وإن أريد به طلب الاستغاثة من المخلوق فيما يقدر عليه، فهذا معنى حق «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه»^(٤).

ثالثاً :

«الأوتاد» إن أريد به ما يزعمه الصوفية من أنهم عبارة عن أربعة أركان من العالم، شرق وغرب وجنوب وشمال، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة^(٥).

(١) الهدية الهادية ٤٧.

(٢) لسان العرب ١٧٦/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٤٠/١١.

(٤) سورة القصص آية ١٥.

(٥) التعريفات لأبي الحسن الجرجاني ١٣٩.

أو أن كل واحد منهم في ركن من أركان الكعبة والذي في ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد ﷺ يمد الخلق بالإمدادات العظيمة^(١) كما يقول التجانيون، فهذا معنى باطل لما تقدم.

وإن أريد به المعنى اللغوي للأوتاد كما يُقال: فلان من أوتاد الأرض، أو: فلان من الأوتاد، يعني بذلك أنه على درجة كبيرة من التقوى والصلاح، وأن الله يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله على يديه كما يثبت الأرض بأوتادها، فهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة ولا يختص بأربعة ولا أقل ولا أكثر^(٢).

رابعاً :

«الأبدال» إن أريد بهم أن من سافر منهم عن موضعه ترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، وهم على قلب إبراهيم^(٣)، وأن عددهم سبعة أو أربعون، فهذا باطل لما تقدم. وإن أريد بهم أنهم أولياء الله المتقون أو العباد الأتقياء^(٤)، وأنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، فهذا معنى حق، وهذه الصفات لا تختص بسبعة ولا أربعين ولا غير ذلك من الأعداد.

خامساً :

«النجباء» إن أريد بهم ما يزعمه الصوفية أنهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة وأن مسكنهم الغرب^(٥)، فهذا المعنى باطل إذ لا يعلم خبايا النفوس إلا الله ﷻ ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد^(٦). وإن أريد به المعنى اللغوي، وأن القيب هو الأمين والوكيل^(٧) كما قال سبحانه: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾^(٨) فهذا معنى حق، ولا اختصاص لهم بعدد معين ولا بمكان معين.

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٠.

(٣) الدرة الخريدة ١/ ٤٩، التعريفات للمرجاني ١٣٩.

(٤) النهاية لابن الأثير ١/ ١٠٧ ط الحلبي، عون المعبود ١١/ ٣٧٦.

(٥) الدرة الخريدة ١/ ٤٩.

(٦) سورة ق آية ١٦.

(٧) لسان العرب ٢/ ٢٦٧.

(٨) سورة المائدة آية ١٢.

سادساً :

«النجباء» إن أريد به ما يزعمه كثير من الصوفية أنهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير، وأن عددهم أربعون أو سبعون^(١) وأن مسكنهم مصر، فهذا المعنى باطل لما تقدم.

وإن أريد به المعنى اللغوي من النجابة: وهي الفضل والشرف، يقال: هو نجيب القوم، إذا كان النجيب فيهم^(٢)، ويُقال: فلان من النجباء، أي الفضلاء، فهذا معنى حق، ولا اختصاص له بعدد معين ولا بمكان معين. والله الموفق والهادي إلى طريق الصواب.

(د) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن التجاني خاتم الأولياء:

ينحصر معنى «الولي» في اللغة في القرب والدنو^(٣)، ويُقال للمطريجي بعد الوسمي: «ولي» لأنه يلي الوسمي، ومنه الولاء في الملك، والمولى: المالك أو العبد^(٤)، والولاية بالفتح النصرة، وبالكسر: الإمارة والخطبة. ومعنى الولاية في الاصطلاح عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، وليست بكثرة صيام ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة^(٥)، والولاية قسمان:

ولاية كاملة :

وهي ما اجتمع فيها الشرطان المذكوران في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾^(٦) وهما الإيمان والتقوى. وولاية ناقصة :

وهي ما دون ذلك، فقد يجتمع في المؤمن ولاية من جهة وعداوة من جهة أخرى. قال النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩، التعريفات للجرجاني ١٣٩.

(٢) لسان العرب ٢/ ٢٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن زكريا ٦/ ١٤١ الطبعة الثانية.

(٤) القاموس المحيط ٤/ ٤٠٤ المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

(٥) شرح الطحاوية ٤٠٤ الطبعة الرابعة.

(٦) سورة يونس آية ٦٢، ٦٣.

وأما خاتم الأولياء عند أهل السنة فهو آخر مؤمن بقي في هذا العالم، ولا يلزم من كونه خاتم الأولياء أنه أفضلهم، بل أفضل الأولياء بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر إخوانهم من السابقين والمجاهدين عليهم رضوان الله، وحكى النووي رحمه الله اتفاق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر.. ثم قال: وقال جمهورهم: ثم عثمان ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان^(٢).

وقال أبو منصور البغدادي^(٣): «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة.. ثم أهل بدر ثم أحد ثم أهل بيعة الرضوان»^(٤).
وروى البيهقي عن الشافعي: أنه كان يقول: «أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»^(٥).

ومن زعم بأن التجاني خاتم الأولياء بمعنى أفضلهم فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. مع ما في هذا الادعاء من تركية النفس، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٦) وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مِنْ

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ١/ ٨٩)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٢/ ٤٦)، ورواه النسائي في سننه ٨/ ١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٤٢، ٢٢٥ شرح الطحاوية ٤٠٥، ٤٠٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٤٨.

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التيمي الإسفراييني أبو منصور، ولد ونشأ ببغداد ورحل إلى خراسان، من تصانيفه: «أصول الدين» «فضائح القدرية» «الملل والنحل» «التحصيل» في أصول الفقه «والفرق بين الفرق» و«نفي خلق القرآن». توفي سنة ٤٢٩ هـ، الأعلام ٤/ ١٧٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٢، ٣٧٣، مكتبة النهضة المصرية، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٠، ٣٧٢ مطابع دار صادر بيروت.

(٥) أصول الدين ٣٠٤ «بتصرف» الطبعة الأولى.

(٦) الاعتقاد للبيهقي ١٩٢ دار المعهد الجديد للطباعة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م، صححه أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، وذكر ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧) أن البيهقي روى في الاعتقاد بسنده عن الشافعي إجماع الصحابة وأتباعهم على ذلك ولم أجده في الاعتقاد.

(٧) سورة النجم آية ٣٢.

يشاء ولا يظلمون فتيلاً»^(١).

وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال: «سميت ابنتي (برة) فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم. فقالوا: بم نسميها؟ قال: سموها زينب»^(٢).

قلت: هذا مجرد التسمية، فكيف بمن يدعي أنه أفضل الأولياء؟

قال القرطبي بعد ذكر الحديث السابق: «ويجري هذا المجرى ما كثر في هذه الديار المصرية من نعت أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين، محيي الدين، وما أشبه ذلك، لكن لما كثر قبائح المسمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تفيد شيئاً»^(٣).

ثم إن في هذا الادّعاء تفضيلاً لنفسه على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة الذين صرح القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضلهم، ففيه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، فهو زعم باطل وقول آثم، ولذلك قال أبو منصور البغدادي عندما تحدّث عن الكرامة: «... ومنهم من ادّعى فضل زعيمهم ابن كرام على ابن مسعود وكثير من الصحابة ولم يجسر على تفضيله على الأنبياء خوفاً من السيف، وهذا قول لا يستحق صاحبه الكلام عليه»^(٤).

وقال القرطبي: «وأما قوله ﷺ في صحيح الحديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا عبدالله ورسوله»^(٥) فمعناه: لا تصفوني بما ليس في من الصفات تلتمسون بذلك مدحي، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا، وهذا يقتضي أن من رفع أمراً فوق حدّه وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتد آثم؛ لأن ذلك لو جاز في أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله ﷺ»^(٦).

(١) سورة النساء آية ٤٩.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤ / ١٢٠)، رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ١٣ / ٢٩٤ - ٢٩٥).

(٣) تفسير القرطبي ٥ / ٢٤٦.

(٤) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ٢٩٨ الطبعة الأولى.

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦ / ٤٧٨) بنحوه.

(٦) تفسير القرطبي ٥ / ٢٤٧.

الفصل الثالث عقيدتهم في اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة.

المبحث الثاني : في قول التجاني «من رآني دخل الجنة».

المبحث الثالث: في بعض فضائل التجانيين التي يدعون أنها خاصة بهم مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

المبحث الأول

في زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة

ذكر بعض النصوص التي تصرح بأن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة كما يزعم:
زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا. وفيما يلي بعض النصوص التي وردت في كتب التجانية في ذلك:

١ - قال مؤلف الجواهر: «اطلعت على ما رسمه وخطه ونصه.. أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يصم لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى ابن مريم من جميع الذكور والإناث.. وكل من أحس إليّ بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر.. وكل من لم يعاديني من جميع هؤلاء، أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً، وكل من خدمني أو قضى لي حاجة.. وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم.. يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ ولجميع هؤلاء أن نموت وكل حي منهم على الإيمان والإسلام.. ثم قال: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضماناً لا تتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جوارِي في عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته ما ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام.. ثم قال: وكل هذا واقع يقظة لا مناماً»^(١).

٢ - ونقل مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله:

«.. وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة»^(٢).

(١) جواهر المعاني ١/ ١٣٠، ١٣١، جواهر المعاني ٢/ ١٦٢، ١٦٣.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٣، الدرة الخريدة ١/ ٥١.

٣- وقال مؤلف بغية المستفيد: «إن من جملة ما ذكره سيدنا رضي الله عنه من فضل هذا الورد العظيم عن نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، أن كل من أخذه عن الشيخ أو عمن عنده الإذن الصحيح في التلقين، يكون مقامه ومستقره من فضل الله تعالى في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ويغفر الله له تعالى بفضل من ذنوبه الكبائر والصغائر، وتؤدي عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر، ولذلك كان آمناً من أن يروعه هول المحشر، أو يؤلمه ضنك القبر، وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنية، وكذا أبواه داخلون»^(١) معه في هذا الخير الجزيل، بشرط ألا يصدر بغض من الجميع في هذا الشيخ الجليل وجانبه الأعز المنيع»^(٢).

٤- وقال في الجيش الكفيل بأخذ الثار: «وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ورداً أن تعفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، وأن تؤدي عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسانتهم، وأن يدفع الله عنهم محاسبته... وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، وأن يكونوا معي في عليين في جوار النبي ﷺ. فقال لي النبي ﷺ: ضمنت لك هذا صمناً لا ينقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين»^(٣).

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول:

قال محمد الحافظ التجاني: «أما دخول الجنة بغير حساب فقد ثبت في الصحيحين»^(٤) حديث السبعين ألفاً، ووقع في غير الصحيحين أن مع السبعين ألفاً زيادة عليهم، ففي حديث أبي هريرة عند أحمد والبيهقي في البعث عن النبي ﷺ قال: «سألت ربي فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فاستزدت ربي فرادني مع كل ألف سبعين ألفاً وسنده جيد. وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رفعه: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا

(١) كذا في الأصل.

(٢) بغية المستفيد ٢٧٣.

(٣) الجيش الكفيل بأخذ الثار ٢١٤، ٢١٥.

(٤) صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٤٠٦/١١. رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٩٣/٣، ٩٤) رواه أحمد في المسند ٤٠٠/٢ - ٤٠١.

حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي»^(١).. قال محمد الحافظ: «وفي حثية من حثيات الحق يدخل التجاني وأصحابه وأصحابه وأكثر منهم، اللهم إلا أن اجترأ مفتر على الله فحدها بحد أو قدرها بقدر لا دليل فيه إلا رأي سخيف ما أنزل الله به من سلطان»^(٢).

المناقشة:

١ - إن الاستدلال بهذا الحديث ليس في محله، إذ غاية ما فيه أن أناساً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وليس فيه دليل على ضمان الجنة لأحد معين.
٢ - أن القول بخصوصية ضمان دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب بالتجانيين قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة، وكل دعوى خلت من الدليل فهي باطلة. ودعواه أن النبي ﷺ أخبره بذلك يقظة - مع أنها مستحيلة كما بينا^(٣) - ليست بصحيحة؛ لأن النبي ﷺ حينما سأله أصحابه عنهم أخبر بصفاتهم فقال: «كانوا لا يكتنون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٤) ولم يخبر ﷺ بذواتهم، ولا يرد ما تلقاه عنه أصحابه رضي الله عنهم في حياته بهذه الدعاوى الباطلة.

٣ - إن العلماء قد اختلفوا في هؤلاء السبعين ألفاً، فمنهم من قال: إنهم من أهل البقيع لحديث أم قيس رضي الله عنها، قالت: «لورأيتني ورسول الله ﷺ آخذ بيدي في سكة من سكك المدينة ما فيها بيت حتى انتهى إلى بقيع الغرقد، فقال لي: يا أم قيس، يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»^(٥). فقام عكاشة بن محصن فقال: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت. فقام آخر فقال: وأنا يا رسول الله؟ قال: سبقك بها عكاشة»^(٦).

(١) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب» جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ١٢٩/٧، ١٣٠، ورواه أحمد في المسند ٢٦٨/٥.

(٢) الانتصاف في رد الإنكار على الطريق ٢٢، ٢٣ الحلقة الثالثة، الطبعة الثانية.

(٣) انظر ص ١٣٦ وما بعدها من بحثنا هذا.

(٤) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٠٦/١١).

(٥) مشتهى الخارف الجاني: ١١٣.

(٦) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه» مجمع الزوائد ١٣/٤، وذكره ابن حجر في فتح الباري وسكت عنه (فتح الباري ٤١٣/١١)، وانظر وفاء الوفاء ٨٠/٢ مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ١٢٤ الطبعة الأولى، عمد الأخبار في مدينة المختار ١٢٤، ١٢٥ مطبعة الشبيبي.

وأكثر أتباع التجاني من أهل إفريقية الخضراء ممن لم ير المدينة، فكيف يدفن فيها فضلاً عن البقيع^(١)؟

وقيل: إن هؤلاء السبعين ألفاً هم الذين تساوت سيئاتهم وحسناتهم، وهذه صفة عامة تشمل من تساوت حسناتهم وسيئاتهم من التجانيين وغيرهم. وقيل: إنهم المتصفون بالصفات المذكورة في الحديث «كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٢) وهو القول الصحيح؛ لأن النبي ﷺ فسرهم بذلك، ولا ينبغي العدول عن قوله ﷺ إلى أقوال لا تقوم بها حجة.

فالحديث لم يخص طائفة معينة من الناس، فكل من اتصف بهذه الصفات كائناً من كان دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما أخبر بذلك سيد الخلق ﷺ، ولكن التجاني يصر على أنه يضمن لأصحابه دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب ولو عملوا من المعاصي ما عملوا، وأن ذلك خاص به وحده ليس لأحد سواه^(٣). نعوذ بالله من سوء الافتراء والكذب على الله.

٤ - قول محمد الحافظ: «وفي حثية من حثيات الحق يدخل التجاني وأحابيه وأصحابه وأكثر منهم».

قلت: وهذا القول مغالطة مكشوفة، وتعليق للأمر بقدرة الله تعالى وقدرته الله متعلقة بكل شيء^(٤)، فهو سبحانه وتعالى قادر على أن يدخلهم الجنة كما هو قادر على أن يدخلهم النار، فله القدرة التامة على كل شيء، لكن ما الدليل على أن النبي ﷺ قد ضمن للتجاني وأصحابه أن يكونوا من السبعين ألفاً أو في إحدى الحثيات؟ هذا هو موضع الخلاف وهو ما لا دليل عليه، والله أعلم.

الدليل الثاني:

واستدل محمد الحافظ على ضمان كونهم مع النبي ﷺ في أعلى عليين بقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾^(٥).

(١) مشتهى الخارف الجاني ١١٤.

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٨.

(٣) انظر: ص ٢١٤ من هذا الكتاب.

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٥) سورة النساء آية: ٦٩.

وبما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «... إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال - ومنه تفجر أنهار الجنة»^(١).
قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أن الله لم يستجب له؟»^(٢).

المناقشة:

١ - إن الآية والحديث كلاهما دليل في غير موضع الاستدلال، فالآية تدل على أن من أطاع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وهذا المعنى لا يمارى فيه مسلم يتدبر كتاب الله، ولم تشر الآية من قريب ولا من بعيد إلى ضمان حصول هذه المعية للتجاني وأتباعه، إذ غاية ما فيها أن من أطاع الله ورسوله فهو مع النبيين والصديقين والشهداء كائناً من كان.

وما يقال في الآية يقال في الحديث، إذ ليس فيه دلالة على ما أرادوا من ضمان الفردوس له ولأتباعه، إنما فيه توجيه العباد إلى سؤال ذلك طمعاً في فضل الله ورضوانه.
٢ - قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أن الله لم يستجب له؟».

قلت: ولو سأل ذلك له ولأصحابه لما اعترض عليه، فكل عبد من عباد الله له أن يسأل الله تعالى بما شاء متى شاء، ولكن ما ذكره التجاني لم يكن مجرد سؤال ودعاء بل صرح في أكثر من موضع وفي أكثر من كتاب بأن النبي ﷺ ضمن لهم دخول الجنة مع النبيين والصديقين في الفردوس الأعلى، فمن ذلك أنه قال... بعد ما سأل النبي ﷺ أن يضمن له ولأتباعه دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.. قال: «كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضماناً لا تتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جوارى في عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام»^(٣).
ومعنى الضمان في اللغة: الكفالة والالتزام.

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١١/٦).

(٢) الانتصار في رد الإنكار على الطريق ٢٣ الحلقة الثالثة ط الثانية.

(٣) انظر ١٩٦ من هذا الكتاب.

قال في معجم مقاييس اللغة: «الكفالة تسمى ضماناً من هذا؛ لأنه كأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته»^(١).

وقال في اللسان: «الضمين الكفيل، ضمن الشيء وبه ضمنا وضماناً: كفل به، وضمنه إياه: كفّله. وفي الحديث: «من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة»^(٢) «أي ذو ضمان»^(٣).

وقال في المصباح المنير: «ضمنت المال وبه ضماناً فأنا ضامن وضمين: التزمت»^(٤).
وقال في القاموس المحيط: «.. وضمنته الشيء تضميناً فتضمنته عني: غرمته فالتزمت»^(٥).
فلو كان ما قاله مجرد دعاء يحتمل الإجابة أو عدمها لما اعترض عليه ولا نقش فيه، ولكنه صرح بالضمان فوجب الإنكار عليه. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٧٢ الطبعة الثانية.

(٢) رواه مسلم بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة... الحديث» صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ١٩، ٢٠. قال الإمام النووي: «ذكروا في (ضامن) هنا وجهين: أحدهما بمعنى مضمون كما دافق ومدفوق، والثاني بمعنى ذو ضمان» (شرح النووي ١٣/ ٢٠).

(٣) لسان العرب ١٧/ ١٣٦.

(٤) المصباح المنير ٢/ ٦ المطبعة العثمانية.

(٥) القاموس المحيط ٤/ ٢٤٥.

بعد مناقشة الأدلة نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة، فأقول
وبالله التوفيق :

(أ) قول التجاني: «ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريق أو عمن أذنته يدخل الجنة هو والده وأزواجه وذريته المتفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب، بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة، وبدوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات.. إلخ»^(١).
ونقل مؤلف رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله:

« . . وليس لأحد من الرجال أن يدخل كسافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة»^(٢).

هذا القول باطل من وجوه :

١ - أن هذا الرجل ضمن لأصحابه ما لم يضمنه ﷺ لقرايته وأحب الناس إليه، ففي البخاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾^(٣)، قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما

(١) الدرة الخريدة ٢٦/٤.

(٢) انظر ص ١٩٦ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤.

شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١).

فهذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى قد بين لأقاربه أن مجرد قرابتهم منه لا تغني عنهم من الله شيئاً، بل لابد من الإيمان الصحيح والعمل الصالح، فأين هذا من ضمان التجاني لأصحابه الجنة وإن عملوا من المعاصي ما عملوا؟ فهذا الرجل يزعم أنه ضمن لأتباعه ما لم يضمه رسول الله ﷺ لقرابته.. ضمن لهم دخول الجنة مهما عملوا من المعاصي بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة وبدوام محبتهم له بلا انقطاع إلى الممات.. وهذا الزعم يدل على أنه أوتي ما لم يؤت رسول الله ﷺ، مما يشعر بتفضيله لنفسه على النبي ﷺ، وهذا ما لا يقره عليه شرع ولا عقل ولا عرف^(٢).

٢- أن هذا الرجل قد ضمن لأتباعه ما لم يضمه رسول الله ﷺ لأصحابه، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب حينما قام رجل فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم». قال: سبقك بها عكاشة^(٣) فإن النبي ﷺ لم يضمن لجميع أصحابه أن يكونوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإنما قال لمن سألته ذلك: «سبقك بها عكاشة»، حسماً للمادة ومنعاً للتسلسل.

أما التجاني فهو يضمن الجنة لجميع أتباعه ولو عملوا من المعاصي ما عملوا، وهذا الزعم يدل على أنه أوتي ما لم يؤت رسول الله ﷺ، كما يشعر بأن أتباعه أفضل من صحابة رسول الله ﷺ^(٤).

٣- قول التجاني: «ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريقة أو عن أذنته يدخل الجنة.. بلا حساب ولا عقاب.. إلخ».

يدل على أن من قرأ هذا الورد دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، وهذا المقام لم يحصل لحاملي القرآن بل دل الكتاب والسنة على أن كثيراً من حملة القرآن يدخلون النار، بل إن

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/ ٥٠١). ورواه الترمذي (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ٦/ ٥٩٨، ٥٩٩).

(٢) مشتهى الخارف الجاني ١٢١-١٢٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١١/ ٤٠٦).

(٤) مشتهى الخارف الجاني ١١٢-١١٣، مجلة المنار المجلد ٣٣ ص ٥٠٢ الجزء السابع العدد ١٢ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ.

بعض حملة القرآن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، كما صح ذلك عن المصطفى ﷺ.

فقد روى مسلم عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناقل^(١) أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. الحديث»^(٢).

فهذا قارئ للقرآن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة لكونه كان مرانياً بقراءته والعياذ بالله، أما قارئ الورد التجاني فإنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عمل من المعاصي ما عمل شرط ألا يصدر منه سب ولا بغض بجانب الشيخ، نعوذ بالله من الخذلان.

٤ - أن التجاني ضمن لأتباعه دخول الجنة كما ضمن ذلك لأولادهم وأزواجهم بشرط «ألا يصدر منهم سب ولا بغض بجانب الشيخ. إلى الممات...».

والمعلوم في الكتاب والسنة أن النفع لا يصل إلى المتعلق من ولد أو زوج إلا بشرط كونه صالحاً، قال الله تعالى حكاية عن حملة العرش: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾^(٣).

قال الألوسي: «والظاهر أن المراد بالصلاح: الصلاح المصحح لدخول الجنة وإن كان دون صلاح المتبوعين»^(٤).

(١) «ناقل أهل الشام» وفي الرواية الأخرى: «فقال له ناقل الشامي» وهو ناقل بن قيس الحزامي الشامي من

أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابياً وكان ناقل كبير قومه (شرح النووي على مسلم ١٣ / ٥٠).

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣ / ٥٠، ٥١)، ورواه أحمد في المسند ٢ / ٣٢٢.

(٣) سورة غافر آية ٧، ٨.

(٤) روح المعاني ٢٤ / ٤٨.

وقال القرطبي: «ومن صلح: بالإيمان»^(١).

ومن الأحاديث ما رواه ابن ماجه بسنده عن رفاة الجهيني قال: صدرنا مع رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده ما من عبد يؤمن ثم يسدد إلا سلك به في الجنة، وأرجو ألا يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من ذراريكم مساكن في الجنة، ولقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب»^(٢).

وفي قصة نوح وابنه وإبراهيم وأبيه ولوط وزوجته أكبر دليل، فشرط الصلاح هو المعتبر شرعاً.

وأما اشتراط عدم سب الشيخ وبغضه فهو شرط افتراه التجانيون من عند أنفسهم ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا من سنة^(٣).

٥ - أن في قول التجاني بضمنان الجنة لأتباعه ولو عملوا من الذنوب ما عملوا تشجيعاً لهم على مقارفة المعاصي والذنوب، فما دام شيخهم قد ضمن لهم الجنة ولو عملوا من المعاصي ما عملوا فماذا يمنعهم من ذلك؟ وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أمر الناس بالطاعات ونهيهم عن المعاصي ليكونوا بين الخوف والرجاء.. والله أعلم.

(ب) قولهم: «إن كل من أخذ (هذا الورد) عن الشيخ.. يكون مستقره في أعلى عليين.. وتؤدى عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر.. إلخ»^(٤).

وهذا القول باطل وبيان ذلك:

أنهم استدلوا على سقوط التبعات عمن قرأ وردهم بما رواه الإمام أحمد وابن ماجه والبيهقي^(٥) «عن العباس بن مرداس أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه: قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها. فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا

(١) تفسير القرطبي ٢٩٥/١٥.

(٢) رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ١٤٣٢/٢، ١٤٣٣)، ورواه أحمد في المسند ١٦/٤، قال الهيثمي: «رواه الطبراني والبخاري بإسناد جيد ورجال بعضهما عند الطبراني والبخاري رجال الصحيح» اهـ مجمع الزوائد ٤٠٨/١٠.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١١٧، ١١٨.

(٤) انظر ١٩٧ من هذا الكتاب.

(٥) رواه ابن ماجه بنحوه (سنن ابن ماجه ١٠٠٢/٢) ورواه أحمد بنحوه (المسند ١٤/١٥).

الظالم، فلم يجبه تلك العشيّة، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله عز وجل: إني قد غفرت لهم، فتبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تبسم فيها. قال: تبسمت من عدو الله إبليس أنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمّي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسي»^(١).

وهذا الحديث مردود من وجوه:

- ١ - أن في صحته نظراً، فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات^(٢)، وقال ابن حبان: «كنانة بن العباس بن مرداس السلمي يروي عن أبيه، روى عنه ابنه، منكر الحديث جداً، فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من ابنه، ومن أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج»^(٣).
وقد ألف ابن حجر رحمه الله تأليفاً سماه: «قوة الحجاج في عموم المغفرة للحاج» رد فيه قول ابن الجوزي رحمه الله بأن الحديث موضوع، وقال بأنه جاء من رواية جماعة من الصحابة وإنما غايته أنه ضعيف ويعضد بكثرة طرقه...»^(٤).
- وقال علي القاري في مرقاة المفاتيح بعد أن ذكر بعض الأحاديث في هذا المعنى: «وإذا تأملت ذلك كله علمت أنه ليس في هذه الأحاديث ما يصلح متمسكاً لمن زعم أن الحج يكفر التبعات؛ لأن الحديث ضعيف، بل ذهب ابن الجوزي إلى أنه موضوع»^(٥).
- ٢ - وعلى فرض صحته فيحتمل أن يكون معناه أن الحج مكفر لحقوق ليس عالمياً بها أو عاجزاً عن وفائها^(٦).
- ٣ - أن المسائل الاعتقادية لا تثبت إلا بالأحاديث الصحيحة سنداً ومتناً ولا تثبت بالأحاديث الضعيفة.
- ٤ - أن الحديث ليس نصاً في كل الأعمال أو في بعض الأذكار والأوراد وإنما في الحج وحده، وليس فيه دليل بأي وجه من الوجوه على أن ورد التجاني مكفر للتبعات.

(١) رشح السهام ٥٨.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢١٦ الطبعة الأولى.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٢٨ الطبعة الأولى.

(٤) نقلاً عن مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٥) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١ المكتبة الإسلامية.

(٦) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١، مشنهي الخارف الجاني ١٢٩.

٥ - أن الأمة قد أجمعت على أن الحج لا يكفر التبعات كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله: «...ومن اعتقد أن الحج يسقط ما عليه من الصلاة والزكاة فإنه يستتاب بعد تعريفه إن كان جاهلاً، فإن تاب وإلا قتل، ولا يسقط حق الأدمي من مال أو عرض أو دم بالحج إجماعاً»^(١).

٦ - أن التبعات لا يكفرها الجهاد في سبيل الله الذي هو أعظم القرب، فكيف يكفرها هذا الورد المفترى؟ فقد روى مسلم بسنده من حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ، أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقال رجل فقال: «يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟» فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر. ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله: نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»^(٢).

فدل هذا الحديث على أن الجهاد في سبيل الله مكفر لحقوق الله تعالى دون حقوق عباده. والله أعلم.

(ج) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من زعم ذلك :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجوز القطع لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار، وإنما يرجى للمحسن ويخاف على المسيء. وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

١ - أنه لا يشهد لأحد بالجنة إلا للأنبياء عليهم السلام، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي^(٣).

٢ - أنه لا يشهد لأحد بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة، وثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وبعض الصحابة^(٤).

٣ - وأما ما لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة فاختلف فيه العلماء على قولين:

(١) الفتاوى الكبرى ٤/ ٤٦٧، دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ٢٨، ٣٨)، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٢٠ - ٣٠٨ - ٣٣٠.

(٣) شرح الطحاوية ٤٢٦ الطبعة الرابعة.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٣.

الأول : أنه لا يشهد له بالجنة مطلقاً.

الثاني: أن يشهد بالجنة لمن استفاض بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه، كعمر بن عبدالعزيز، والحسن، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي.. وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. ودليل ذلك ما ورد في الصحيح «عن عبدالعزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: مروا بجنة فأتوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: وجبت. ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شراً، فقال: وجبت. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثبتتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثبتتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» (١) (٢).

ومذهب أهل السنة والجماعة عدم جواز القطع لأحد معين بجنة أو نار إلا بنص من الشارع، وإنما القطعي أن يقال: إن من مات على الإيمان الصحيح فهو من أهل الجنة. وأن الخواتيم لا يعلمها إلا الله تعالى (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد على معين بالسار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم؛ لأنه قد يندرج في العموم فيستحق الثواب والعقاب؛ لقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (٤)، والعبد إذا اجتمع له سيئات وحسنات فإنه وإن استحق العقاب على سيئاته فإن الله يشبهه على حسناته، ولا يحبط حسنات المؤمن لأجل ما صدر منه، وإنما يقول بحبوط الحسنات كلها بالكبيرة الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر وأنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها» (٥).

ولقد شنع العلماء على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الجرأة على الله وأدعاء معرفة الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، فمن مات على الإيمان الصحيح دخل الجنة. قال أبو حيان رضي الله عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣١٣، ٣١٤، مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٨، ٥١٩.

(٣) شرح الطحاوية ٤٢٦، ٤٢٧، مجلة المنار مجلد ٣٣ ص ٥٠٦ جزء ٧ العدد ٢٠٠، شعبان سنة ١٣٥٢ هـ.

(٤) سورة الزلزلة آية ٧، ٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٦٨/ ٣٥.

هو^(١): «ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادّعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة، مقطوع لهم ولأتباعهم بها، يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم من العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب.. إلخ»^(٢).

وقال أيضاً.. عند تفسير قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾^(٣): «أسند الطبري عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ قال: «فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري، أنت لعمري لنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفته الرسل، قال نبي الله نوح: ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾^(٤)، وقال نبي الله شعيب: ﴿بقية الله حير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾^(٥)، وقال الله تعالى لنبيه: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾^(٦) اهـ^(٧).

قال أبو حيان: «قلو عاش قتادة إلى هذا العصر - الذي هو قرن ثمانمائة - وسمع ما أحدث هؤلاء المنسوبون إلى الصوف من الدعاوى والكلام المبهرج الذي لا يرجع إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ﷺ، والتجري على الإخبار الكاذب عن المغيبات؛ لقضى من ذلك العجب، وما كنت أظن أن ما حكى عن قتادة يوجد في ذلك الزمان لقربه من الصحابة وكثرة الخير، لكن شياطين الإنس يبعد أن يخلو منهم زمان»^(٨).

وقد بيّنا فيما سبق أن من ادّعى علم الغيب فقد كفر.

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٢) البحر المحيط ٤ / ١٤٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠١.

(٤) سورة الشعراء آية ١١٢.

(٥) سورة هود آية ٨٦.

(٦) سورة التوبة آية ١٠١.

(٧) تفسير البحر المحيط ٥ / ٩٣، تفسير الطبري ١١ / ٨.

(٨) تفسير البحر المحيط ٥ / ٩٣.

المبحث الثاني

في قول التجاني «من رأني دخل الجنة»

ذكر بعض النصوص التي ورد فيها هذا القول :

ورد هذا القول في كثير من كتب التجانية القديمة والحديثة، ونحن نذكر فيما يلي بعضاً منها على سبيل المثال:

١ - ذكر مؤلف جواهر المعاني عن التجاني أنه قال: «... من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، إن لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض ولا أذية، ومن حصل له النظر في هذين اليومين فهو من الأمنين إن مات على الإيمان، وإن سبق أنه يحصل له العذاب في الآخرة فلا يموت إلا كافراً فهذا ما يمكن إعلامكم به في هذا الوقت، وفي وقت آخر يفعل الله ما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).
والتجانيون يؤمنون بذلك ويصدقونه :

٢ - قال مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم: «... رأيت شيخنا التجاني رضي الله عنه وأرضاه - وعناً به - في واقعة من الوقائع وبه حلة من نور وقال لي رضي الله عنه وأرضاه - وعناً به -: من رأى هذه الحلة دخل الجنة. ثم ألبسني إياها رضي الله عنه»^(٢).

٣ - وقال مؤلف بغية المستفيد: «وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الاثنين والجمعة، فهي من كراماته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، بإخبار من النبي ﷺ ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه بعزة ربي: يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعني سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتبون - يعني الأملاك السبعة - اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك، ولتكثر من الصلاة علي في هذين

(١) جواهر المعاني ٢ / ١٨٠.

(٢) رماح حزب الرحيم ١ / ١٨٢.

اليوميين فكل صلاة تصلّيها عليّ نسمعك ونرد عليك، وكذلك جميع أعمالك تعرض عليّ والسلام»^(١).

٤ - وقال مؤلف بغية المستفيد أيضاً: «.. وبالجملّة فروّيته رضي الله عنه في كل يوم سبب لدخول الجنة بلا حساب ولا عقاب كرامة من الله تعالى له، وروّيته في أحد هذين اليوميين المذكورين سبب لما ذكر من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، وزيادة ما ذكر من كتابة الملائكة.. إلخ كرامة من الله تعالى أيضاً رضي الله عنه، فافهم ذلك».. ثم قال: «ورأيت في كلام بعض من كان مشاراً إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير إلى أن المختص برأيه في اليوميين هو السعادة التي لا شقاوة بعدها، يعني أنه لا يراه في هذين اليوميين إلا من سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيداً، فيدخل الكفار في هذا الخطاب، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهاب، فيقال: لا يراه في هذين اليوميين إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائناً من كان، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليوميين ختم له بالإيمان وعليه فتختص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلماً سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما هو مصرح به في الجواهر، وهذه المقيدة باليوميين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافراً»^(٢).

الأدلة والمناقشة :

يستدلون على أن من رأى شيخهم دخل الجنة بقول النبي ﷺ: «لا تمس النار مسلماً رأيته» رواه الترمذي.

قال محمد الحافظ: «وقد كان السلف يحملونه على ظاهره ويرجون ذلك الفضل، قال طلحة: «فقد رأيت جابراً. وقال موسى: قد رأيت طلحة. قال يحيى: وقال لي موسى: وقد رأيتني ونحن نرجو الله» اهـ. قال محمد الحافظ: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين، وصح عنه ﷺ أنه قال: «من رأي في المنام فقد رأي فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٣) فمن رآه في المنام فقد رآه»^(٤).

(١) بغية المستفيد ٢١٦، الدرة الخريدة ١/ ٧٩.

(٢) بغية المستفيد ٢١٧، وبغية المستفيد ٢٧٥، الدرة الخريدة ١/ ٨٠، ومنية المريد ٧.

(٣) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

(٤) الانتصاف في رد الإنكار على الطريق ٢٤ الحلقة الثالثة ط ٢.

* المناقشة :

- ١ - إن هذا الحديث محل نظر، فالحديث لم يرد إلا في جامع الترمذي، وقال عنه الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاري»^(١). وموسى بن إبراهيم الأنصاري ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه: وكان يخطئ^(٢). وقد روى موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش، وقد قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: «قال الأزدي: طلحة روى عن جابر مناكير، وذكره أبو موسى في ذيل معرفة الصحابة وبين أن حديثه مرسل»^(٣). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة طلحة بن خراش: «قال الأزدي: له ما ينكر»^(٤).
- ٢ - أن محمداً الحافظ التجاني قد بين وجه الدلالة بقوله: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين، وصح عنه عليه السلام أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٥) فمن رآه في المنام فقد رآه. قلت: فلو كان ذلك مجرد دعاء لهان الأمر، فكل مسلم يرجو الله أن يدخله الجنة ويبعده عن النار، ولكن شيخهم صرح في أكثر من موضع بأن من رآه دخل الجنة وهذا هو محل الخلاف، فصرفه إلى مجرد الدعاء مغالطة مكشوفة. أما قوله «وصح عنه عليه السلام أنه قال: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي. فمن رآه في المنام فقد رآه». فهذا صرف للرؤية المذكورة في الحديث بأنها كما تكون للصحابة والتابعين في اليقظة فإنها تكون لمن بعدهم في المنام، وهذا التفسير باطل من وجهين: (أ) أن هذا التفسير صرف للحديث عن معناه المتبادر للذهن إلى معنى بعيد لا دليل عليه. (ب) أن الرؤية المذكورة في الحديث هي رؤية اليقظة، ويدل على ذلك تفسير طلحة بن

(١) جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ١٠/٣٦٠، ٣٦١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/٣٣٣، الخلاصة: ٣٨٩ ط ٢.

(٣) تهذيب التهذيب ١٥/٥.

(٤) ميزان الاعتدال ٢/٣٣٨ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

خراش لها وهو من التابعين، ومعلوم أن الصحابة والتابعين هم أعلم الناس بمقاصد الرسول ﷺ لقربهم من عهد التشريع، كما يدل على ذلك أن الترمذي يوّج للحديث بقوله: «باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه»^(١) فلو كان المقصود بها رؤيا المنام لقال: «باب فضل من رأى النبي ﷺ في المنام».

٣- أن هذا الحديث خاص برؤية النبي ﷺ ورؤية من يراه من الصحابة دون سائر المسلمين، كما فسّره بذلك الترمذي كما هو واضح من تبويبه: «باب فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه»^(٢) وفي ذلك يقول الشيخ محمد صديق الهندي: «ظاهر الحديث تخصيص الصحابة والتابعين بهذه البشارة، وليس في لفظه ما يدل على شمول سائر المسلمين إلى يوم الدين، بل قصر تبع التابعين أيضاً عن الدخول فيه، والحديث أفاد أن الشارة خاصة بمن رأى الصحابي، فمن لم يره وكان في زمنه فالحديث لا يشملهم. والله أعلم»^(٣).

فإذا كان هذا المعنى الحديث كما فسّره به الترمذي ومؤلف كتاب الدين الخالص، فمن أين للتجانين نقل هذا المعنى وتطبيقه على شيخهم؟ وعلى فرض عمومه لسائر المسلمين فمن أين للتجانين تخصيصه برؤية شيخهم دون من سواه من المسلمين؟

(١) جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوزي ١٠ / ٣٦٠.

(٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي ١٠ / ٣٦٠.

(٣) الدين الخالص ٣ / ٥٢٠ تأليف محمد صديق حسن - مطبعة المدني.

بعد مناقشة ما استدلووا به نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة فنقول وبالله التوفيق:

(أ) قوله في جواهر المعاني: «.. من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب.. إن مات على الإيمان»^(١).

قلت: هذا الكلام لغو لا فائدة فيه، إذ لا مزية لرؤية التجاني يوم الجمعة أو الاثنين؛ لأن من مات على الإيمان فهو من أهل الجنة؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، سواء رأى التجاني أم لم يره.

(ب) قول مؤلف رماح حزب الرحيم فيما يرويه عن شيخه: «من رأى هذه الحلة دخل الجنة»^(٢) فهو أكثر تهافتاً من قوله: «من رأى دخل الجنة» إذ لا يعضده دليل من شرع ولا عقل، وما خلا من الدليل فهو مردود على صاحبه:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء

فأي مزية لهذه الحلة؟ وهذا قول لا يعتقده من له أدنى مسكة من عقل.

(ج) قول مؤلف بغية المستفيد: «.. فيقال لا يراه في هذين اليومين إلا من يسبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائناً من كان، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان».

وقال أيضاً: «وعليه فتختص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلماً سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما هو مصرح به في الجواهر، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافراً»^(٣).

قلت: وهذا مردود من وجوه:

١ - أن هذه المزية - وهي أن من رآه ولو كان كافراً يدخل الجنة لم تكن للنبي ﷺ ولا لأحد من الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام، بل النبي ﷺ كان حريصاً على هداية عمه أبي طالب كل الحرص، فلو كانت مجرد الرؤية كافية في دخوله الجنة لما حرص ﷺ على إسلامه، حتى

(١) انظر ص ٢١٠.

(٢) انظر ص ٢١٠.

(٣) بغية المستفيد ٢١٧، الدرة الخريدة ٨٠ / ١.

أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١)(٢).
فلا يقول بعد هذا: إن من رأى التجاني دخل الجنة ولو كان كافراً، إلا من يفضل التجاني
على النبي ﷺ، وهذا ما لم يقله التجاني تصريحاً ولا أحد من أتباعه، إلا أن هذا القول يقتضي
ذلك (٣).

٢ - أن الحديث الذي استدل به التجانيون مقيد بمن رأى النبي ﷺ مسلماً من الصحابة،
حيث قال ﷺ: «لا تمس النار مسلماً رأيي أو رأي من رأيي» (٤) وهو أيضاً على الغالب، فإن من
المسلمين من رآه ومع ذلك فإنه من أهل النار، كما ورد في الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ
وغيرهم، ففي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم
محشورون حفاة عراة. ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وأول من
يكسى يوم القيامة إبراهيم، وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي
أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد
الصالح: ﴿وكننت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - الحكيم﴾ (٥).

وروى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم خيبر أقبل نفر من
صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد.
فقال رسول الله ﷺ: كلا إنني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة. ثم قال رسول الله ﷺ: يا ابن
الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. قال: فخرجت فناديت ألا إنه
لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» (٦).

فقوله ﷺ في الحديث: «لا تمس النار مسلماً» يخرج من رآه من الكفار، وهذا بحلاف قول
التجانيين الذين يعتقدون أن من رأى شيخهم فإنه يدخل الجنة ولو كان كافراً.
٣ - قوله: «لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة،
فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان».

(١) سورة القصص آية ٥٦.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٥٠٦/٨).

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١٠٢، ١٠٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٢١١.

(٥) سبق تخريجه ١٣٨.

(٦) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٧٢/٢).

في قوله هذا ادعاء لعلم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو سبحانه، كما في الحديث عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ وفيه: «... فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

وقد بينا الرد على من ادعى علم الغيب في مبحث إيمانهم بأن بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب، فارجع إليه^(٢) وفقك الله للصواب.

٤ - أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون﴾^(٣). ورؤية التجاني ليست من العمل في شيء.

٥ - أن النبي ﷺ الذي هو أفضل خلق الله كان يرى الكفار ويرونه في كل يوم، ولم يكن يفعهم ذلك، بل إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن استغفاره ﷺ ودعاء لهم لا ينفعهم، فقال سبحانه: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٤) فكيف بمجرد الرؤية، فإذا كان هذا لم يثبت له ﷺ ولا لغيره من الأنبياء، فكيف يثبت للمنحرفين من التجانية وغيرهم^(٥)؟

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد ذلك :

بيننا في المبحث السابق^(٦) أن العلماء قد شنعوا على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الافتراء والجرأة على الله عز وجل، كما ذكرنا ما ثبت عن قتادة في ذلك واستغراب أبي حيان في البحر لوقوعه في زمن قتادة وقوله بعد ذلك: «ولكن شياطين الإنس يبعد أن يخلو منهم زمان».

كما بينا أنه لا يشهد لمعين بجنة أو نار إلا ما ثبت بالنص، وقد روى البخاري بسنده قال:

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٤٤٠)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/ ١٩٢).

(٢) انظر ص ١٠٣ وما بعدها.

(٣) سورة الزخرف آية ٧٢.

(٤) سورة التوبة: آية ٨٠.

(٥) الهدية الهادية ٧٤ الطبعة الثانية.

(٦) انظر ص ٢١١ وما بعدها.

«أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء - امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ - أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا^(١) عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله قد أكرمك؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إنني لأرجوه الخير، والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي. قالت: فوالله لأزكي أحداً بعده أبداً». وفي رواية: «ما يفعل به»^(٢).

قال ابن كثير تعليقاً على الرواية الثانية «وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ» ثم قال: «.. وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبدالله بن عمرو ابن حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم»^(٣). كما أن في هذه الأقوال ادعاء لعلم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، وقد سبق أن بينا أن من ادعى علم الغيب فقد كفر، كما بينا ما قاله العلماء في ذلك^(٤).

(١) فطار لنا: أي وقع في سهمنا، قال ابن حجر في الفتح: «وذكره بعض المغاربة بالصاد (فصار لنا) وهو صحيح من حيث المعنى إن ثبتت الرواية» فتح الباري ٣/ ١١٥.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٣/ ١١٤).

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٥.

(٤) نظر ص ١٠٥.

المبحث الثالث

بعض الفضائل التي يعتقد التجانيون أنهم مخصوصون بها
من دون الناس مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر

مقدمة :

يعتقد التجانيون أن الرسول ﷺ خصهم بمجموعة من الفضائل منها ما يجوز التصريح به ومنها ما ينبغي كتمه، وقد خصوا بهذه الفضائل من أجل اتباعهم للشيخ ومحتهم له لا من أجل سبب آخر، كما صرح بذلك مؤلف رماح حزب الرحيم فقال: «وأخبرني رضي الله عنه وأرضاه - وعنا به - عن سبب الفضل الذي كان في أذكاره، فقال رضي الله عنه وأرضاه - وعنا به -: لأجلي»^(١).

وقال مؤلف الرماح: «. فاعلم وفقني الله وإياك لنيل هذا الخير العظيم والفوز العميم أن الله تعالى بفضله وكرمه تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، بأمور ضمنها لهم جده ومحبه وحببه سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد ﷺ يقظة لا مناماً وأكثر تلك الأمور لا يحل ذكره ولا إفشؤه، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. وذكر رضي الله عنه وأرضاه - وعنا به - جملة كافية يستبشر بها المعتقد على رغم أنف المنتقد، فلذلك أردت أن نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره ونمسك عما ينبغي كتمه، فالتى رأينا أن نذكر منها تسعاً وثلاثين فضيلة، أربع عشرة منها تحصل لجميع من تعلق به بالتسليم والاعتقاد، وتعظيمه ومحبه وترك الاعتراض عليه والانتقاد، وبمحبة أهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم إذابتهم، والبقية يختص بها أهل طريقه المتمسكون بأوراده...»^(٢).

(١) رماح حزب الرحيم ٤٠ / ٢.

(٢) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.

وستتناول هذه الخصوصية التي يزعم التجانيون أن الرسول ﷺ خصهم بها دون سائر المسلمين بالنقد والمناقشة، ثم نذكر جملة من هذه الفضائل مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر بالرد الموجز، وذلك لأنها إما واضحة لا تحتاج إلى رد، أو لأنها تندرج تحت أصل عام مما سبق بحثه، وأما بقية الفضائل التسع والثلاثين فقد سبق مناقشة ما يستحق المناقشة منها كل تحت بابه من هذا البحث.

وستتناول أولاً الرد على دعوى اختصاص التجانيين بهذه الفضائل، ثم نعقبه بالرد على هذه الفضائل واحدة بعد الأخرى، فنقول وبالله التوفيق:

الرد على دعوى اختصاص التجانيين وحدهم بهذه الفضائل :

يدّعي التجاني أن هذه الفضائل خاصة به وبمن أحبه أو دخل في طريقته دون سائر المسلمين، وأن هذا الفضل لم يحصل لهؤلاء الأتباع إلا من أجل محبتهم له، وهذه الفضائل لا تخلو من أحد احتمالين: إما أن تكون خارجة عن شريعة محمد ﷺ، وإما أن تكون داخلية فيها: فإن كانت خارجة عن شريعة محمد ﷺ فلا نقاش، وإن كانت داخلية فيها فإن شريعة محمد ﷺ جاءت عامة للجن والإنس والعرب والعجم، ولم يخص فيها أحد بفضل لمجرد أنه من أتباع فلان أو فلان، ومن ادّعى ذلك فعليه الدليل. ومما يدل على بطلان ذلك ما يلي:

١ - أن دعوى اختصاص التجانيين بهذه الفضائل دون سائر الناس أمر لا دليل عليه، وكل ما استدلوا به أن النبي ﷺ أخبر التجاني بذلك يقظة لا مناماً.. وقد سبق أن بيّنا بطلان ذلك شرعاً وعقلاً^(١).

ولما ادّعى اليهود والنصارى أنهم يدخلون الجنة من دون الناس وهي قريبة من دعوى التجانيين، طالبهم الله سبحانه وتعالى بالدليل حيث قال سبحانه: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾^(٢) فبيّن سبحانه أن دخول الجنة لا يتحقق بمجرد الدعاوى والأمانى الكاذبة كمحبة التجاني أو أخذ ورده، إنما يتحقق بشرطه وهو الإيمان والعمل الصالح، والذي أشار إليه سبحانه في نهاية الآية السابقة

(١) انظر ص ١٢١.

(٢) سورة البقرة آية ١١١.

فقال جلّ من قائل: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١) وقال عز من قائل: ﴿وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون﴾^(٢).

٢ - أن دعوى تخصيص النبي ﷺ التجانيين ببعض الفضائل دون غيرهم مناقضة لكثير من آيات الكتاب العزيز الدالة على عموم الرسالة، وعدم اختصاص طائفة من الناس بحكم دون أخرى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾^(٣) وقال جلّ من قائل: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾^(٤).

وقال الإمام الشاطبي مبيهاً دلالة الآيات السابقة على عموم الرسالة: «وأشبه هذه النصوص مما يدل على أن النعمة عامة لا خاصة، ولو كان بعض الناس مختصاً بما لم يخص به غيره لم يكن مرسلًا للناس جميعاً، إذ يصدق على من لم يكلف بذلك الحكم الخاص أنه لم يرسل إليه به فلا يكون مرسلًا بذلك الحكم الخاص إلى الناس جميعاً، وذلك باطل فما أدى إليه مثله، بخلاف الصبيان والمجانين ونحوهم مما ليس بمكلف فإنه لم يرسل إليه بإطلاق، ولا هو داخل تحت الناس المذكورين في القرآن فلا اعتراض به»^(٥) اهـ.

٣ - أن دعوى تخصيص النبي ﷺ التجانيين ببعض الفضائل دون غيرهم من المسلمين، كما هي مناقضة للكتاب العزيز فهي أيضاً مناقضة لكثير من الأحاديث الصحيحة الدالة على عموم الرسالة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالربيع مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(٦).

وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود.. الحديث»^(٧).

(١) سورة البقرة آية ١١٢.

(٢) سورة الزخرف آية ٧٢.

(٣) سورة سبأ آية ٢٨.

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٥) الموافقات للشاطبي ١٧٩/٢ مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/٤٣٥، ٤٣٦).

(٧) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/٥).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردّاً على من ادّعى أن العرب خصصوا ببعض الأحكام دون غيرهم من سائر الناس، قال: «والمقصود هنا أن دعوة محمد ﷺ شاملة للثقلين الإنس والجن على اختلاف أجناسهم، فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً، بل إنما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم، وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث»^(١).

٤ - ثم إن هذا مع ما فيه من مناقضة للكتاب والسنة فإنه أيضاً تخصيص لعمومها، والتخصيص نسخ لبعض الأفراد التي يشملها الحكم، وقد أجمع علماء الأصول أنه لا يخص الكتاب والسنة إلا بالكتاب والسنة؛ لأنه استثناء، فلا يجوز أن يكون إلا لمن له الأمر والنهي تبارك وتعالى^(٢).

٥ - ما خص النبي ﷺ به بعض أصحابه دون بعض دليل على عموم الشريعة، ولذلك نص على الاختصاص ليعلم أن الشريعة عامة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أنه ﷺ خص خزيمة بن ثابت الأنصاري بأن شهادته تعدل شهادة رجلين^(٣)، ومنها أنه خص أبا بردة بن نيار بالتضحية بالعناق وقال: «ولن تجزي عن أحد بعدك»^(٤) فتخصيصه ﷺ على الاختصاص فيه دليل على عموم الشريعة^(٥)، وقد نقل الإمام الشاطبي رحمه الله إجماع العلماء المتقدمين من

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ١١ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) الهدية الهادية ٨٨.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢٢/٦).

(٤) رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خطبنا رسول الله ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة، ولانسك له. فقال أبو بردة بن نيار خال البراء: يا رسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب وأحببت أن تكون شاتي أول ما يذبح في بيتي، فذبحت شاتي وتغديت قبل أن آتي الصلاة، قال: شاتك شاة لحم، قال: يا رسول الله فإن عندنا عناقاً لنا جذعة هي أحب إلينا من شاتين أفتجزي عني؟ قال: نعم ولن تجزي عن أحد بعدك» (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢/٤٤٧، ٤٤٨) رواه مسلم بالفاظ أخرى (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/١١٢، ١١٥) بالفاظ أخرى.

(٥) الموافقات للشاطبي ٢/١٧٩ - ١٨٠.

الصحابه والتابعين ومن بعدهم على ذلك^(١).

٦ - وأخيراً فإن هذه الفضائل التي ذكرها التجاني كما هي عارية عن الحجة والدليل فهي حكم بالشهوة والهوى ﴿أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾^(٢) فتقدير الثواب والعقاب ليس له مصدر سوى الوحي، فمن رتب على عمل ثواباً أو عقاباً من عند نفسه ونسبه إلى شريعة الله؛ فقد أعظم على الله الفرية.

٧ - وأما قوله: «بأن هذه الفضائل حصلت لأتباعه من أجله لا من أجل سبب آخر»، فهي أسخف من أن يرد عليها، فهذا محمد بن عبدالله ﷺ لم يضمن لأقرب الناس إليه شيئاً مما زعم التجاني أنه ضمنه لأصحابه كدخول الجنة أو النجاة من عذاب القبر، وإنما علق ذلك على أعمالهم، وذلك فيما رواه البخاري عنه ﷺ حين أنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾^(٣).

فالناس أمام شرع الله سواسية، فمن رعى محارم الله واجتنب نواهيه دخل الجنة كائناً من كان ولو كان أقل الناس شأنًا في نظر الناس، ومن عصى الله دخل النار ولو كان عم رسول الله ﷺ أبا لهب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٤).

فإذا كان النبي ﷺ سيد ولد آدم لم ينفع أقرب الناس إليه لمجرد القرابة، فكيف بالتجاني؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وبعد هذا الرد المجمل نتناول هذه الخصائص بشيء من الرد المختصر..

مناقشة هذه الفضائل التي يزعم التجانيون أنهم مخصوصون بها دون الناس:

الأولى: «أن يخفف عنهم سكرات الموت»^(٥).

والرد عليها من وجوه:

١ - أن هذا الزعم لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا قياس ولا قول معتبر،

(١) الموافقات للشاطبي ٢ / ١٨٠.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٤) سورة الحجرات آية ١٣.

(٥) رماح حزب الرحيم ٢ / ٤١.

وكل قول لا دليل عليه فهو باطل.

٢ - أن التجاني تناقض مع نفسه فقد قال في الفضيلة التاسعة والثلاثين: «إنهم لا يذوقون حرارة الموت وهي المعبر عنها بسكرات الموت»^(١) وهكذا كل كلام باطل، فهو أولاً ذكر أن الله يخفف عنهم سكرات الموت، ثم ذكر ثانياً: أنهم لا يذوقونها أصلاً، وصدق الله إذ يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٢).

٣ - أن هذا مخالف لنصوص الشريعة ولما علم بالفطرة، فكل إنسان لابد أن يذوق سكرات الموت، ثم هون الموت ليس من المكرمات التي يغط عليها الميت، إذ لو كان هون الموت فضيلة يغط عليها الميت لكان أولى الناس بذلك رسول الله ﷺ، وقد أخرج البخاري عن عائشة قالت: «مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على غمرات الموت وسكرات الموت»^(٤).

وروى الترمذي رحمه الله عن عائشة قالت: «ما أغبط أحداً بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ»^(٥).

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي في شرح الحديث السابق: «أي لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى، وأن هون الموت وسهولته

(١) رماح حزب الرحيم ٤٩/٢.

(٢) سورة النساء آية ٨٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٤٠/٨) ورواه أحمد في المسند ٦/٦٤.

(٤) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي ٤/٥٥ - ٥٦)، ورواه ابن ماجه ١/٥١٩، ورواه أحمد في المسند ٦/٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١.

(٥) رواه الترمذي وقال: «وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، قلت له: من عبد الرحمن بن العلاء؟ قال: هو ابن العلاء بن اللجلاج وإنما أعرفه من هذا الوجه (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي ٤/٥٦). وقال صاحب التحفة: لم يحكم عليه بشيء من الصحة والضعف والظاهر أنه حسن (التحفة ٤/٥٦) ورواه ابن ماجه بنحوه ١/٥١٨.

ليس من المكرمات وإلا لكان النبي ﷺ أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحداً يموت من غير شدة»^(١) اهـ.

فكانت شدة الموت على رسول الله ﷺ مما رفع الله بها درجاته، وذلك أن الناس يبتلون على قدر إيمانهم، فعن الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ في مرضه - وهو يوعك وعكاً شديداً - وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين، قال: أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كما تحات ورق الشجر»^(٢).

فشدة سكرات الموت على الصالحين فضيلة تزداد بها الدرجات ويحط عنهم بها السيئات، لا كما زعم التجاني بأنها رذيلة يجب أن يحول بينها وبين أتباعه.
الثانية: ألا يحاسبهم الله تعالى ولا ينقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة^(٣).
والرد على هذه الفضيلة من وجوه:

١ - أنه لا دليل عليها.

٢ - أنها مخالفة لصريح القرآن الذي دلّ على أن جميع الخلق يحاسبون يوم القيامة إلا من استثنى بالنص.

قال الله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾^(٤).

وقال جل من قائل: ﴿فوربك لتسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾^(٥).

قال القرطبي: «والآية تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب»^(٦) قلت: ومن ضمن للتجانيين دخول الجنة بغير حساب؟

٣ - أن الخلاف إنما وقع في الكافر هل يحاسب أم لا..؟ وذلك لورود آيات يبدو من ظاهرها التعارض، فإن قوله تعالى: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾^(٧) وقوله تعالى:

(١) تحفة الأحوذى ٥٦/٤.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠/١١٠).

(٣) رماح حزب الرحيم ٤١/٢.

(٤) سورة الزخرف آية ٤٤.

(٥) سورة الحجر آية ٩٢، ٩٣.

(٦) تفسير القرطبي ٦٠/١٠.

(٧) سورة القصص آية ٧٨.

﴿فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾^(١) يدل على أنهم لا يحاسبون.
 وقوله تعالى: ﴿وقضوهم إنهم مسؤولون﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم﴾^(٣) يدل على أنهم يحاسبون.
 وقد جمع بين هذه الآيات المتقدمون من علماء هذه الأمة، قال ابن عباس: «لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام: هل عملتم كذا وكذا؛ لأن الله عالم بكل شيء، ولكن يسألهم سؤال تقرير وتوبيخ فيقول لهم: لِمَ عصيتم القرآن وما حجتكم فيه؟»^(٤).
 وقال عكرمة: «القيامة مواطن يُسأل في بعضها ولا يُسأل في بعضها»^(٥). ورجح القرطبي القول بالعموم^(٦)، وأن الجميع محاسبون كفاراً ومؤمنين.
 ٤ - أن الله سبحانه وتعالى صرح أن الأنبياء والمرسلين سيُسألون، فكيف بمن دونهم؟ فقال جل من قائل: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾^(٧) وقال تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾^(٨).
 قال القرطبي: «فيه أربعة أوجه» ونحن نذكر منها وجهاً واحداً، وهو قوله: «ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، حكاه النقاش، وفي هذا تنبيه، أي إذا كان الأنبياء يسألون فكيف بمن سواهم؟»^(٩).
 الفضيلة الثالثة: «لا يريهم في قبورهم إلا ما يسرهم»^(١٠).
 الرابعة: «أن يؤمنهم تعالى من جميع أنواع عذابه»^(١١).

(١) سورة الرحمن آية ٣٩.

(٢) سورة الصافات آية ٢٤.

(٣) سورة الغاشية آية ٢٥، ٢٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٠ / ٦١.

(٥) تفسير القرطبي ١٠ / ٦١.

(٦) تفسير القرطبي ١٠ / ٦١.

(٧) سورة الأعراف آية ٦.

(٨) سورة الأحزاب آية ٨.

(٩) تفسير القرطبي ١٤ / ١٢٨.

(١٠) رماح حزب الرحيم ٢ / ٤١.

(١١) رماح حزب الرحيم ٢ / ٤١.

الخامسة: «أن يظلمهم الله في ظل عرشه يوم القيامة»^(١).
 السادسة: «أن يجزيهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل
 الملائكة»^(٢).
 السابعة: «أن يسقيهم الله تعالى من حوضه وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يوم القيامة»^(٣).
 الثامنة: «أن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى»^(٤).
 التاسعة: «أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عشرين من جنة الفردوس وجنة
 عدن»^(٥).
 العاشرة: «أن الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبل الله منه أكثر من مائة ألف مما
 يعطى صاحب ذلك العمل»^(٦).
 ثم استشهد مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم على هذا بما ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية
 في حصول الثواب للإنسان من عمل غيره^(٧).
 الحادية عشرة: «أن من آحادهم إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة فإن الرائي
 يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية»^(٨).
 الثانية عشرة: «أن منهم من إذا رآه شخص وقال له الرائي: أشهد أنني رأيتك، وقال له
 المرئي: شهدت لك أنك رأيتني، فإن الرائي يدخل الجنة»^(٩).
 الثالثة عشرة: «أن لهم في المحشر موضعاً في ظل العرش يكونون فيه وحدهم».
 قال رضي الله عنه وأرضاه - وعننا به - : «إن أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا

- (١) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.
- (٢) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.
- (٣) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.
- (٤) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.
- (٥) رماح حزب الرحيم ٤١ / ٢.
- (٦) رماح حزب الرحيم ٤٦ / ٢.
- (٧) رماح حزب الرحيم ٤٦ / ٢، ٤٧.
- (٨) رماح حزب الرحيم ٤٧ / ٢.
- (٩) رماح حزب الرحيم ٤٧ / ٢.

يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين»^(١).
الرابعة عشرة: «أنهم في أعلى عليين، وأما أحبابه الذين ليسوا من أهل طريقته فغاية أمرهم كونهم في عليين»^(٢).

الخامسة عشرة: «أن لهم برزخاً وحدهم يستظلون به، وهذا كله من كثرة الاعتناء بهم»^(٣).
السادسة عشرة: «أنهم لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله، ويكونون مع الأمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى ﷺ في الزمرة الأولى مع أصحابه»^(٤).
وهذه الفضائل التي يدعي التجاني أنها خاصة به وبأتباعه واضحة البطلان، ونحن نوجز الرد عليها فيما يلي:

فهذه الفضائل لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا قول معتبر بل حكم بمجرد الهوى والشهوة.

ثم إن في قوله في الفضيلة الثالثة والرابعة إنهم لا يرون في قبورهم إلا ما يسرهم وإنهم آمنون من جميع أنواع عذابه، فيه ضمان لهم بالموت على الإيمان؛ لأن المؤمن هو الذي لا يرى في قبره إلا ما يسره وهو الأمن من جميع أنواع العذاب إن تفضل الله عليه بعفوه ورحمته، وفي قوله هذا ادعاء لعلم الغيب إذ كيف يعلم بما ختم الله لهم به وقد سبق الحديث عن ذلك^(٥).

وأما الفضائل من الخامسة وحتى العاشرة، فقد سبق الحديث عنها، فهذه الفضائل تندرج جميعاً تحت مبحث ضمانه الجنة لأصحابه^(٦).

إذ أن الله تعالى لا يظل أحداً تحت عرشه إلا من سبق في علمه أنه من أهل الجنة، وكذلك لا يمر على الصراط أسرع من طرفه عين ولا يرد حوضه ﷻ إلا من كان من أهل الجنة، وأما البقية فهي صريحة في ذلك، ثم إنها أمور غيبية لا مجال للرأي فيها.

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٣) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٤) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٥) سبق الحديث عن ذلك انظر ص ١٠٣-١١١.

(٦) سبقت الإشارة إلى ذلك انظر ص ٢١٨.

والفضيلة العاشرة واضحة البطلان، وذلك لأن أمر الثواب والعقاب موكول إلى المشرع وحده لا يعلم إلا من طريق الوحي، وقد انقطع الوحي عن الأمة بوفاة الرسول ﷺ.

ثم ما الدليل على هذا التحديد «أكثر من مائة ألف ضعف»؟ والتحديد بشيء لم يرد في الشرع مرفوض جملة وتفصيلاً؛ لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، ولا شريعة غير شريعته ﷺ.

وأما ما استشهدوا به من قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حصول الثواب للإنسان من عمل غيره، فهذا من باب خلط الحق بالباطل والتلبس على العامة وأشباههم.. ونحن لانكر انتفاع الإنسان بعمل غيره على ما ورد في الكتاب والسنة، وقد أجمع العلماء على أن الدعاء والصدقة ينفعان الميت وليس من عمله^(١)؛ لورود النصوص، وإنما ننكر الافتراء والقول على الله بغير علم.

وأما الفضيلة الحادية عشرة والثانية عشرة فقد سبق الحديث عنهما في مبحث قول التجاني: «من رآني دخل الجنة»^(٢).

وأما بقية الفضائل فهي لا تخرج عن أنه ضمن لهم دخول الجنة فهم آمنون من الفزع يوم القيامة، مستقرون في أعلى عليين.. وقد سبق الحديث عن ذلك^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٨، الهدية الهادية ٩٧.

(٢) سبق ذكر ذلك انظر ص ٢١٠.

(٣) سبق ذكر ذلك انظر ص ١٩٦.

الباب الثالث بدعهم في الأدعية والأذكار

(أ) ذكر بعض الأوراد والأذكار:

للتحانيين مجموعة كبيرة من الأوراد والأذكار المبتدعة، منها ما هو لازم لمن دخل الطريق، ومنها ما هو اختياري، ونحن نجملها فيما يلي:
أولاً: الأوراد اللازمة :

(أ) الورد: ويقرأ صباحاً ومساءً وهو:

- ١ - أستغفر الله. (مائة مرة).
 - ٢ - الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة. (مائة مرة).
 - ٣ - الكلمة المشرفة: لا إله إلا الله. (مائة مرة).
- ولابد من الترتيب في الأوراد^(١).

(ب) الوظيفة :

وتقرأ في اليوم مرة إما صباحاً وإما مساءً، فإن قرئت في الوقتين كان أفضل، وهي:

- ١ - أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. (ثلاثين مرة).
 - ٢ - ثم صلاة الفاتح لما أغلق. (خمسین مرة).
 - ٣ - ثم لا إله إلا الله. (مائة مرة).
 - ٤ - ثم جوهرة الكمال. (اثنی عشرة مرة).
- ومن شروط قراءة جوهرة الكمال عندهم:
- ١ - أنها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة - على زعمهم - يحضرون عند قراءة السابعة منها.
- وينوب عن جوهرة الكمال عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضئ.

(١) أحزاب وأوراد التجاني ٨ الطبعة الخامسة، تحقيق محمد الحافظ التجاني.

٢ - وجود الفراش الطاهر الذي يسع ستة أشخاص؛ لأن النبي ﷺ يحضر والخلفاء الأربعة^(١).

قال محمد الحافظ التجاني: «والأصل في هذه الأمور التذنب، فإن نذرت أصبحت واجبة، قال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»^{(٢)(٣)}.
(ج) ذكر الجمعة :

من الأوراد اللازمة في الطريقة ذكر «لا إله إلا الله» ساعة أو أكثر متصلة بغروب الشمس بعد صلاة العصر يوم الجمعة، ولا يشترط التقيد بعدد فإن لم يتمكن من الذكر ساعة ذكرها من ألف إلى ألف وستمئة، ولا بد من اتصال الذكر بالغروب سواء بعدد أو بغير عدد، فقد ورد أن الصحف تعرض على الحق سبحانه في كل أسبوع فيكون آخر صحيفته لا إله إلا الله، وأولها لا إله إلا الله^(٤).

كما يشترط فيها أيضاً ما يشترط في جوهرة الكمال من أنها لا تصح إلا بالطهارة المائية؛ لأن النبي ﷺ يحضرها^(٥) في زعمهم.

نموذج من هذه الأوراد :

١ - صلاة الفاتح لما أغلق^(٦).

٢ - جوهرة الكمال، وهي:

«اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة، الأدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللهم صل على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٠، الدرة الخريدة ٣/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١ - ٥٨١) ورواه أحمد في المسند ٦/ ٣٦، ٤١، ٢٢٤.

(٣) أحزاب وأوراد التجاني ١٠.

(٤) أحزاب وأوراد التجاني ١٠، ١١.

(٥) الدرة الخريدة ٣/ ٢٠٠.

(٦) سبقت الإشارة إليها. انظر عقيدتهم في القرآن ص ١١٣.

إليك إحاطة النور المظلم ﷺ، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه^(١).

ثانياً: الأوراد الاختيارية :

وهي كثيرة جداً نذكر منها :

١ - يا قوتة الحقائق.

٢ - الصلاة الغيبية.

٣ - الحزب السيفي.

٤ - حزب البحر.

٥ - الأسماء الإدرسية.

٦ - استغفار الخضر.

٧ - دعاء لرؤيته ﷺ بعد موته.

٨ - صلاة رفع الأعمال.

٩ - المسبغات العشر.

١٠ - دعاء في قوت القلوب^(٢).

ويشترط فيها الإذن الخاص^(٣) من الشيخ أو من يقوم مقامه.

نماذج من هذه الأوراد :

١ - من أوراده استغفار الخضر وهو:

«اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك من كل ما وعدتك به نفسي ثم لم أوف لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فحاططني فيه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليّ فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة، ومن كل ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في ملأ أو خلاء أو سر أو علانية يا حلیم^(٤) اهـ.

٢ - دعاء يقرأ عدة مرات لرؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٣، ١٤.

(٢) الدرة الخريدة ٤/ ١٥٥، ١٧٤.

(٣) أحزاب وأوراد التجاني ٢٢.

(٤) أحزاب وأوراد التجاني ١٠٤، ١٠٥.

«اللهم اجمع جميع أذكّار الذاكرين وجميع صلوات المصلين، واجعل لي جميع الأذكّار ذكري، وجميع الصلوات صلّاتي في سيدنا محمد شفيع المذنبين، وعلى آله الأبحر الكاملين عدد ما في علمك يا رب»^(١) اهـ.

٣- ومن أوراده صلاة رفع الأعمال وهي:

«اللهم صل على سيدنا محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك، وصل على سيدنا محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على سيدنا محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه»^(٢).

الأصل في هذه الأوراد :

قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستباط نظير الأحكام الإلهية الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومنسذوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون.. ومن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم الله تعالى عن الشريعة»^(٣) إلخ.

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

قال مؤلف بغية المستفيد: «إن حقيقة الأوراد عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾^(٤) - كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»^(٥) - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه^(٦) ﴿ وهذه الآيات الثلاث هي أصول الأوراد من زمان النبي ﷺ إلى يومنا هذا»^(٧).

المناقشة :

قوله: «أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ»..

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٠٦.

(٢) أحزاب وأوراد التجاني ١١٠.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١٢، وانظر: الدرة الخريدة ٣/ ٢١٦.

(٤) سورة المائدة آية ١.

(٥) سورة الصف آية ٣.

(٦) سورة الأحزاب آية ٢٣.

(٧) بغية المستفيد ١٢١، ١٢٢.

قد بينا فيما سبق^(١) أنه لا واسطة بين الله وهذه الأمة سوى نبينا محمد ﷺ، فهو واسطة بين ربه وأمته في تبليغ الرسالة ونشر الدين، فلم يمت ﷺ إلا وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأكمل الله به الملة، أما بعد وفاته فقد انقطع عن أمته الوحي. وقد بينا ذلك فيما سبق^(٢).

فمن ادعى أن بينه وبين الله واسطة من شيخ أو غيره يتلقى عنه ما لم يأذن به الله من الدين، فقد أعظم على الله الفرية وخالف نصوص الكتاب والسنة. وما استدلووا به من آيات يأمر بها الله تعالى عباده المؤمنين بوفاء العقود، وأن لا تخالف أفعالهم، وأن يكونوا صادقين مع الله فيما عاهدوه عليه، فهي حق وصدق إلا أنها دليل في غير محل النزاع، إذ التقيد بالورد في وقت خاص وعلى هيئة مخصوصة لا يثبت إلا بنص صريح خاص، ولا يثبت بعمومات تدل على معان كلية، فأين أدلة هذه الأوراد في كتاب الله وسنة رسوله؟ وقد سئل السيوطي عن رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل، ثم اختار الرجل شيخاً آخر وأخذ عليه العهد، فهل العهد الأول لازم أم الثاني؟ فأجاب بقوله: «لا يلزم العهد الأول ولا الثاني ولا أصل لذلك»^(٣).

الدليل الثاني :

قال محمد الحافظ التجاني: «أذكرا أهل الطريق مرجعها الكتاب والسنة، هل لا إله إلا الله والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ لم يشرعها الله ولا رسوله ولا أصل لها في شرع الله؟ وأياً كانت الصفة أو الهيئة التي يذكر بها الشخص، والله تعالى يقول: ﴿فأذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾»^(٤) أي اذكروا الله على سائر أحيانكم، وفي الحديث: «أنه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه»، رواه مسلم^(٥) وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها^(٦).

(١) سبق الحديث عن ذلك. انظر موضوع التوسل ص ١٥١.

(٢) سبق الحديث عن ذلك ص انظر في فصل بيان أن النبي ﷺ لم يكن شيئاً مما أوحى إليه.

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي ١ / ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) سورة النساء آية ١٠٣.

(٥) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٤ / ٦٨).

(٦) رسالة «علماء تزكية النفس» ٨، ٩.

* المناقشة :

إن هذا القول مشتمل على حق وباطل، فلا شك أن ذكر الله سبحانه وتعالى والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ مشروعة في دين الله، إذ ورد الأمر بذكر الله في آيات وأحاديث كثيرة منها ما استدل به التجانيون أنفسهم، وما استدل بها التجانيون دليل على الوجه المشروع فيها دون المبتدع، فالوجه المبتدع فيها هو تعيين هذه الأوراد والصلوات والأدعية بالأوقات المخصوصة والكيفيات المعينة والشروط المقررة واتخاذها شعاراً، والمحافظة عليها مع إهمال وهجر ما ورد عن سيد المرسلين من أدعية وأذكار.

فمثلاً قول: «لا إله إلا الله» في آخر ساعة من يوم الجمعة فيها الجانبان المذكوران، فذكر الله سبحانه وتعالى والإكثار من لا إله إلا الله أمر مشروع مستحب، لكن تخصيص عصر يوم الجمعة بهذا الذكر وتحديد به بقبيل الغروب بساعة تقريباً، واشتراط أن يكون متصلاً بالغروب، وأنه لا يصح إلا بالطهارة المائية، وكونه بهذا الشكل الجماعي، كل هذا لا دليل عليه فهو بدعة محرمة.

وكذلك كون «جوهرة الكمال» لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، واشتراط وجود فراش يسع ستة أشخاص عند قراءتها، لأن النبي ﷺ يحضر والخلفاء الأربعة معه - في رعمهم - واشتراط الإذن من الشيخ أونائبه لكل ورد من هذه الأوراد، كل ذلك مما لم يأذن به الله، فعن أبي البختري قال: «بلغ عبدالله بن مسعود أن قوماً يقعدون بين المغرب والعشاء يقولون: قولوا كذا، قال عبدالله: إن فعلوا فأذنتوني، فلما جلسوا آذنته، فانطلق معهم فجلس وعليه برنس فأخذوا في تسبيحهم، فحسر عبدالله عن رأسه البرنس وقال: أنا عبدالله بن مسعود. فسكت القوم فقال: لقد جئتم بدعة ظلماً وإلا فضلنا أصحاب محمد ﷺ. فقال عمرو بن عبدة: أستغفر الله يا ابن مسعود وأتوب إليه، فأمرهم أن يتفرقوا»^(١) فإذا كان هذا باتخاذ هيئة غير مشروعة في الذكر الوارد فما بالك بتلك الأذكار التي لا أصل لها؟

وعن الصلت بن بهرام قال: «مر ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه، ثم مر برجل يسبح بحصى فصر به برجله ثم قال: لقد سبقتم! ركبتم بدعة ظلماً، ولقد غلبتم

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨١، ١٨٢ وقال: وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة: «فجاء عبدالله بن مسعود متقنعاً، فقال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود، إنكم لأهدي من محمد ﷺ وأصحابه أو أنكم لتعلقون بذنب ضلالة».

أصحاب محمد ﷺ علماء^(١).

وهذا النوع من البدع هو ما يسمى عند العلماء بالبدعة الإضافية، وفي ذلك يقول الشاطبي عفا الله عنه: «..وأما البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان: إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية. فلما كان العمل له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا لها هذه التسمية «وهي البدعة الإضافية»، أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو غير مستندة إلى شيء، والفرق بينهما من جهة المعنى أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات والأحوال والتفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبدات لافي العاديات المحضة»^(٢).

قلت: وما له أصل شرعي من أوراد التجانية هو من هذا الباب، إذ أصل الذكر مشروع في الإسلام ولكن لا على هذه الكيفيات والأحوال، ثم هي أيضاً من باب العبادات التي لا يجوز العمل فيها إلا بدليل؛ لأن مبناها على التوقيف، وحيث لا دليل فالذكر بهذه الصفة بدعة محرمة.

وقال الشيخ علي محفوظ: «..وبهذا تعلم أن من ينكر البدعة المذكورة إنما ينكرها بالاعتبار الثاني. ثم قال: وإن صاحب البدعة الإضافية يتقرب إلى الله تعالى بمشروع وغير مشروع.. والتقرب يجب أن يكون بمحض المشروع؛ فكما يجب أن يكون العمل مشروعاً باعتبار داته يجب أن يكون مشروعاً باعتبار كيفيته كما يفيد حديث: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^{(٣)(٤)}.

(١) قال الألباني: «وسنده إلى الصلت بن بهرام صحيح وهو ثقة من أتباع التابعين» سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/١١٢.

(٢) الاعتصام ١/٢٨٦ مطبعة السعادة.

(٣) رواه البخاري عن عائشة موصولاً بلفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٥/٣٠١، ورواه معلقاً بلفظ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/٣١٧)، رواه مسلم موصولاً باللفظين السابقين (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٢/١٦).

(٤) الإبداع في مضار الابتداع ٣٢ الطبعة الخامسة.

وبهذا يتبين أن إنكار الأوراد لا يتوجه إلى الاستغفار وذكر الله والصلاة على النبي ﷺ في ذاتها؛ لورود الأدلة الصحيحة الصريحة في القرآن والسنة في الحث عليها، وإنما يتوجه الإنكار إلى الذكر والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ بهذه الهيئات والكيفيات^(١) المخصوصة، وبذلك الشروط والصفات واتخاذها شعاراً مضاهة لما شرعه الله، مع عدم قيام دليل على شيء من ذلك، وحيث لا دليل فهي مردودة على صاحبها لقول نبي الرحمة ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» اهـ.

الدليل الثالث :

قال محمد الحافظ : «ألم يثبت أن النبي ﷺ أقر أصحابه على ما ذكروه من أدعية أو أذكار أو غيرها، بل وأتابهم عليها؟.. ثم قال: وليس من الممنوع شرعاً أن تدعوا بما تشاء فقد قال ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم»^(٢).. الحديث» إجازة من الشارع للأمة أن يدعوا ربهم بما يشاؤون بهذا الشرط.. فمن زعم أن الدعاء بغير ما دعا به النبي ﷺ لا يجوز؛ فقد خالف ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ - وهم أعلم بالدين من ملء الأرض من أمثاله - وخالف ما عليه التابعون وتابعو التابعين والأمة المحمدية، وقد ثبت في الصحيح أن سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان ثم قال: نعمت البدعة هذه^(٣)، والتي يتأمون عنها أفضل. يريد قيام آخر الليل وكان الناس يقومون أوله^(٤).

المناقشة :

إن هناك فرقاً بين إقرار النبي ﷺ لأصحابه على بعض الأدعية والأذكار وبين هذه الأوراد والأذكار المبتدعة، فإن الصحابة لم يتخذوها شعاراً يستقلون بها عن المسلمين، وإنما هي أدعية وأوراد فردية لم تتخذ شكلاً وطابعاً معيناً يلتزم بها جماعة من الناس يعرفون بها دون سائر المسلمين، ثم إن أذكار الصحابة وأدعيتهم كانت مجردة من هذه الشروط والكيفيات فلم يخصصوا أوقاناً لأورادهم دون ما خصه الله ورسوله، ولم يشترطوا لها شروطاً خارجة عن الشريعة

(١) وليس المقصود بالهيئات والكيفيات ما أشار إليه التجاني من القيام والقعود، أخذاً من قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ بل هو ما أشرنا إليه فليتنبه لذلك.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/٥٢).

(٣) سبق تخريجه ص ١٩.

(٤) رسالة «علماء تزكية النفس» ٩، ١٢.

الإسلامية ككونها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية أو بإذن الشيخ أو غير ذلك من الشروط، ولم يرتبوا عليها من الثواب غير ما ذكره النبي ﷺ.

فلو أن شخصاً معيناً من الناس صلى على النبي ﷺ بما تيسر له من الصيغ التي لا محذور فيها دون أن يكون معتقداً أنها أفضل من غيرها ودون أن يخصصها بشيء معين، بل قرأها على أنها صلاة على النبي ﷺ مجردة من كل شيء؛ لكان له أجر الصلاة على النبي ﷺ المذكور في قوله ﷺ: «وصلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً...»^(١) الحديث». كما أن ذكر الله والاستغفار يجوز بما تيسر من الصيغ التي لا محذور فيها، لكن الأفضل التقيد بما ورد عن الله ورسوله ﷺ.

وما استدلوا به مما ثبت في الصحيح أن سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان على قارئ واحد ثم قال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل»^(٢). يريد قيام آخر الليل». مردود؛ لأن ما فعله عمر إحياء لسنة فعلها رسول الله ﷺ وليس من قبيل البدع المخترعة، وبيان ذلك:

١ - أن الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها يدل على أنها سنة، فقد روى عروة: «أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف عليّ مكانكم، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك»^(٣) فهذا الحديث يدل على سنيتها، فإن قيامه أولاً يدل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان.

٢ - أن امتناع النبي ﷺ عن الخروج كان خشية أن تفرض عليهم كما صرح به ﷺ في الحديث، وهذا لا يدل على امتناع القيام مطلقاً، وذلك لأن زمن النبي ﷺ زمن وحي وتشريع.. قال الشاطبي: «فلما زالت علة التشريع بموته ﷺ رجع الأمر إلى أصله وقد

(١) رواه النسائي (سنن النسائي ٢/ ٢٥، ٢٦).

(٢) سبق تخريجه ص ١٩.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤/ ٢٥٠، ٢٥١).

ثبت الجواز فلا ناسخ له^(١).

٣ - أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على إمام واحد لم ينكر عليه أحد من صحابة رسول الله ﷺ، بل اتفق الصحابة على صحة ذلك وإقراره، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي - أوقال: أمة محمد - على ضلالة.. الحديث»^(٢).

أن عمر رضي الله عنه إنما سماها بدعة بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «..إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله ﷺ واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه، لأنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جوار الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم»^{(٣)(٤)}.

وبهذا يتبين أن هناك فرقاً كبيراً بين ما فعله عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح وبين ما يدعيه التجانيون من سنية أورادهم، ويتمثل هذا الفرق فيما يلي:

١ - أن صلاة التراويح قد فعلها النبي ﷺ كما ثبت ذلك في الحديث السابق بخلاف هذه الأوراد.

٢ - أن ما فعله عمر قد أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ وأما أوراد التجانية فهل أجمع عليها الصحابة؟ بل هل أجمع عليها المسلمون في عصر من عصورهم؟ لا.. بل المسلمون المخلصون منكرون لها في كل وقت.

٣ - أن عمر رضي الله عنه إنما سماها بدعة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي كما تقدم، أما أوراد التجانية فهي بدعة بالمعنى الاصطلاحي لما لا بسها من شروط وهيئات وكيفيات لم يقم

(١) الاعتصام ٦/ ١٩٤.

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧) ورواه أحمد في المسند ٥/ ١٤٥ بنحوه، ورواه الدارمي في سننه ١/ ٣٢ بلفظ: «ولا يجمعهم على ضلالة».

(٣) رواه البخاري عن عائشة بلفظ «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.. الحديث» صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/ ١٠.

(٤) الاعتصام ١/ ١٩٥.

عليها دليل شرعي، ومعلوم أن الأمور التعبدية مبناها على التوقيف، فهي من المسائل التي لا يجوز العمل بها إلا بدليل، ولا دليل فلا عمل.

٤ - أن النبي ﷺ قد قال في عمر والخلفاء الثلاثة معه رضي الله عنهم أجمعين، بعد أن ذكر أنها ستكون فتن قال: «فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»^(١) ولم يقل النبي ﷺ ذلك في التجاني وأتباعه.

* الدليل الرابع :

واستدلوا على تحديد الأوقات المخصوصة والعدد المخصوص بما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(٢).

قال محمد الحافظ التجاني: «وهذا لا يد فيه من التحديد، وقال ﷺ: «إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع»^(٣) رواه البخاري. وقال ﷺ: «يا فلان لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه»^(٤) وقال ﷺ: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»^(٥) رواه البخاري.. فالمدامومة على طاعة محدودة هو السنة الصحيحة التي لا مطعن فيها عن رسول الله ﷺ، وللمناس أن يختاروا ما يختارون من العبادة يداومون عليه، وقد يوافق اختيارهم اختيارنا وقد يخالفه فلا حرج، وأهل الطريق لم يوجبوا على أحد أخذ طريقهم ولا الاشتغال بها، وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ٧/ ٤٤٠، ٤٤٢.

(٢) رواه البخاري بلفظ: «يا أيها الناس حذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠/ ٣١٤.

(٣) رواه الرازي عن حابر بلفظ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» قال السيوطي: «حديث ضعيف» الجامع الصغير ١/ ١٠٠. قال المناوي: قال الهيثمي: وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب. انتهى. ورواه البيهقي في السنن من طرق، وفيه اضطراب روي موصولاً ومرسلًا ومرفوعاً وموقوفاً، واضطراب الصحابي أهو جابر أو عذينة أو عمر؟ ورجح البخاري في التاريخ إرساله (بص القدير ٢/ ٥٤٤) أما الجزء الأول من الحديث وهو قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» فقد رواه أحمد في المسند ٣/ ١٩٩ وقال السيوطي: «هو حديث صحيح» الجامع الصغير ١/ ١٠٠.

(٤) رواه البخاري بلفظ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/ ٣٧.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ٢٣٩.

اختيارهم فاستحسنوه ووجدوا أنهم يطبقون المداومة عليه بعد أن اختاروه بمحض إرادتهم
«... من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده»^(١) رواه مسلم في
الصحيح ورواه الترمذي. فالمرجع في الكل إلى الشريعة المطهرة اهـ.
المناقشة :

إن الاستدلال بهذه الأحاديث في غير محل النزاع؛ وذلك لأن المداومة على نافلة محددة
من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة، لكن بشرط ألا تتخذ
شعراً لطائفة معينة بصفة وشروط معينة، إذ هي بهذه الحالة تتخذ صفة التشريع.. وقد سبق أن
بيننا أن أمور العبادات مبناه على التوقيف.

ولو أن رجلاً من الناس داوم على نافلة معينة عدداً معيناً تقريباً إلى الله لما كان في ذلك
بأس، لكن المحذور في اتخاذ شعراً والتزام هيئات وكيفيات وشروط ما أنزل الله بها من
سلطان واعتقاد الثواب عليها والعقوبات على تركها، والعدول عما ثبت عن المصطفى ﷺ
فيها.

وحينما نسالهم عن سبب اختصاص بعض هذه الأوراد بشروط معينة فإنهم لا يجدون
دليلاً مقنعاً، ويأمرون أتباعهم بالتسليم وعدم الانتقاد، ولهذا لما سأل التجاني عن اختصاص
جوهرة الكمال بالطهارة المائية دون الترابية قال: «... لو كان للعقل مجال في ذلك وأمكن
القياس على ما هنالك ل قيل: إن الهيلة^(٢) يوم الجمعة كان النبي ﷺ يحضرها، كذلك فهي
أيضاً لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية، كالجوهرة، لأن النبي ﷺ يحضرها، لكن ما لنا إلا
اتباع أحمد، يسعنا ما يسعه وما أمرنا به نتبعه وغيره لا نبتدعه، وافعل ما أمرت به تعبداً معتقداً
لا منتقداً وإياك ولم فتقع في الردى»^(٣).

وما استدلوأ به من قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له
مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء»^(٤) على أن أورادهم من قبيل
السنن لا من قبيل البدع: مردود، وبيان ذلك:

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/١٠٢، ١٠٤، ١٦/٢٢٦).

(٢) الهيلة قول: «لا إله إلا الله».

(٣) الدرة الخريدة ٣/٢٠٠.

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٢٤٠.

١ - أن معنى الحديث «من سن سنة في الإسلام»: من أحيا سنة في الإسلام، وليس معناه: من اخترع سنة وابتدعها بعد أن لم تكن ثابتة، ويدل على هذا المعنى السبب الذي من أجله ورد الحديث، ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتاهبي^(١) النمار - أو العباء - متقلدي السيوف عامتهم من مضر - بل كلهم من مضر - فتمتروا رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلائاً فأذن وأقام، فصلّى ثم خطب فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة^(٢)﴾ - إلى آخر الآية - إن الله كان عليكم رقيباً﴾ والآية التي في سورة الحشر: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾^(٣) تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّء، من صاع تمره، حتى قال: ولوبشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصره كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهدل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء... الحديث^(٤).

فأول الحديث يدل على أن المراد بقوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة»: من أحيا في الإسلام، وليس المقصود الاختراع، إذ ما فعله الصحابي رضي الله عنه ليس من باب الاختراع؛ لوجود الحث على الصدقة في الأصل^(٥).

وأكثر أوراد التجانية وما تعلق بها مخترع مبتدع، فمن قال: إن (لا إله إلا الله) في عصر الحممة لا تقرأ إلا بالطهارة المائية؟ ومن قال: إن جوهرة الكمال لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، وأنه لا بد من وجود فراش عند قراءتها يتسع لستة أشخاص؟ وأن سائر الأوراد والأذكار لا بد فيها من إذن الشيخ أو نائبه؟ كل هذه الأقوال لم يسبقهم إليها أحد وليس لها أصل في شريعة الإسلام.

(١) النمار بكسر النون: جمع نمرة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تنمير، وقوله: «مجتاهبي النمار» أي خرقوها وقوروا وسطها (شرح النووي على مسلم ١٠٢/٧).

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الحشر آية ١٨.

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٢٤٠.

(٥) الاعتصام ١/ ١٨٤.

٢- مما يؤيد هذا المعنى أن التحسين والتقييح لا يعرف إلا من جهة الشارع، فوصف النبي ﷺ بأنها «حسنة» يدل على أنها ثابتة ومشروعة في الأصل وليست مخترعة^(١).

وقول محمد الحافظ: «وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم فاستحسنوه ووجدوا أنهم يطبقون المداومة عليه».

مردود؛ لأن مجرد الاستحسان العقلي ليس دليلاً شرعياً كما قال علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه...»^(٢) وقد علم أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالتحسين والتقييح العقلين، فالحسن ما اعتبره الشارع حسناً والتقييح ما اعتبره الشارع قبيحاً. والله أعلم.

* الدليل الخامس :

قال محمد التجاني: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة ومشروطة بعدم العذر؛ وقد قال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»^(٣) وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بالنذر﴾^(٤) ﴿وليوفوا نذرهم﴾^(٥) فماذا يقول أولئك الذين يزعمون الغيرة على الدين والمعرفة في الفقه وهم أبعد الناس عن ذلك؟ ماذا يقولون فيمن نذر على نفسه قدراً يسيراً لا يشق عليه وينذر بمحض اختياره من الاستغفار والصلاة عليه ﷺ؟ ومن ذكر الكلمة المشرفة لإله إلا الله، ثم ترك ذلك بغير عذر؟ أفعليها شيء إن قلنا إنه بعدم الوفاء بالنذر بهذه الطاعة الميسرة ومن غير عذر قد عرض نفسه للعقوبة الإلهية؟ وأي بلاء أشد من ذلك؟»^(٦).

* المناقشة :

١- إن قول محمد الحافظ: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة» قول لم يسبق إليه وهو من

(١) الاعتصام ١/ ١٨٤.

(٢) رواه أبو داود (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ١/ ٢٧٨)، قال ابن حجر: «رواه أبو داود وإسناده صحيح» تلخيص الحبير ١/ ١٦٩ مطبعة الفجالة الجديدة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الإنسان آية ٧.

(٥) سورة الحج آية ٢٩.

(٦) رسالة علماء تزكية النفس ٢٤، ٢٥.

متأخريهم، إذ قد توفي في عام ١٣٩٨ هـ وكتبهم المعتمدة ليس فيها شيء من ذلك، والتجانيون لا يرون وجوبها عليهم؛ لأنهم نذروا ذلك، بل لأن التجاني رواها عن الرسول ﷺ ورتب عليها من الثواب العظيم ما لا يحصى، وأن من أخذها ثم تركها حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك على حد قولهم، فهذا هو الذي يدعوههم إلى التزامها وعدم تركها لأنهم نذروها، وما ذكره محمد الحافظ من أنهم نذروا ذلك محاولة منه لتبرير اعتقادهم بوجوبها عليهم، وقد ورد في جواهر المعاني ما يؤيد ما نقول: قال مؤلف جواهر المعاني: «...ومن أخذ الورد ثم تركه تركاً كلياً أو متهاوناً به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك، وهذا إخبار من سيد الوجود ﷺ لشيخنا رضي الله عنه، ونصه ﷺ: «وكل من أخذ عليك ذكراً قل له في وصيتك له: ذكرنا هذا عظيم وإياكم والتفريط فيه وإياكم وتركه؛ لأن الصلاة على النبي ﷺ عظيمة وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم، ومن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل عليه»^(١) اهـ.

٢- ولو سلمنا بأنها منذورة فما الذي يحمل التجانيين على تخصيصها بالنذر المستمر دون غيرها مما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية المشروعة؟ ثم إن النذري يؤدي إلى أمور منهية عنها، منها:

١- المشقة على النفس بما ليس مشروعاً، فإن الله تعالى يسر على هذه الأمة وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فنذر شيء من الطاعات على الدوام فيه تكليف للنفس ومشقة عليها فكان في هذا رد على تيسير الله، وهذا لا يليق بالعبد مع خالقه ومولاه.

٢- أنه يؤدي إلى التقصير بما هو أهم وأولى، فإن من أوجب على نفسه شيئاً من الطاعات غير ما أوجه الله عليه فقد ظلم نفسه؛ لأن هذا سيؤدي به إلى التقصير بما هو أهم وأولى مما أوجه الله عليه، وهذا متحقق عند التجانية فقد أوجبوا على أنفسهم هذه الأوراد وانصرفوا عما ورد من أذكار في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعدول عنها إلى أوراد المشايخ مزلق خطير.

٣- اتهام شريعة الله بالنقص، فإن مثل هذه الأعمال من أسباب الغلو في الدين، كما وأن فيها اتهام شريعة الله بالنقص وجعل ما ليس من الشريعة داخلاً فيها، والله تعالى يقول: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾^(٢).

(١) جواهر المعاني ١/ ١٢٣.

(٢) سورة المائدة آية ٧٧.

فإن قال قائل: إن القيام بهذه الأوراد من باب الإباحة لا من باب الوجوب أو الاستحباب. فالجواب: أن المباح هو ما لا يترتب على فعله ثواب ولا على تركه عقاب، وأنتم ترتبون على هذه الأوراد من الثواب الشيء العظيم، ومن هذا الثواب الاستقرار مع الشيخ في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين بلا حساب ولا عذاب، ومنه معفرة الذنوب وأداء التبعات^(١)، وغير ذلك. كما أن من ترك شيئاً من هذه الأوراد يستحق العقاب.

وبهذا يتبين أن هذه الأوراد ليست من قبيل المباحات، ويقرر محمد الخضري هذه الحقيقة فيقول: «إن المباح عند الشارع هو ما خير فيه بين الفعل والترك من غير مدح ولا ذم، فإذا تحقق الاستواء أو التخيير شرعاً لم يتصور أن يكون تاركاً مطيعاً؛ لعدم تعلق الطلب بالكف عنه، إذ أن الطاعة لا تكون إلا مع طلب، ولا طلب فلا طاعة.. ثم قال: والنتيجة أن الشارع لا قصد له في فعل المباح دون تركه ولا في تركه دون فعله بل قصد جعل الخيرة للمكلف، فما كان من المكلف من فعل أو ترك فذلك قصد الشارع بالنسبة إليه، فصار الفعل والترك كخصال الكفارة أيها فعل فهو قصد الشارع، لأن للشارع قصداً في الفعل بخصوصه أو الترك بخصوصه..»^(٢).

فإذا ثبت أن أوراد التجانية ليست من قبيل الواجبات ولا من قبيل المباحات تبين أنها من قبيل المبتدعات.

بعد مناقشة هذه الأدلة نعود إلى مناقشة أصل هذه الأوراد :

وهو قولهم: «.. إن العبد إذا دخل في طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستساط بطير الأحكام الإلهية الطاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وأداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون.. ومن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم الله تعالى عن الشريعة.. إلخ»^(٣).

* المناقشة :

هذا القول واضح البطلان، فإن العبد مهما بلغ عبادة وصلاً وتقوى فإنه لا يشارك الله في تشريع ولا في أمر ولا نهى، فحق التشريع لله وحده وليس لأحد من العباد أن يقول: هذا سنة

(١) بغية المستفيد ٢٧٥.

(٢) أصول الفقه، محمد الخضري، ٥٧، ٥٨ الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة.

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٣٢.

وهذا واجب، لشيء لم يرد فيه دليل من شرع الله، وإن فعل ذلك فقد نازع الله في حق الحاكمية وهو حق من حقوقه تعالى لا يجوز إلاله، ومن فعل ذلك فقد أشبهه النصارى الذين اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، قال الله تعالى: ﴿اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾^(١).

روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: ما هذا يا عدي؟ اطرح عنك هذا الوثن، وسمعت يقرأ في سورة براءة: ﴿اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ ثم قال: أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»^(٢).

وقال القرطبي: «روى الأعمش وسفيان عن حبيب بن أبي البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: ﴿اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه»^(٣).

وقال ابن كثير: «قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير: ﴿اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾: إنهم اتبعوهم فيما حللوا أو حرموا. وقال السدي: استصحبوا الرجال وندوا كتاب الله وراء طهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾^(٤) أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ»^(٥).

ومن هذا كله يتبين أن من اعتقد أن للشيخ - مهما بلغ علماً وصلاً - حقاً في التشريع مع الله بإيجاب أو ندم فقد اتخذ مع الله نداً. والله أعلم.

(١) سورة التوبة آية ٣١.

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغلط بن أعين ليس بمعروف في الحديث» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ٨ / ٤٩٢، ٤٩٤) قال الحافظ ابن حجر: «غلط بن أعين ذكره ابن حبان في الثقات... وضعفه الدارقطني» (تهذيب التهذيب ٨ / ٢٥١) دار صادر.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ١٢٠.

(٤) سورة التوبة آية ٣١.

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٩.

مذهب أهل السنة والجماعة في الأوراد والأذكار، وحكم هذه الأوراد عندهم :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن للمسلم أن يدعو الله بما شاء من أنواع الأدعية والأذكار^(١) سواء كانت مما ورد في الكتاب والسنة أم لا مما لا يخالفها، لكن الأفضل أن يدعو الله ويذكره بما ورد في الكتاب والسنة، أما أن تتخذ أدعية وأوراد معينة في أوقات مخصوصة وبأعداد محددة وبشروط معلومة، وتتخذ شعاراً لطائفة من الناس ينفردون بها عن سائر المسلمين ويعتقدون أنها واجبة أو مندوبة ويرتبون على ذلك ما لا يحصى من الثواب، وأن من تركها حلت عليه العقوبة، ويستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة كما فعل التجانيون، فهذا تشريع ما لم يأذن به الله فهو بمثابة جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

ويقرر علماء الإسلام أن هذه الأوراد من البدع المحرمة، وأنه لا ينبغي العدول عما ورد عن المصطفى ﷺ إلى أوراد المشايخ والطريقة. قال ابن الجوزي رحمه الله: «.. ثم من أقبح الأشياء قولهم: إن الصوفية ينفردون بسنن؛ لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها؟ وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها»^(٣).

وقال القاضي عياض: «أذن الله في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة. فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبون لها إلى الأنبياء والصالحين فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر الصديق، فاتقوا الله في أنفسكم لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح»^(٤).

وقال أبو بكر بن العربي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾^(٥).

(١) أعني بذلك: في غير المواضع التي حدد فيها الشارع دعاء معيناً.

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٢٥.

(٣) تلبس إبليس ١٧٤، ١٧٥.

(٤) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ١٧/١ مطبعة السعادة.

(٥) سورة الأعراف ١٨٠.

قال: «ويقال: الحُد ولحد، إذا مال. والإلحاد يكون بوجهين: بالزيادة فيها، والنقصان منها، كما يفعله الجاهل الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكروه من أفعاله، إلى غير ذلك مما لا يليق به، فحذار منها، ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي فهذه الكتب هي بدء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذروا سواها، ولا يقولن أحد: اختار دعاء كذا، فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله»^(١) اهـ.

وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصبرنا على القوم الكافرين﴾^(٢):

«فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول: اختار كذا، فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون»^(٣).

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾^(٤):

بعد أن ذكر وجوهاً من الاعتداء في الدعاء قال: «ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة فيتخير الفساطأ مفقراً وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس هؤلاء (يعني المشايخ) لا أصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء»^(٥).

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا يجوز أن تتخذ المباحات واجبات أو مستحبات يتقرب بها إلى الله باتفاق المسلمين، وأن اتخاذها كذلك ليس من الدين بل هو تشريع لم يأذن به الله، كما أنه لا يجوز قصد التقرب بها إلى الله لا بالقول ولا بالعمل ولا بالإرادة. كما يقرر - رحمه الله - أن هذا الانحراف وقع فيه كثير من العلماء والعباد، وأنه من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وأنه من البدع المنكرات، فيقول رحمه الله: «... إن الأمور التي

(١) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٢/ ٨٠٥ الطبعة الثانية.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٧.

(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٢٣١.

(٤) سورة الأعراف آية ٥٥.

(٥) تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٦ وقد نقل ذلك عنه أبوحيان في البحر المحيط ٤/ ٣١١.

ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها إلى الله ولا اتخاذها طريقاً إلى الله وسبباً لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبابه، فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحات إنما تكون مباحات إذا جعلت مباحات، فإذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك ديناً لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها، فلا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله، ولهذا أعظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه، فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟

ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر رجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله، كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه، بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره، وعند آخرين لا شيء عليه، فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة^(١).. ثم قال: وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قرية؟ لم يجز أن يعتقد أو يقال: إنه قرينة أو طاعة، فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذ ديناً.. فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل، وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه بل يقال: إنه جائز، ولا يفرق بين اتخاذ ديناً وطاعة وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة. ومعلوم أن اتحاده ديناً لا باعتقاد أو بالقول أو بالعمل من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات^(٢).. اهـ.

ومعلوم أن التجانية يتخذونها ديناً بالعمل والقول والاعتقاد، ويتقربون بها إلى الله ويرتبون على فعلها الثواب العظيم كما يرتبون على تركها العذاب المقيم.

ويقرر فضيلة الشيخ علي محفوظ أن المبتدع بدعة إضافية في عداد من لا ترجى توبته، فيقول عفا الله عنه. «فالمبتدع بدعة إضافية قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو يرى أن الكل صالح، فلا يدخل في عداد من ترجى توبته؛ لأنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب منه، بل يرى أن

(١) قال محمد رشيد رضا: «لعله سقط من هنا: طاعة وعبادة، منصوبين» قلت: فتصبح العبارة «فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة ولا عبادة».

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ١٢٥، ١٢٧ «بتصرف» تحقيق محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.

كل ما يعمله حسن ولا توبة لمن لم يعرف لنفسه ذنباً، ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان
الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب
مها»^{(١)(٢)}.

- (١) رواه أبو نعيم في الحلية ٢٦/٧.
(٢) الإبداع في مضار الابتداع ٣٣ - علي محفوظ - الطبعة الخامسة.

خاتمة

من خلال دراستي لهذه الطائفة - في هذه الرسالة - تبين لي ما يلي:

• أن التجانيين إزاء هذه العقائد والأفكار ينقسمون إلى عدة أقسام، فمنهم الذين عرفوا حقيقتها ومع ذلك عملوا بها وجادلوا عنها وهؤلاء هم المنتفعون من ورائها.

ومنهم الذين أخطأوا الطريق وأدعوا صلاح التجاني وأخذوا يدافعون عن أفكاره وآرائه، وأنكروا كثيراً مما ورد عنه من عقائد وخرافات تناقض دين الإسلام، وحاولوا أن يجدوا له مخرجاً منها وهم لا يعرفون الكثير من الأشياء التي أوضحناها في هذه الرسالة، وإذا نبه أحدهم إلى شيء منها أنكره.

وهذان القسمان من المنتسبين إلى العلم.

وهناك قسم ثالث: وهم العوام الذين لا يفرقون بين الحق والباطل، والذين انخدعوا بهؤلاء المشايخ واعتقدوا فيهم التقى والصلاح، فأخذوا يقلدونهم من غير علم ودراية، وهم الغالبية العظمى من أتباع هذه الطريقة.

إن في التجانيين كثيراً من الذين نشأوا في مجتمعات كانت تسيطر عليها هذه الطائفة فتلقفوها ورائة من غير علم ولا بصيرة.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكننا

وبعض من هؤلاء بعد أن بحثوا عن الحق ودرسوا حقيقة الإسلام عرفوا أن هذه الطريقة تقف على شفا جرف هار فألقوها وراء ظهورهم غير مباليين بأهل ولا مال ولا ولد.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أنصح المثقفين وطلبة العلم من أتباع هذه الطريقة ألا يلغوا عقولهم، وأن يتحصروا حقيقتها على ضوء الكتاب والسنة متجردين عن الهوى والشهوة والتعصب، وأن يدعوا الله مخلصين أن يبين لهم طريق الخير والهدى ليصبحوا مشاعل نور وهداية فيأخذوا بأيدي أتباع هذه الطريقة إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة.

النتائج التفصيلية :

* تحدثت في التمهيد عن البدعة ورجحت أن البدعة في اصطلاح أهل الشرع لم ترد إلا مذمومة، مؤيداً ذلك بالأحاديث والآثار.

كما بينت أن البدع كلها حرام ولكنها تتفاوت في التحريم، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو معصية، ومنها ما هو مكروه كراهية تحريم.

كما تحدثت عن التصوف وبينت أن نشأته كانت في أوائل القرن الثاني، وأن انتشاره كان بعد القرن الثالث.

كما رجحت بالأدلة أن الصوفية سمو بهذا الاسم نسبة إلى الصوف بعد أن ذكرت جملة من الأقوال في سبب التسمية.

* تحدثت عن التجاني وبينت أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى أخواله «بني توجين»، كما بينت أن العصر الذي نشأ فيه كانت تسوده الفتن والقلاقل، وأن الحركة العلمية كانت تعيش عصر الاحتضار، وأن التصوف في عصره كان دروشة وتمسحاً بالقبور والمزارات.

كما بينت بعد المقارنة بين كتاب جواهر المعاني وكتاب المقصد الأحمد، أن من جواهر المعاني ما نقل من المقصد الأحمد باللفظ ومنه ما نقل بالمعنى، مؤيداً ذلك ببعض الصفحات المصورة من الكتابين، التي تبين حقيقة ما أقول.

* كما بينت أن التجانية سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها أحمد التجاني، كما بينت أن من أسباب انتشارها قلة العلم والعلماء في عصره وفي بيئته، ومساندة الأمير سليمان - أمير المغرب في وقته - له، وكثرة ما فيها من الثواب المزعوم.

كما أشرت إلى شيء من تاريخ التجانية في كل من الجزائر والسنغال، وبينت مولاتها للفرنسيين في الجزائر ومعاداتها في السنغال. وبينت أن هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف مشارب ونشأة مشايخ الطريقة التجانية في البلدين.

* وفي القسم الثاني تحدثت عن عقيدتهم بالله، وبينت إيمانهم بوحدة الوجود، كما ذكرت جملة من أقوال العلماء في تكفير من قال بوحدة الوجود.

كما بينت أن التجانيين حيال هذه العقيدة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدمين.

وقسم ينكرونها ويكفرون قائلها، وهم بعض المتأخرين منهم.
وقسم ثالث وهم العامة فكل ما قيل لهم آمنوا به، وكل ما حذروا منه كفروا به، فهم جهلة
مقلدون، وهم أغلبية أهل هذه الطائفة.

* كما تحدثت عن الفناء وبينت أنه لم يرد مدح لفظ «الفناء» لافي الكتاب ولا في السنة
ولا في كلام الصحابة والتابعين، وأن لفظ «الفناء» لا يقبل مطلقاً ولا يرد مطلقاً، بل لابد فيه من
تفصيل:

فإن أريد «بالفناء» الفناء عن عبادة السوي بمعنى صرف العبادة لله وحده فهذا المعنى
حق.

وإن أريد به الفناء عن وجود السوي وأنه ليس هناك موجود إلا الله وهو ما يعبر عنه «بوحدة
الوجود» فهذا المعنى باطل.

وإن أريد به فناء العارف في ذات الله وهو ما يعبر عنه «بالاتحاد في معين» فهذا المعنى
باطل أيضاً.

وإن أريد به الفناء عن شهود السوي وهو المرادف للسكر والغيبة، فإن كان هذا الفناء
بسبب من عند نفسه فهو مؤاخذ غير معذور، وإن كان هذا الفناء بسبب لا من عند نفسه بحيث
غلبه داعي المحبة والوجد فسكر لضعف نفسه وقوة الوارد عليه؛ فهو غير مؤاخذ بل هو بمثابة
النائم والمغمى عليه.

كما بينت أن حال الفناء ليست حال كمال، ولو كانت كذلك لكان أولى الناس بذلك
رسول الله ﷺ.

* تحدثت عن ادّعائهم علم الغيب، وبينت أن من ادّعى علم الغيب فقد كفر، وأن من
ذهب إلى الكهنة والمنجمين ممن يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأن
ما أخذ على ذلك من مال فهو سحت وحرام.. وذكرت أقوال العلماء في ذلك.

* بينت انحرافهم في تفضيل صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن الكريم، كما نقضت
قولهم بأنها من كلام الله، بينت أصل هذه الصلاة، وأن ما ورد منها في أثر موقوف على علي بن
أبي طالب ضعيف السند، وبينت أن من سوى صلاة الفاتح لما أغلق بكلام الله سبحانه
وتعالى فقد كفر؛ لأنه سوى بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وأن من فضل صلاة الفاتح لما
أغلق على القرآن الكريم فلا شك أنه أشد كفراً.

* نقضت قولهم بأنهم يرون النبي ﷺ يقظة بعد موته، وأنه يخاطبهم ويخاطبون، وأنهم يتلقون عنه ويأخذون منه، وبينت أن ذلك مستحيل شرعاً وعقلاً، وأن ذلك من تلبس الشيطان وتوهمه، وأن من قال ذلك فقد أتى بقول فاسد، وذكرت بعض ما قاله العلماء في ذلك.

* نقضت دعواهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً من وحي الله، وأن وحي الله لم ينقطع عنهم، وذكرت أن من اعتقد أن النبي ﷺ قد كتم شيئاً من وحي الله فقد كفر؛ لمخالفته لصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

* فصلت القول في التوسل، وبينت أن التوسل منه ما هو مشروع، وذلك مثل التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومثل التوسل بالأعمال الصالحة، ومثل التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته وبدعاء الصالحين في حياتهم.

كما بينت أن التوسل المحرم منه ما هو الشرك، وهو التوسل بذات الشخص المتوسل به، وهو ما يقصدون به الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وكذلك الإقسام بالمخلوق على الله، وبينت أن هذا النوع تقرب إلى الله تعالى بالشرك به.

ومنه ما هو بدعة محرمة، وهو التوسل بالجاء إذ لم يرد له مستند من كتاب ولا من سنة.

* كما بينت عقيدتهم في طلب المدد من النبي ﷺ ومن التجاني، وبينت أن طلب الحوائج من الأموات والاستعانة بهم واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخير ويمنعون عنهم الشر، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنه شرك، وذكرت جملة من أقوال العلماء في ذلك.

* كما بينت أن من زعم أن التجاني خاتم الأولياء فقد خالف الكتاب والسنة وقد زكى نفسه ورفعها فوق قدرها، وأن من فعل ذلك فمعتد آثم.

* كما نقضت زعمهم بأن النبي ﷺ قد ضمن للتجاني وأتباعه الجنة، كما فندت قول التجاني: «من رآني دخل الجنة» وبينت أنه لا يجوز القطع لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار إلا بنص ثابت، وإنما يرجى للمحسن ويخاف على المسيء.

وبينت أن العلماء قد شنعوا على من ادعى مثل هذا الادعاء؛ لما فيه من الجرأة على الله وادعاء علم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، وبينت أن من ادعى علم الغيب فقد كفر.

* تحدثت عن بعض الفضائل التي يدعي التجانيون أنهم خصوا بها من دون الناس، وفندت دعواهم، وبينت أن الشريعة حاءت عامة للناس جميعاً، وتناولت كل فضيلة من هذه

الفضائل بالرد المختصر.

* وتحدثت في الباب الأخير عن أوراد وأذكار التجانيين وذكرت أصل هذه الأوراد عندهم وما يستدلون به عليها، وفندت كل دليل من أدلتهم، وبينت أن الأصل الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ من أدعية وأذكار، كما بينت أن أوراد التجانية من الأوراد المبتدعة؛ لما لازمها من هيئات وشروط وكيفيات، ثم ذكرت جملة من أقوال العلماء في الحث على لزوم ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أدعية وأذكار، وأن أدعية التجانية ونحوها من البدع المحرمة. والله أعلم.

كيف السبيل؟

وبعد :

فإن السبيل الأمثل لإخراج هؤلاء من الانحراف والخرافة - في نظري - لن يكون إلا على أيدي أبناء تلك البلاد الذين درسوا العقيدة السلفية الصحيحة، وتزودوا بالعلم النافع والعمل الصالح ليتمكنوا من الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، ولإيجاد هؤلاء الدعاة لابد من زيادة عدد المنح الدراسية في الجامعات الإسلامية لأبناء تلك البلاد وتزويدهم بالعلم النافع، وخصوصاً في مجال العقيدة.

كما ينبغي أن تسعى الجامعات الإسلامية إلى إيجاد معاهد متخصصة لتدريس علوم الشريعة. كما ينبغي الاستفادة من موسم الحج بتوزيع الكتب والنشرات التي تبين حقيقة هذه الطريقة وتكشف خداعها المبهرج.

كما ينبغي تشجيع العلماء المخلصين والمثقفين من أبناء تلك البلاد لنشر العقيدة الصحيحة، وتزويدهم بما يحتاجون إليه من دعم مادي أو معنوي. أما أن تكتفي بعض المؤسسات الإسلامية بإرسال الكتب لقوم لا يحسنون القراءة، فهذا - في نظري - ليس هو الطريق الصحيح، ولكن من الممكن أن تكون هذه المؤسسات عوامل مساعدة لهؤلاء الدعاة.

ومن أجل هؤلاء الدعاة المخلصين، ومن أجل الباحثين عن الحق من التجانيين وغيرهم؛ كتب هذا البحث الذي أدعوا الله - مخلصاً - أن يساهم في إلقاء شيء من الضوء على حقيقة هذه الطريقة.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

أولاً:

١ - القرآن الكريم .

ثانياً : فهرس المراجع العامة :

٢ - الإبداع في مضار الابتداع ، للشيخ علي محفوظ، الطبعة الخامسة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، والطبعة الخامسة سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة النبوية

٣ - اتصالات مربية، بقلم الدكتور الأمين داود، مطبعة النيل للطبع والنشر، الخرطوم سنة ١٩٧٥ م.

٤ - أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجادي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

٥ - إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، قدم له الدكتور بدوي طبانة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦ - الاختلاط في مذهب مسيلمة الكذاب، بقلم الدكتور الأمين داود، طبع سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

٧ - الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى، تأليف أبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري وأخيه محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ م.

٨ - أصول الدين، للأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، طبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م، الطبعة الأولى، الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستانبول.

٩ - أصول الفقه، تأليف محمد الخضري بك، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.

١٠ - الاعتصام، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، مطبعة السعادة، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

- ١١ - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، صححه أبو الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري، دار العهد الجديد للطباعة سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- ١٢ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي، وبهامشه المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٣ - الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ١٤ - الاقتصاد على قصيدة البردة، تأليف حسن فهمي بن خليل النامرواني، طبع بمطبعة دار الطباعة العامرة في سنة ١٣٢٨هـ.
- ١٥ - الله ذاتاً وموضوعاً، تأليف عبدالكريم الخطيب، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م، ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي.
- ١٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي، وبهامشه تفسير الجلالين، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٧ - الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية، تأليف المرحوم الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة.
- ١٨ - إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
- ١٩ - البحر المحيط: لأبي عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة. الرياض.
- ٢٠ - البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، تأليف الدكتور عزت علي عطية، طبع بمطبعة المدني، الناشر: دار الكتب الحديثة. القاهرة.
- ٢١ - تاج العروس، للعلامة مرتضى الزبيدي، مطابع دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- ٢٢ - تاريخ ابن عساكر المسمى بالتاريخ الكبير، تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تصحيح عبدالقادر أفندي بدران، مطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩هـ.

- ٢٣ - تاريخ المغرب في القرن العشرين، تأليف روم لاندو، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، مراجعة الدكتور أنيس فريحة، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، سنة ١٩٦٣ م.
- ٢٤ - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تأليف الأمير محمد ابن عبد القادر الجزائري، تعليق الدكتور ممدوح حقي، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
- ٢٥ - التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تأليف محمد بن ميمون الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ٢٦ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد بن أحمد البيروني ت سنة ٤٤٠ هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند سنة ١٣٧٧ هـ.
- ٢٧ - الترجمانة الكبرى في أخبار الممطوراً وبحراً، لمؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزباني، حققه عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة المحمدية سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٢٨ - التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بقلم الدكتور زكي مبارك، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.
- ٢٩ - التعريفات لأبي الحسن الجرجاني، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، ت ٨١٦ هـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الناشر: الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٤ م.
- ٣٠ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، الأستاذ محمد رشيد رضا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.
- ٣١ - تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبع بدار إحياء الكتب العربية، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٣٢ - التفسير القيم، لابن القيم، جمعه الشيخ محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٣٣ - التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، طبع بالمطبعة البهية المصرية بمصر.
- ٣٤ - تليس إبليس، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغداد، طبع إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٨ هـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٣٥ - تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- ٣٦ - تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدرآباد الدكن سنة ١٣٢٥ هـ - الناشر: دار صادر، بيروت.
- ٣٧ - التوسل أنواعه وأحكامه، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، دمشق.
- ٣٨ - التوصل إلى حقيقة التوسل، تأليف محمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٩ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، الناشر: المكتب الإسلامي بدمشق.
- ٤٠ - جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد شاكر، الناشر: دار المعارف بمصر.
- جامع البيان عن تأويل القرآن: للإمام أبي جعفر بن جرير، وقد طبع في دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية مصورة عن الطبعة الأولى، بمطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٢٣ هـ.
- ٤١ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٤٢ - جامع المعلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٤٣ - الجامع الفريد (كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية) رسالة نواقض الإسلام، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- ٤٤ - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٤٥ - الجواب الباهر في زوار المقابر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه سليمان بن عبد الرحمن الضبع والشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر: المطبعة السلفية ومكبتها.

- ٤٦ - حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثرروب ستودارد الأمريكي، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نوهيص، علق عليه الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٧ - الحاوي للفتاوي، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م، مطبعة السعادة بمصر، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ٤٨ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٤٩ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف الشيخ عبدالرزاق البيطار، تحقيق محمد بهجة البيطار سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، الناشر: المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ٥٠ - دائرة المعارف الإسلامية، طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م.
- ٥١ - درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، للعلامة علي بن سليمان الدمثي، طبع بالمطبعة الوهية في مصر سنة ١٢٩٨ هـ.
- ٥٢ - الدين الخالص، تأليف السيد محمد صديق حسن من علماء الهند، طبع بمطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) القاهرة.
- ٥٣ - ديوان أبي فراس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥٤ - الرسالة القشيرية، تأليف أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، تحقيق عبدالحميد محمود، محمود بن الشريف، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٥٥ - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للعلامة شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، طبع في إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- ٥٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، الناشر: المكتب الإسلامي.
- ٥٧ - سنن الترمذي، للإمام أبي عبدالله محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ.
- ٥٨ - سنن الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأخوذي، تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان، طبع في مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م،

الناشر: المكتبة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٥٩ - سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تخريج عبدالله هاشم يمانى المدني، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، الناشر: عبدالله هاشم يمانى المدني بالمدينة النبوية.

٦٠ - سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، طبع في مطابع المجد في القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة النبوية.

٦١ - السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ببلدة حيدرآباد الدكن، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ الناشر: دار صادر، بيروت.

٦٢ - سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، حققه محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، وشركاه.

٦٣ - سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، تصحيح الشيخ حسن محمد المسعودي، طبع في المطبعة المصرية بالأزهر، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.

٦٤ - السيف المسلول، تأليف محمد المرزوق بن عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٦٥ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد مخلوف، القاهرة سنة ١٣٤٩هـ طبع في المطبعة السلفية ومكتبتها، جزئين في مجلد واحد.

٦٦ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف محمد الزرقاني، ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي، مصر.

٦٧ - شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩١هـ الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

٦٨ - شرح المواهب اللدنية، تأليف محمد بن عبدالباقي الزرقاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ بالمطبعة الأزهرية المصرية.

٦٩ - شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ.

- ٧٠ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، تحقيق محمد أمين قره علي ورفاقه، دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق. والطبعة الأخيرة سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٧١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، سنة ١٣٧٥هـ.
- ٧٢ - صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.
- ٧٣ - صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي، الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله، طبع في المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ.
- ٧٤ - صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تأليف محمد بيرم الخامس التونسي، طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٣هـ الناشر: دار صادر، بيروت.
- ٧٥ - الصلة بين التصوف والتشيع، تأليف الدكتور كامل مصطفى الشبيبي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة.
- ٧٦ - صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف محمد بشير السهواني الهندي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٨هـ المطبعة السلفية ومكتبتها.
- ٧٧ - طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريعة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
- ٧٨ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تأليف أحمد بن أحمد الغبريني، طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
- ٧٩ - حوارف المعارف، لأبي حفص عمر السهروردي، تحقيق عبدالحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، مطبعة السعادة.
- ٨٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- ٨١ - غاية الأمان في الرد على النبهاني، للإمام محمود شكري الألويسي، الطبعة الثانية عام ١٣٩١هـ.
- ٨٢ - الفتاوى الحديثة، تأليف أحمد بن حجر الهيتمي المكي، طبع شركة مكتبة ومطبعة

- مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٨٣ - الفتاوى الكبرى (المصرية): لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم له حسين محمد مخلوف، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٨٤ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج محب الدين الخطيب، طبع في المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.
- ٨٥ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف أحمد عبدالرحمن البناء، الطبعة الأولى طبعت في مطبعة حسان، القاهرة.
- ٨٦ - الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، تأليف محمد بن علان الصديقي المكي، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، القاهرة سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م، مطبعة السعادة.
- ٨٧ - الفتوحات المكية، تأليف محيي الدين بن عربي، تحقيق د. عثمان يحيى، الناشر المكتبة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، المكتبة العربية، القاهرة.
- ٨٨ - الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تأليف الفرديل، ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي، الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، سنة ١٩٦٩م.
- ٨٩ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تأليف الإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٩٠ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٣١٨/٨٦.
- ٩١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، وبهامشه كتاب الملل والنحل، للشهرستاني، طبع سنة ١٣٢١هـ الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.
- ٩٢ - فوات الوفيات والذيل عليها، تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت. سنة ١٩٧٣م.
- ٩٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف محمد عبدالرؤوف المناوي، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٩٤ - قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، علق عليها طه محمد الزبيبي، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣هـ المطبعة المنيرية بالأزهر، الناشر: محيي الدين محمد

شاهين.

قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع سنة ١٣٧٣ هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة.

٩٥ - القاموس المحيط: تأليف مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٩٦ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للفقهاء المحدث أبي محمد عز الدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام السلمي، راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد، دار الشرق للطباعة، القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

٩٧ - الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تأليف أبي عمرو يوسف ابن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، تحقيق الدكتور محمد أحمد الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٩٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.

٩٩ - كشف المحجوب، لعلي بن عثمان بن أبي علي الهجويري، ترجمة الدكتورة إسعاد عبدالهادي قنديل - مراجعة أمين عبدالحميد بدوي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

١٠٠ - لسان العرب، للإمام محمد بن بكر بن منظور، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ هـ - المطبعة الكبرى المنيرية ببولاق مصر المحمية.

١٠١ - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، طبع حيدرآباد، الهند سنة ١٣٣١ هـ.

١٠٢ - اللمع، تأليف أبي نصر السراج الطوسي، تحقيق عبدالحليم محمود. طه عبدالباقي سرور، طبع سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م، مطبعة السعادة، ملتزم الطبع والنشر: دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

١٠٣ - مآلك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، تأليف محمد أبوزهرة، طبع بمطبعة دار الحمامي للطباعة، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

١٠٤ - كتاب المجروحين، للإمام محمد بن حبان التميمي، طبع بالمطبعة العزيزية في حيدرآباد في الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

١٠٥ - مجلة الأزهر، السنة ٢٥، ١٣٧٣ هـ، مطبعة الأزهر، عدد جمادى الأولى سنة

١٣٩٠هـ - ١٩٧٠.

- ١٠٦ - مجلة المنار، ج ٢٣ الجزء السابع سنة ١٣٥٢هـ الطبعة الأولى، مطبعة المنار.
- ١٠٧ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م، الناشر: دار الكتاب، بيروت، لبنان.
- ١٠٨ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمعها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ مطابع الرياض.
- ١٠٩ - مجموع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع بمطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٩هـ، الطبعة الأولى.
- مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، علق عليها محمد رشيد رضا، الناشر لجنة التراث العربي.
- ١١٠ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للفخر الرازي، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية.
- ١١١ - مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
- ١١٢ - مدارج السالكين، تأليف أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- ١١٣ - المدخل، تأليف أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحاج، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ١١٤ - المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، الناشر: دار صادر، بيروت.
- ١١٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة علي بن سلطان محمد القاري، طبع في المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩هـ الناشر: المكتبة الإسلامية.
- ١١٦ - المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبيدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- ١١٧ - المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، الناشر: دار المعارف بمصر.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن

- الأقوال والأفعال، للشيخ علي المتقي الهندي، طبع في المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ
الناشر المكتب الإسلامي للطباعة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.
- ١١٨ - مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، تأليف محمد الخضر بن
عبدالله الجكني الشنقيطي، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر (عيسى البابي الحلبي
وشركاه) مصر سنة ١٣٤٦ هـ الناشر: على السيد سلمان.
- ١١٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف أحمد بن محمد الفيومي، طبع
بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ.
- ١٢٠ - مصرع الشرك والخرافة: تأليف خالد محمد علي الحاج، حققه عبدالله بن إبراهيم
الأنصاري، طبع في مطابع الدوحة الحديثة، الناشر: إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر سنة ١٣٩٨
هـ ١٩٧٨ م.
- ١٢١ - المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى): للإمام علي القاري
الهروي، حققه عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م الناشر: مكتب
المطبوعات الإسلامية، حلب.
- ١٢٢ - معجم البلدان، للشيخ أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، الناشر: دار
صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
- ١٢٣ - معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام
محمد هارون، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٢٤ - المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة): تأليف أبو
الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي، صححه وعلق على حواشيه: عبدالله محمد الصديق،
قدم له وترجم للمؤلف: عبدالوهاب عبداللطيف، طبع في دار الأدب العربي للطباعة، الناشر:
مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م.
- ١٢٥ - مقدمة العلامة ابن خلدون، تأليف عبدالرحمن بن خلدون، الطبعة الرابعة، الناشر:
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١٢٦ - المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبدالله أحمد، تأليف أبي محمد
عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني، المطبعة الحجرية بفاس، طبع سنة ١٣٥١ هـ.
- ١٢٧ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر

- الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى لمكتب المطبوعات الإسلامية سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- ١٢٨ - المنقذ من الضلال، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبعة شمس الحرية للطباعة والنشر، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.
- ١٢٩ - الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- ١٣٠ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف أحمد بن محمد القسطلاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٣١ - الموضوعات، للإمام عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- ١٣٢ - موطأ مالك المطبوع مع شرح الزرقاني، للإمام مالك بن أنس، طبع بمطبعة الاستقامة، بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ١٣٣ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجادي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- ١٣٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، للشيخ المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، طبع في المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ.
- ١٣٥ - نواذر الأصول، تأليف أبو عبدالله محمد الحكيم الترمذي، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- ١٣٦ - الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.
- ١٣٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م، الناشر: مكتبة النهضة المصرية.
- ١٣٨ - البواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، تأليف ظافر المالكي الأزهرى، طبع بمطبعة الملاحي العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى سنة ١٣٢٤ هـ، جزآن في مجلدين.

ثالثاً : فهرس كتب الطريقة التجانية :

- ١٣٩ - إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ السيدي، تأليف محمد بن محمد بن الحسن بن عبدالله، طبع على ذمة الشريف أحمد العراقي وأخيه عبدالقادر القادري.
- ١٤٠ - أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني أحمد التجاني، تحقيق محمد الحافظ التجاني، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مطبعة الفجالة الجديدة.
- ١٤١ - الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمديّة التجانية، تأليف علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٤٢ - الإفادة الأحمديّة لمريد السعادة الأبدية، تأليف محمد الطيب بن محمد الحسني السفياي، قدم له وعلق عليه محمد الحافظ التجاني، طبع في المطبعة العالمية في القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- الإفادة الأحمديّة لمريد السعادة الأبدية، تأليف محمد الطيب بن محمد الحسني السفياي، علق عليه وقدم له محمد الحافظ التجاني، طبع في مصر سنة ١٣٨٩هـ.
- ١٤٣ - أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين يقيين، جمعة حسين حسن الطائفي التجاني، طبع بعناية مكتبة القاهرة بالأزهر بمصر في دار الطباعة المحمديّة، القاهرة.
- ١٤٤ - الانتصاف في رد الإنكار على الطريق (الحلقة الثالثة)، تأليف محمد الحافظ التجاني، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١٤٥ - أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، تأليف محمد الحافظ التجاني، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، دار الطباعة الحديثة.
- ١٤٦ - الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح، تأليف أحمد سكيج، طبع سنة ١٣٥٧هـ مطبعة النهضة، تونس.
- ١٤٧ - بغية المستفيد بشرح منية المريد، تأليف محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٥٩، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- وطبع سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، الناشر: دار العلم للجميع.
- ١٤٨ - بلوغ الأمان في مناقب سيدي أحمد التجاني، طبع بإذن من الشيخ يوسف مضوي شيخ الطريقة التجانية بواد مدني، الناشر: مكتبة مضوي الحاج، السودان.

- ١٤٩ - نجاج الرؤوس بالتفصح في نواحي سوس، نظم أحمد سكيرج، المطبعة الجديدة ومكتبتها، فاس.
- ١٥٠ - تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح وطول زمان، تأليف أحمد سكيرج، مطبعة النهضة، تونس، سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٥١م.
- ١٥١ - تيسير الأمانى لقراء شهدة التجاني، تأليف محمد بن محمد الحمجوجي الحسني، الطبعة الأولى بالمطبعة البلدية الفاسية بالمكينة عام ١٣٣٨م.
- ١٥٢ - الجامعة العرفانية الوافية بشروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، تأليف عبدالحفيظ بن الحسن، مطبعة النهضة، نهج باب سعدون سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.
- ١٥٣ - جنابة المنتسب العاني فيما نسب به بالكذب للشيخ التجاني، تأليف أحمد سكيرج، دار الطباعة الحديثة سنة ١٣٨٩هـ.
- ١٥٤ - جواهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي المباس التجاني، تأليف علي حرازم بن العربي برادة المفريبي الفاسي، وبهامشه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٥٥ - الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار، تأليف محمد بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي، مطبوع بهامش بغية المستفيد، ملتزم الطبع عباس عبدالسلام بن شفرون بالفحامين بمصر.
- ١٥٦ - الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية، تأليف محمد سعد بن عبدالله الرباطي التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، مطبعة حجازي بالقاهرة، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٥٧ - الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، تأليف محمد فتحا ابن عبدالواحد السوسي النظيفي، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الفكر.
- ١٥٨ - ديوان منعش الأبدان بلغة أهل السودان، تأليف محمد بن السيد المختار التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٥٩ - رشق السهام على مافي الكلام المنكر على الشيخ التجاني من الأغلاط والأوهام، تأليف محمد فال (أباه) بن عبدالله بن محمد بن فال العلوي، طبع بمطبعة الأمنية بالرباط سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- ١٦٠ - رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم، تأليف عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدري، مطبوع بهامش جواهر المعاني، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٦١ - السحر البابلي، تأليف أحمد سكيرج، مطبعة الجهاد الإسلامي بالإسكندرية سنة ١٣٤٧ هـ.
- ١٦٢ - السر الرباني في ترهات ابن مايابي العاني، تأليف أحمد سكيرج، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ، طبع بالمطبعة العربية برحلة الزرع القديمة، الدار البيضاء.
- ١٦٣ - الشطحات السكيرجية، تأليف أحمد سكيرج، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر بمصر.
- ١٦٤ - الصراط المستقيم في الرد على مؤلف المنهج القويم، تأليف أحمد سكيرج، مطبعة النهضة، تونس، سنة ١٣٥٨ هـ.
- ١٦٥ - طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة، تأليف أحمد سكيرج، طبع بمطبعة علية بشارع فرنسا بالإسكندرية سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧.
- ١٦٦ - الطبيب الفائح والورد السائح في صلاة الفائح عليه السلام، تأليف محمد بن عبد الواحد النظيفي السوسي، ملتمز الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.
- ١٦٧ - العرايس الحسان وبدائع الزمان في مدح النبي العدناني وسبدي أحمد التجاني، تأليف الصديق عمر الأزهرى التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٦٨ - عقد المرجان الموجه للشيخ محمد بن سليمان، تأليف أحمد سكيرج، مطبعة النهضة بنهج الجزيرة، تونس.
- ١٦٩ - علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب والسنة، تأليف محمد الحافظ التجاني، طبع في الزاوية التجانية بالقاهرة سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٧٠ - (الحاج) عمر الفتوي سلطان الدولة التجانية، تأليف محمد الحافظ التجاني، الزاوية التجانية، مصر، سنة ١٣٨٣ هـ.
- ١٧١ - غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ أحمد التجاني، تأليف محمد السيد التجاني، الطبعة الثانية، دار العلم للجميع.
- ١٧٢ - الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني، تأليف محمد بن عبدالله بن حسنين الصطفاوي التجاني، الناشر: المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان.

والطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٧٣ - الفتح الرباني، عن النقشبندي والجيلاني والشاذلي والتجاني، تأليف عبدالفتاح السيد عبده الطوخي الفلكي، مطبعة مختار الناشر: مكتبة نصير، مصر.

١٧٤ - الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله، تأليف محمد السيد التجاني، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٧٥ - الفيض الجامع في تراجم أهل السر والجماع، تأليف أبي بكر عتيق بن حضر الكشني التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م المطبعة المنيرية، الناشر: مضوي الحاج صاحب مكتبة مضوي، السودان.

١٧٦ - قراضة العقيان في تحقيق استمرار أفراد من الكهنة لآخر الزمان، تأليف عبدالرحمن ابن محمد بن زيدان الحسني التجاني، طبع بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

١٧٧ - كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، تأليف أحمد سكيرج، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١هـ.

١٧٨ - مجلة طريق الحق:

مجلد السنة الخامسة سنة ١٣٧٥هـ.

مجلد السنة السادسة سنة ١٣٧٦هـ.

مجلد السنة التاسعة سنة ١٣٧٩هـ.

مجلد السنة العاشرة سنة ١٣٨٠هـ.

مجلد السنة الحادية عشرة سنة ١٣٨١هـ.

مجلد السنة الثانية عشرة سنة ١٣٨٢هـ.

مجلد السنة الرابعة عشرة سنة ١٣٨٤هـ.

مجلد السنة العشرون سنة ١٣٩٠هـ.

١٧٩ - منية المرید في آداب وأورد الطريقة التجانية، تأليف بن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٨٠ - مولد إنسان الكمال، من فيوضات العارف بالله الكامل محمد بن المختار التجاني الشنقيطي، مطبعة الزاوية التجانية بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ.

- ١٨١ - مولد التجاني المسمى عنوان مطالع الجمال في مولد إنسان الكمال، تأليف محمد بن السيد المختار الشنقيطي، الطبعة الخامسة، الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الناشر: مضوي الحاج صاحب مكتبة مضوي، السودان.
- ١٨٢ - ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي، طبع بالمطبعة الرسمية العربية بحاضرة تونس سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.
- ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي، ويليه رحلة التجاني في مدح الشيخ التجاني، الناشر: المكتبة المحمودية التجارية، مصر.
- ١٨٣ - ميرزاب الرحمة الربانية بالطريقة التجانية، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي، ملتزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.
- ١٨٤ - النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية، تأليف: أحمد سكيرج، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ، مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر بمصر.
- ١٨٥ - النفحة الفضلية في طريقة الختم التجانية، تأليف بدر عبد الهادي سلامة التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م، طبع السيد مضوي الحاج مضوي صاحب مكتبة مضوي، السودان.
- ١٨٦ - النوافح العطرية، تأليف محمد غريم بن محمد الداغري التجاني، مكتبة ومطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون، مصر.
- ١٨٧ - الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية، تأليف محمد السيد التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.
- ١٨٨ - الباقوتة الفريدة في الطريقة التجانية، تأليف محمد فتاح عبد الواحد محمد النظيفي، دار القاهرة للطباعة، الناشر: مكتبة القاهرة.

فهرس الآيات القرآنية حسب السور

رقم الصفحة	السورة	رقمها	الآية
١٢٥	البقرة	٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها
٤١	"	٨٧	أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
٢١٩	"	١١١	وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
٢٢٠	"	١١٢	بلى من أسلم وجهه لله
١٧	"	١١٧	بديع السموات والأرض
١٢٥	"	٢٦٠	ثم ادعهم يأتينك سعيًا
١٠٢	"	٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
٢٥، ٢٤	آل عمران	٧	فأما الذين في قلوبهم زيغ
٩٠	"	٧	وما يعلم تأويله إلا الله
١٦١	"	٨٠ / ٧٩	ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب
٢٤٧	"	١٤٧	ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا
١٠٦، ١٠٥	"	١٧٩	وما كان الله ليطلعكم على الغيب
١٧١	"	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت
٢٤١	النساء	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
١٩٣، ١٩٢	"	٤٩	ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم
١٣٢	"	٥٩	فإن تنازعتم في شئ
١٩٩	"	٦٩	ومن يطلع الله والرسول فأولئك
٢٢٣	"	٨٢	ولو كان من عند غير الله
٢٣٣	"	١٠٣	فاذكروا الله قياماً وقعوداً
١٧٤	"	١١٥	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
٢٣٢	المائدة	١	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود
١٤٩، ١٤٧، ١٤٢، ١٣٢	"	٣	اليوم أكملت لكم دينكم
١٩٠	"	١٢	وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً
٩٤	"	٧٢ / ١٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله
١٥٧، ١٥٢	"	٣٥	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة
١٨١	"	٤٤	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى

١٤٨، ١٤٧، ١٤٢، ١١٧	المائدة	٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
٢٤٣	»	٧٧	قل يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم
١٤٩	»	٩٢	فإن توليتم فاعلموا
١٧١، ١٤٩	»	٩٩	ما على الرسول إلا البلاغ
١١٨	»	١٠٣	ولكن الذين كفروا يفترون على الله
١٠٧	»	١١٦	تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في
١٠٦	الأنعام	٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
٢٠٩، ٢٠٨، ١٠٧	»	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
١٧٢	»	٦٣	قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
١١٨	»	٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
١٧٢	»	١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه
٢٦	»	١٣٦	وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث
٢٢٥	الأعراف	٦	فلنسألن الذين أرسل إليهم
١٧٢	»	٥٤	ألا له الخلق والأمر
٢٤٧	»	٥٥	ادعوا ربكم تضرعاً وخفية
٢٢٠	»	١٥٨	قل يا أيها الناس إني رسول الله
٢٤٦	»	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
١٧٠	»	١٨٨	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً
٤٠	»	١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
١٦٧	الأنفال	٤١	فإن لله خمسته وللمرسول
١٦٨، ١٦٧	»	٧٢	وإن استنصروكم في الدين فعليكم
٢٤٥	التوبة	٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون
٢١٦	»	٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم
١٦٧	»	٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك
٢٠٩	»	١٠١	وممن حولكم من الأعراب منافقون
١٠٦	يونس	٢٠	فقل إنما الغيب لله
١٦٧	»	٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض
١٩١	»	٦٣/٦٢	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
١٢٦	»	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
١٤٩	هود	١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك

٢٠٩	د	٨٦	بقيت الله خير لكم
٨٦	د	٨٨	إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
١٠٦	د	١٢٣	ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع
٤٧، ٦	الرعد	١١	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
١٧٢	د	٢٦	الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر
١٣٢، ١١٧	الحجر	٩	إنا نحن نزلنا الذكر
٢٢٤	د	٩٣، ٩٢	فوربك لنسألنهم أجمعين
١٠٦	النحل	٧٧	ولله غيب السموات والأرض
١٨٦	د	١٢٠	إن إبراهيم كان أمة قانتاً
١٦١، ١٥٧	الإسراء	٥٧/٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
١٥٧	د	٥٧	يبتغون إلى ربهم الوسيلة
١١٩	د	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن
١٠٦	الكهف	٢٦	قل الله أعلم بما لبثوا
٩٤	مريم	٤٤	يا أيت لا تعبد الشيطان
٨٧	طه	١٤	إنني أنا الله لا إله إلا أنا
١٧٣	الأنبياء	٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
٢٤٢	الحج	٢٩	وليوفوا نذرهم
١٦١	المؤمنون	١١٧	ومن يدع مع الله إلهاً آخر
٨٦	النور	٣٩	كسراب بقية
٢٠٩	الشعراء	١١٢	وما علمي بما كانوا يعملون
٢٢٢	د	٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين
١٧٢	النمل	٦٢	أمن يجيب المضطر إذا دعاه
١٠٩، ١٠٥	د	٦٥	قل لا يعلم من في السموات
١٨٩	القصص	١٥	فاستغاثه الذي من شيعته
٢١٥، ١٧٠	د	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت
٢٢٤	د	٧٨	ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
١٧٢	المنكبات	٦٠	وكأين من دابة لا تحمل رزقها
٤١	د	٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
١٢٦	السجدة	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
٢٢٥	الأحزاب	٨	ليسأل الصادقين عن صدقهم

٢٣٢	د	٢٣	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
١١٦	د	٤٢/٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً
١١٦	د	٥٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي
١٨٨، ١٨٧	د	٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات
٢٢٠	سبأ	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس
١٢٦	فاطر	٤٤	وما كان الله ليعجزه من شيء
١٠٦	فاطر	٣٨	إن الله عالم غيب السموات والأرض
٩٤	يس	٦١/٦٠	ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان
٢٢٥	الصفافات	٢٤	وقفوههم إنهم مسؤولون
١٧١، ١٢٣	الزمر	٣٠	إنك ميت وإنهم ميتون
١٧١	د	٤٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها
١٥٦	د	٦٧	وما قدرها الله حق قدره
٢٠٤	غافر	٨، ٧	فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
١٥٦	د	٦٠	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
٩٢	د	٦٧	هو الذي خلقكم من تراب
٩٤	الشورى	١١	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
١٧١	د	٥٢	وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم
٢٢٤	الزخرف	٤٤	وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون
٢٢٠	د	٧٢	وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم
٢٢٢	الجاثية	٢٣	أفرايت من اتخذ إلهه هواه
١٦١	الأحقاف	٥	ومن أضل ممن يدعو من دون الله
١٧	د	٩	قل ما كنت بدعاً من الرسل
١٦٧، ١٦٦	الفتح	١١	قل فمن يملك لكم من الله شيئاً
٢٢٢	الحجرات	١٣	إن أكرمكم عند الله أتقاكم
١٩٠	ق	١٦	ونعلم ما توسوس به نفسه
٩٣	الطور	٣٥	أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
١٤٦، ١٣٧، ١٣٢	النجم	٤، ٣	وما ينطق عن الهوى
١٩٢	د	٣٢	فلا تزكوا أنفسكم
٢٢٥	الرحمن	٣٩	فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان
١٧٨	الواقعة	١١/١٠	والسابقون السابقون

لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح	١٠	الحديد	١٧٨
ورهبانية ابتدعوها	٢٧	د	١٧
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد	١٨	الحشر	٢٤١
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون	٣	الصف	٢٣٢
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٢	التغابن	١٤٩
جاهد الكفار والمنافقين	٩	التحریم	٩٥
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً	٢٧ / ٢٦	الجن	١٠٤
يوفون بالنذر	٧	الإنسان	٢٤٢
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس	٤٠	النازعات	٤١
إن إلينا إيابهم	٢٦ / ٢٥	الفاشية	٢٢٥
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	٨، ٧	الزلزلة	٢٠٨

فهرس الأحاديث مرتبة على حروف الهجاء

رقم الصفحة	الحديث	رقم الصفحة	الحديث
١٦٦	إنما أنا قاسم والله يعطي	١٨٥	الأبدال يكونون بالشام
٢١	إنما هما اثنتان الكلام والهدي	٢٢٤	أجل، ما من مسلم يصيبه أذى
٢٣٩	إن المنبت لا ظهراً أبقي	٢٣٩	أحب الأعمال إلى الله
٢١	أوصيكم بتقوى الله عز وجل	١٤٢	أخذت ليلة أسري بي
١٦٠	أي أخي أشركنا في دعائك	١٥٩	إذا تكفى همك ويغفر ذنبك
٢٠	بعثت أنا والساعة كهاتين	١٥٣	إذا سألتهم الله فاسألوه
١٥٩	بينما ثلاثة نفر يتماشون	١٧١	إذا مات الإنسان انقطع عنه
١٤٧	تركت فيكم أمرين	١٩٢، ١٩١	أربع من كن فيه كان منافقاً
١٥٨	تدرون بم دعا؟ قالوا الله ورسوله أعلم	١١٠	أصبح من عبادي مؤمن وكافر
٢٠١	تضمن الله لمن خرج في سبيله	٢٢٠	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي
١٥٧	ثم سلوا الله لي الوسيلة	٢٢٣	اللهم أعني على غمرات الموت
٨٨	حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله	١٠٠	اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك
١٧٨	خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم	١٥٩	اللهم رب جبريل وميكائيل
١٦٠	دعوة المرأة المسلم لأخيها بظهر الغيب	١٥٩	اللهم رب محمد النبي اغفر لي
١٩٧	سألت ربي فوعدني	١٥٧	اللهم رب هذه الدعوة التامة
١٩٨	سبقك بها عكاشة	١٧٣	اللهم لا مانع لما أعطيت
٢٢	عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين	٢٤٥	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم
٢١٦	فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة	٢٣٧	أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم
١١٩	فضل القرآن على سائر الكلام	٢٠٤	إن أول الناس يقضى يوم القيامة
٢٣٩	فمن أدرك ذلك منكم فعليه بستي	١٠٢	إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ
١٤٠	في الركاز الخمس	٢٣٨	إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة
٢٣٨	كان رسول الله... ليدع العمل وهو يحب	١٦٣	إن الله ينهاكم أن تحلفوا
٢٣٣	كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل	١٥٣	إن شئت دعوت وإن شئت صبرت
١٩٩، ١٩٨	كانوا لا يكتون ولا يسترقون	٢٠٠	إن في الجنة مائة درجة
٢١٥	كلا إني رأيته في النار	٢١٥	إنكم محشورون حفاة عراة

١٧٢، ١٦٧	واعلم أن الأمة لو اجتمعت	٢٨	كيف أصنع بما أبدع علي منها
٢٠٥	والذي نفسي بيده ما من عبد	١٩٣	لا تزكوا أنفسكم
١٥٨	والذي نفسي بيده لقد دعا	١٧٨	لا تسبوا أصحابي
١٧٨، ١٧٧	وددت أنا قد رأينا إخواننا	١٨٦	لا تسبوا أهل الشام
٢٣٧	وصلوا علي فإنه من صلى علي صلاة	١٩٣	لا تطروني كما أطرت النصارى
١٩٨، ١٩٧	وعلمي ربي أن يدخل الجنة	٢١٥	لا تمس النار مسلماً رأيي
٢٢١	ولن تجزي عن أحد بعدك	٢٣٦	لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع يؤثم
٢١٧	وما يدريك أن الله قد أكرمه	٢١٥	لما كان يوم خيبر أقبل نفر
٢٣٩	يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تليقون	١٧٩	لو كنت متخذاً خليلاً
٢٠٥	يا رب إنك قادر علي أن تثيب	١٨٤	ليدركن المسيح من هذه الأمة
٢٣٩	يا عبدالله لا تكن مثل فلان	١٦٩	ما على الأرض مسلم يدعو الله
١٩٨	يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً	١٦٩	ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها
١٨٦	يكون اختلاف عند موت خليفة	١٧٧	مثل أمي مثل المطر لا يدرى
		٢٠٨	مروا بجنازة فاثبثوا عليها خيراً
		١٠٨، ١٠٧	مفاتيح الغيب خمس
		١٠٩	من أتى عرفاً فسأله
		١١٧	من تعمد علي كذباً
		١٦٣	من حلف بغير الله فقد كفر
		١٢٢، ١٢٤	من رأي في المنام فسيراني في اليقظة
		١٣١	
		١٣٣، ١٣٩	من رأي في المنام فقد رأي
		٢١٢، ٢١١	
		١٣٣	من رأي فقد رأى الحق
		٢٤٠، ٢٤١	من سن في الإسلام سنة حسنة
		١١٩	من شغله القرآن عن ذكره
		٩٨	من عادى لي ولياً
		١٣٥، ٢٤٦	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
		٢٠١	من مات في سبيل الله فهو ضامن
		٢٤٢، ٢٣٠	من نذر أن يطيع الله فليطعه
		١٨٤	هذان سيدا كهول أهل الجنة

فهرس الآثار مرتبة على حروف الهجاء

٢١	اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم
١٨٢	أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ
١٠٧	أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتيح الغيب
١٤٤	أعوذ بالله من رأس ستين
١٥٩، ١٥٧	اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك
٢٤٩	البدعة أحب إلى إبليس من المعصية
١٩	البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة
١٤٦، ١٤٥	حدثوا الناس بما يعرفون
٢٢٥	القيامة مواطن يسأل في بعضها
٢٣٤	لا يسألهم سؤال استخبار
٢٣٤	لقد جتتم بدعة ظلماً
٢٣٤	لقد سبقتم... ركبتم بدعة ظلماً
٣٣، ٣٢	لقد سلك فج الروحاء سبعون نبياً
٢٤٢	لو كان الدين بالرأي
١٥٠	لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً
٢١	ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة
٢٢٣	ما أعبط أحداً بهون موت
٢٢٣	مات النبي ﷺ وإنه لبين حافتي
١٠٧	من حدثك أن محمداً رأى ربه
١٤٩	من حدثك أن محمداً كتم
١١٠	من زعم أن محمداً... يخبر بما يكون في غد
٢٣٤	من عرفني فقد عرفني
٢٣٧، ٢٢، ١٩	نعم البدعة هذه
١٨٥	النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون
٣٣	والله لقد أدركت سبعين يدرياً
٣٣	يا بني لورأيتنا ونحن مع النبي ﷺ

فهرس الفرق الصوفية مرتبة على حروف الهجاء

٤٤	الصديقية	٤٦	الإسماعيلية
٤٠	الطيفية	٤٢	الأويسية
٤٥	العشقية	٤٥	البرهانية
٤٥	العيدروسية	٤٤	البكرية
٤٥	الغوثية	٤٤	الجزولية
٤٤	القادرية	٣٨	الجنيدية
٤٥	القشيرية	٤٥	الحهرية
٣٩	القصارية	٤٥	الحاتمية
٤٤	القلندرية	١٠١	الحاكمية
٥٩	الكتانية	٤٦	الحزب الجمهوري الإسلامي
٤٤	الكيروية	٤١	الحكيمية
٣٧	المباحية	١٠١	الحلاحية
٣٩	المحاسبية	٤٣	الحلمانية
٤٥	المدارية	٣٨، ٣٧	الحلولية
٤٥	المشارعية	٤٢	الخرازية
٤٤	المولوية	٤٥	الحنسية
٤٦	الميرغنية	٤٢	الخصيمية
٥٣	الناصرية	٥٤، ٤٣	الحلوتية
٤٤	التقشبندية	٤٤	الرفاعية
٤٠	النورية	٤٠	الركبية
٤٤	الهمدانية	٤٤	الزروقبة
٤٤	الوفائية	٤٦	السمانية
		٤٦	السنوسية
		٤١	السهلية
		٤٢	السيارية
		٤٤	الشاذلية
		٤٥	الشطارية

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

١١٦	١٨٠	شعيب بن الحسن التلمساني	إبراهيم بن عبدالقادر الرياحي
٥٢	١٩	الطيب بن محمد اليمليحي	إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي
٤٠	١٨	طيفور بن عيسى بن سروشان	أحمد بن إدريس أبو عباس القرافي
	٥٣	عبدالرحمن بن أحمد بن رجب	أحمد الحبيب الغماري
٢٠	٥٥	السلامي البغدادي	أحمد بن خالد الناصري
٥٣، ٤٤	٤٤	عبدالقادر الجيلاني	أحمد الرفاعي
٦٨	٥٣	عبدالقادون محيي الدين الجزائري	أحمد الطواش
١٩٢	٥٤	عبدالقاهر بن طاهر البغدادي	أحمد بن عبدالله الهندي
	٩٦	عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد	أحمد بن عمر المرسي
٣٢	٤٢	الصديقي	أحمد بن عيسى الخراز
٢٩	٣٠	عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك	أحمد بن محمد بن الحسين الجريري
٣٣	١٩	عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي	أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي
١٠٨	٢٩	عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة	أحمد بن محمد بن علي المقرئ
٥٢	٤٠	عبدالله بن العربي المدعو (ابن عبدالله)	أحمد بن محمد النوري
٣٨	٤٢	عبدالله بن محمد العياشي	أويس بن عامر القرني
٩١	٤٤	عبدالله بن محمد النوري	جلال الدين الرومي
٣١	٣٠	علي بن إبراهيم الحصري	الجنيد بن محمد الخزاز القواريري
١٢٢	٢٨	علي بن خلف بن بطل	الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبدالله
٣٦	٤٤	علي بن عثمان الهجويري	أبو الحسن الشاذلي
٣٤	٣٨	علي بن محمد بن الحسين البستي	الحسن بن علي بن يحيى العجمي
٩٦	١٢٩	علي بن محمد الماوردي	حسين بن عبدالرحمن الحسيني الأهدل
٣٠	٤٣	عمرو بن عثمان المكي	الحسين بن منصور الحلاج
٥٤	٤٣	أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم	أبو حلماں الدمشقي
٤٢	٣٩	القاسم بن القاسم السيار	حمدون بن أحمد بن عمارة القصار
١٨	٤٠	المبارك بن محمد الشيباني الجزري	دلف بن جعفر الشبلي
٣٥	٣٠	محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني	رويم بن أحمد بن يزيد
١٨٠	٤١	محمد بن أحمد كنسوس	سهل بن عبدالله التستري

٢٠	محمد بن بهادر الزركشي
٥٢	محمد بن حمو التجاني
٤٢	محمد بن خفيف الضبي
	محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين
٤٨	(النفس الزكية)
٤١	محمد بن علي الحكيم الترمذي
٣٧	محمد بن عمر بن الحسن الرازي
١٣١	محمد بن محمد بن الحاج
٣١	محمد بن موسى الواسطي
٤٣	محمود الكردي
٣٣	معروف بن فيروز الكرخي
٣٤	النفير بن شميل بن خرشة المازني
١٣١	يوسف بن إسماعيل النبهاني
١١٥	يوسف بن عبدالرحمن أبو الحجاج المزي

فهرس الموضوعات

	الموضوع
٥	مقدمة الباحث
١٧	تمهيد
١٧	أولاً: البدعة
١٧	تعريف البدعة
٢٢	أقسام البدعة
٢٤	أسباب الابتداع
٢٥	أسباب انتشار البدع
٢٥	حكم البدعة
٢٧	ثانياً: التصوف
٢٧	نشأة التصوف
٢٩	تعريف التصوف
٣٢	لماذا سموا بالصوفية
٣٦	أقسام الصوفية
٣٨	طرق الصوفية
٤٧	القسم الأول: في التجاني والتجانية
٤٨	الباب الأول: في ترجمة أحمد التجاني
٤٨	الفصل الأول: في اسمه ونسبه ومولده وأسرته
٥٠	الفصل الثاني: الحالة السياسية والعلمية في عصره
٥٢	الفصل الثالث: في نشأته ورحلاته ووفاته وآثاره
٥٢	نشأته وتصوفه - رحلاته
٥٥	وفاته
٥٦	آثاره
٥٦	الزاوية التجانية بفاس
٥٧	جواهر المعاني

٦٤	الباب الثاني: في التجانية
٦٤	الفصل الأول: في نشأة الطريقة التجانية وأسباب انتشارها وتاريخها
٦٤	أسباب نشأة التجانية وانتشارها
٦٥	أريخ التجانية
٦٦	تاريخ التجانية في الجزائر
٦٩	تاريخ التجانية في السودان الغربي (السنغال وما حولها)
٧٢	الفصل الثاني: في تراجم أشهر التجانيين
٧٢	علي حرازم
٧٣	محمد بن المشري
٧٤	عمر الفوتي
٧٦	أحمد سكيرج
٧٧	محمد الحافظ التجاني
٨٠	الفصل الثالث: في التعريف بأشهر الكتب المؤلفة في الطريقة
٨٠	جواهر المعاني
٨٠	رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم
٨٠	الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم
٨١	الإفادة الأحمدية
٨١	بغية المستفيد شرح منية المريد
٨٢	ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية
٨٢	الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة
٨٣	الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار
٨٤	بعض الكتب المنسوبة للتجانية
٨٥	القسم الثاني: عقائدهم وبدعهم في الأذكار والأوراد
٨٥	الباب الأول: عقيدتهم في الله
٨٦	الفصل الأول: إيمانهم بوحدة الوجود
٨٦	ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بوحدة الوجود
٨٨	الأدلة والمناقشة

- ٩٤ مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من آمن بوحدة الوجود
- ٩٧ الفصل الثاني: إيمانهم بالفناء (وحدة الشهود)
- ٩٧ ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بالفناء
- ٩٨ الأدلة والمناقشة
- ١٠١ قول أهل السنة والجماعة في الفناء الذي يدّعيه المتصوفة
- ١٠٣ الفصل الثالث: إيمانهم بأن بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب
- ١٠٣ ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك
- ١٠٤ الأدلة والمناقشة
- ١٠٨ مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من ادّعى شيئاً من علم الغيب
- ١١٢ الباب الثاني: عقيدتهم في القرآن وفي الرسول ﷺ وفي اليوم الآخر
- ١١٣ الفصل الأول: عقيدتهم في القرآن
- ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بأن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من
- ١١٣ القرآن الكريم
- ١١٤ المناقشة
- مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن صلاة الفاتح لما أغلق من
- ١١٧ كلام الله أو أنها أفضل من القرآن
- ١٢٠ الفصل الثاني: عقيدتهم في الرسول ﷺ
- ١٢٠ المبحث الأول: إيمانهم برؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته
- وفيه مطلبان:
- ١٢١ المطلب الأول: في رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته
- ذكر بعض النصوص التي تصرّح بإيمانهم برؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في
- ١٢١ الدنيا
- ١٢٢ الأدلة والمناقشة
- مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ بقطعة بعد موته في الدنيا وحكم
- ١٣٣ من قال إنه يرى النبي ﷺ بعد موته بقطعة
- ١٣٦ المطلب الثاني: فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته بقطعة
- ذكر بعض النصوص التي تبين عملهم فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته

١٣٦	في اليقظة
١٣٧	المناقشة
١٣٨	مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بقظة
١٤١	المبحث الثاني: إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه
١٤١	ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه
١٤٢	الأدلة والمناقشة
١٤٨	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه
١٥١	المبحث الثالث: إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين
١٥١	ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين
١٥٢	الأدلة والمناقشة
١٥٧	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم التوسل
١٦٤	المبحث الرابع: الغلو في حق النبي ﷺ وفي التجاني واعتقاد أنهم أرباب مع الله
١٦٤	ذكر بعض النصوص التي تثبت غلوهم في حق النبي ﷺ
١٦٦	الأدلة والمناقشة
١٧١	مذهب أهل السنة والجماعة وبيان أن ذلك من الشرك
١٧٥	المبحث الخامس: إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء كما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء
١٧٥	ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء
١٧٦	معنى خاتم الأولياء عندهم
١٧٧	الأدلة والمناقشة
١٩١	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن التجاني خاتم الأولياء
١٩٥	الفصل الثالث: عقيدتهم في اليوم الآخر
١٩٦	المبحث الأول: في زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة
١٩٦	ذكر بعض النصوص التي تصرح بأن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة كما يزعم

١٩٧	الأدلة والمناقشة
٢٠٧	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من زعم ذلك
٢١٠	المبحث الثاني: في قول التجاني: «من رأني دخل الجنة»
٢١٠	ذكر بعض النصوص التي ورد فيها هذا القول
٢١١	الأدلة والمناقشة
٢١٦	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد ذلك
	المبحث الثالث: بعض الفضائل التي يعتقد التجانيون أنهم مخصصون بها
٢١٨	من دون الناس مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر
٢١٨	مقدمة
٢١٩	الرد على دعوى اختصاص التجانيين وحدهم بهذه الفضائل
٢٢٢	مناقشة هذه الفضائل التي يزعم التجانيون أنهم مخصصون بها دون الناس
٢٢٩	الباب الثالث: بدعهم في الأدعية والأذكار
٢٢٩	ذكر بعض الأوراد والأذكار
٢٣٢	الأصل في هذه الأوراد
٢٣٢	الأدلة والمناقشة
٢٤٦	مذهب أهل السنة والجماعة وحكم هذه الأوراد
٢٥٠	الخاتمة
٢٧٣	فهرس الآيات
٢٧٨	فهرس الأحاديث
٢٨٠	فهرس الآثار
٢٨١	فهرس الفرق الصوفية
٢٨٢	فهرس الأعلام
٢٥٥	فهرس المراجع
٢٨٥	فهرس الموضوعات

ملحق

في المقارنة كتاب جواهر المعاني
وكتاب المقصد الأحمد

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْخَوْجُ الَّذِي خَمَّهَ اللَّهُ الْغَنَى
عَنِ السَّلَامَةِ مِنَ الطَّبِيعِ بِمَنْحِ الْفَاحِشِ وَالْخَسِيئِ
كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُولَدْ وَأَوْفَى حَقًّا وَغَفَرَ لَكُمْ
وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُولَدْ لَمَا كُنَّا بِمَنْحِ الْفَقِيرِ الْخَوْجِ

الفخر لعلنا انما فرغنا من اوليائه واحبابه واصفيائه من النور الاخرى انوارا
 واصفياء من ملكوتهم وروحهم علمهم وورعهم متعدي وانوارا
 وحلائلهم بحسينه منابه وقيل حلاله ومبايه واعلمتهم بنماه التوحيد انفسا
 باسعاد بافرارهم الخليفة من النور ابراهيم من النور كنهه وقروا من كنهه وقروا
 وقروا النور الكبر من ربه وعللنا من حجة وراية وقروا بكلمة حيا منار
 قبلهم ما يلا من قلل انشراحها وافير من صلح النور ابراهيم ولا قيل لها النور
 استبصارا فتنهار عن خصمها علمهم والنور وتشرح بهم الغلوت والصور
 وجعلهم ليدرا غوايا وانوارا والصلوات والصلوات على شترنا وقروا من كنهه
 انوار من كنهه بعثت نور وقرروا من كنهه بعثت نور وقرروا من كنهه بعثت نور
 ومن نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور
 واعلمه او حجة من رسله الا على يد ربه انزلنا من انوارا من نور وشمس نور وعنه نور
 وحلله المستغنى وعينه النامع انوارا قلبه كملته النور وعنه نور وشمس نور وعنه نور
 النور وعنه نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور وعنه نور وشمس نور
 غروا كانه احب ونورهم ولا استنشقوا من شمسهم انوارا علمهم العلم والشمس
 وعلو الله العلم اشرقم بشمسهم ولما لا استنشقوا من شمسهم انوارا وعلى علمهم
 انوارا المستنشق انوارا من علمهم وانوارا انوارا من علمهم وانوارا من علمهم
 الا نسا انهم الله وريحهم حبيب لبايد وراية من علمهم علمهم وانوارا من علمهم

صورة الصفحة الرابعة من خطبة كتاب المقصد الأحد

[illegible]

بكلية او كثر في حق من هذا الكم امه وبعين قلم غيبي وعلم كافي ذلك الحاجة
 محنة كلاله وشكوه انهم اربع لعل غشوة وامر اخر بعسيت يذركم ما به ما كمنه ومو
 انما به بعينه عنيت بعينك كذا ما سمع كلامه فتشعر على شدة وتغلب فلي تسمع من
 منة الله وانسانا قد قد خلدوا واقسم في وما كان فيهم شاهرا ما قبل ذلك ولا تنبه
 لما سألوا ويخبرهم الخاخر من ما لم يترجوه وغا جلا وده خبري وعينهم في عملهم لا يجمع حاله
 ويترجمهم مغالته ويجمعهم العترة وفيه راعيتهم النجح حشر بطن اخرهم لا ياتي بالترسل
 اذبروا ولا يلبثت انما بغير شئ من الاما يلوح عليه جين من ان يغير باللفظ والفرج باللفظ
 القدر ولا يقيده من احبب ماله ويريد وعبد له في غايته ما يكره من السعة والضعفة
 فلا يسمع كلامه انما اخذ غنم لا تراج واعني ان الشئ وروا في شراح كذا ما في عن
 ان تراج بل ان تراج وكذا راجل من ذاهية انهم اهل العجوة من اسياح فيلند فرامض
 خدام الشلطان ما فراع النحر والنداء في النفس والام والافهم وانما اخذنا الس
 وما خلفه وخاله ولم يغيره كثير ولا قليل وكان في قبل ذلك ما اخبر به في اذ الشئ
 انما اوتيه وجلس بعينك مع سيرا احمد ماله من الا فخلدوا وانما اخبر به في اذ الشئ
 لكلامه وكان في كماله على غادة تدور في الدنيا على الله في ذكر الناس ما في الله الله الله
 والبا كمنه وفيهم ما في با العند من البحر في يتوق العظام بغيره كمنه حجة من
 الله وفصل منه ونعمة واحدة لا يبعد الله الا يعلمه وجعل يوحى في هذا الله فيمنه حال
 انهم الجينة وكلمهم عليه ان الشئ وروا العرج وجعل يغير في الا في شين فاحموا ذلك
 اسلم جينز ويغير النجح لغيركم في ما في حاميته بغيره السلام انهم يغير في رما
 قبل ذلك واستغيا جابا لريضا انهم رزقا ويغير ما سمعت من رزقهم في رايته ولفظ
 رزق غير واجرم القاجير لا عياله من رزقهم في ما في سمعتا مثل من ذلك الام بغير
 اخبركم وفيه مثل ذلك انهم في بغير المروية يا فيه اني جلا في رزقهم ووبلا في بغيره
 من شج النضر والبناء وتعود في بغيره عن رزقهم في ما في بغيره في رزقهم في رزقهم
 عجبا ذلك لما تكلم في من فر الخليفة في رزقهم في ما في رزقهم في رزقهم في رزقهم
 من ذلك ما لا اخبركم ولا استوفيه بغيره في رزقهم في ما في رزقهم في رزقهم في رزقهم

كذلك

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أفاض على أوليائه وأحبابه وأصفياه من النور الأحمدى أنوارا . واصطفاهم من
مكتون سره وجوهر علمه ودوره معارف وأسرارا . وحلام بحلية سنائه وحلل جماله وبهائه
وأظلمهم في سماء التوحيد أقمارا . فاستضاءت بأنوارهم الخليفة وسلوكوا بهم من الدين طريقه
وتبوءوا له وطننا وقرارا وصاروا للسالكين هداية وعلا بالمحجة وآية وبرزوا بكل لاحق مارا
فلولاهم ماسلك من تلك السبل فجأجها ولاقوا من ضلغ النفوس اعوجاجها ولا تبين لها الهدى
استبصارا فسيحان من خصهم بالحكمة والنور وشرح بهم القلوب والصدور وحملهم للدين
أعوانا وأنصارا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي من فيض بحره يفترون ومن
روص مواهبه يقتطمون ويمجتون ثمارا وأزهارا ومن نوره ينسبون ومعه يرتون
ويستبدون وعليه يحوم كلهم مرورا فامن نعمة واصلت لهم رحمة مراسلة إلا حل يديه أرسلت
ملورا فهو باب الله العظيم وصراطه المستقيم وعينه النافع إكثارا فلولا طلعت الكريمة
وإمداداته العلية الفاتحة قلوبا وأبصارا ما استطعتم لتبذ الوصل ونعيمه ولا عرف كأس الحب
ونديمه ولا استنشق صب من شيمه عرارا صلى الله وسلم عليه وعلى آله المكمل شرفهم بشرفه
وكاله السامع مجدا وفخارا وعلى صحابه الأبرار المتخفين الأنبياء المهاجرين وأنصارا
(وبعد) فإن من أحسن ما يصرف إليه الإنسان اهتمامه ويصرف فيه ليلته وأيامه ويهمل
فيه فكره وأفلامه ويحفل ذكره نديمه ومدامه ويتخذ محراب وجهه وإمامه ويقصد فيه سمته
وأمامه ويقتنى ذخره الأسنى ويحتل بكره الحسنى ويقتبس من مشكاة نوره ويستضيء
بشمسه وبدوره ويرتع في خمائله ورواحه ويكرع من موارده وحياضه ويتشبع منه بأزكى

حرف

صورة الصفحة الأولى من خلية كتاب جواهر المعاني

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أفاض على أوليائه وأحبابه وأصفياه من النور الأحمدى أنوارا . واصطفاهم من
مكتون سره وجوهر علمه ودره معارف وأسراره . وحلام بحلية سنائه وحلل جماله وبهائه
وأظلمهم في سماء التوحيد أقارا . فاستضاءت بأنوارهم الخليفة وسلوكوا بهم من الدين طريقه
وتبوءوا له وطنا وقرارا وصاروا للسالكين هداية وعلا بالهجرة وآية وبرزوا بكل لاحق مآرا
فلولاهم ماسلك من تلك السبل فجأجها ولاقوم من ضلغ النفوس اعوجاجها ولاتبين لها الهدى
استبصارا فبجنان من خصهم بالحكمة والنور وشرح بهم القلوب والصدور وجعلهم للدين
أعوانا وأنصارا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي من فيض بحره يفترون ومن
روض مواهبه يقتطفون ويمتنون ثمارا وأزهارا ومن نوره يستسبون ومعه يرتون
ويستبدون وعليه يحوم كلهم مرورا فامن نعمة واصلة لمو رحمة مترصلة إلا حل يديه أرسلت
ملارا فهو باب الله العظيم وصراطه المستقيم وعينه النافع إكثارا فلولا طلعت الكريمة
وإمداداته العديدة الفاتحة قلوبا وأبصارا ما استطعم للنبي الوصل ونبيه ولا عرف كأس الحب
ونديمه ولا استنشق صب من شيمه عرارا صلى الله وسلم عليه وعلى آله المكال شرفهم بشرفه
وكاله السامع مجدا وفخارا وحل صحابه الأبرار المتخفين الأخيار مهاجرين وأنصارا
(وبعد) فان من أحسن ما يصرف إليه الإنسان اهتمامه ويصرف فيه ليا ليه وأباهم ويهمل
فيه فكره وأقلامه ويحفل ذكره نديمه ومدامه ويتخذ محراب وجهه وإمامه ويقصد فيه سمته
وأمامه ويقتنى ذخره الأسنى ويحتل بكره الحسنى ويقتبس من مشكاة نوره ويستضيء
بشوسه وبدوره ويرتع في خمائله ورواحه ويكرع من موارده وحياضه وينفخ منه بأزكى

حرف

صورة الصفحة الأولى من خلية كتاب جواهر المعاني

عرف وطيب ويتذكر به المنزل والحبيب محاسن أهل الله الأولياء وخاصته الأصفياء حزب
الله وأهل حضرته الفائزين بشهوده ونظرته المحبوبين إليهم والمحبوبين لديه الواقفين بين
يديه. والعاكفين عليه الساجدة لله على الدوام قلوبهم والمحافظة لعهد سرمد شهادتهم
وعجوبهم مطاهر آيات المصطفى ونوابه الخلفاء الواردين من منله الأروى والشاربين منه
زلالا صفوا المتخلقين بشيئهم وخلاله والمتبعين لأقواله وأفعاله إلى سماع ذكرهم ترقح القلوب
وتشتاق به إلى علام الغيوب وتفتش بذلك من عقاقير لفضل الطاعات وأدائها فإن كثيرا من
الناس حملهم على ذلك حتى أثار منهم العزم والقوة والجد والتشجيع وبلغوا إلى أن حاسوا أنفسهم
على التغير والتطهير ولم يرضوا منها إلا بالحق تعالى الأمور والمسارة إلى ما محمد عاقبه بدار
السرور ونزحوا جوارحهم عن دنس المخالفات وارتكاب السيئات وقاموا بوظائف الدين
من فعل المأمورات واجتناب المنهيات وجادوا في رضا محبوبهم بالأرواح والنفوس وتلقوا
ما جاء عنه على الأكف والرؤوس فصارت أخبارهم وشمائهم تنقل وتسكب في الطروس فقد بلغنا
عن بعضهم أنه قال والله لأزاحمن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أفعالهم حتى يعلموا أنهم قد
حلموا وراءهم رجالا أو كما قال رضى الله عنه، فانتظر رحمك الله إلى هذه المهمة العلية كيف لم
نرعى إلا بالرب السنية وما ذاك إلا حين سمعت بفعل الأوائل اشتاقت ووجدتها التنافس فجذت
في طلب ذلك قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، اللهم ارزقنا مهمة عالية تبلعنا بها إلى
كل أمر محمود ونية صادقة نخرجنا بها عن كل ما يوجب الصدود، وقيل :

إن شئت أنك تظهر فسكن في حبك صادق عن ساق عزمك شمر
وانبذ جميع العلائق سر الموالي ما يظهر إلا على من هو عاشق

صورة الصفحة الثانية من خطبه كتاب جواهر المعاني

فبؤاه الفردوس والخلد ربه وجنة عدن بين حور وولدان
وجنة مأواه وذو قراره ومقعد صدق في رياض وريحان
وقال غيره في هذا المعنى رحمه الله:

آليت وهو أنا المبرور في قسي ما سمحت به في الأعصار أزمان
نعم وحقق يقينا غير متهم ما ولدت مثله في الدهر نسوان

وإن من أكرمهم الله بهذه الكرامة وأحله بمكانتها وأقامه وأنزله منها أعلى مرتبة ومراقبة وأولاه
منها أعظم آية ومنقبة وحاز في مربعاتها الخصب أكبر حظ وأوفر نصيب شيخنا وسيدنا وسندنا
ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ حبل
السنة والدين وعلم المتقين والمهتدين العلامة الدراكة المشارك الفهامة الجامع بين الشريعة
والحقيقة الفائق النور والبركات على سائر الخليفة الواضح الآيات والأسرار ومعدن الجود
والافتخار البحر الزاخر الطام المعترف بخصوصيته الخاص والعام نادرة الزمان ومصباح
الأرواح الشريف العفيف ذو القدر المنيف أبو العباس ولانا أحمد ابن الولي الشهير العالم
الكبير الشيخ الإمام القدوة المهام المدرس النفاع النبوي الاتباع أبو عبد الله سيدي محمد
ابن المختار التجاني رضي الله عنهما. وإني لما من الله على بمعرفته والانغياش إلى حزبه وزمرته
ورأيت من شيمه وشمائله ومحاسنه وفضائله وصممت من كلامه ومعارفه وإشاراته ولطائفه
ما حوز وجوده وقل وروده وعدم مثله وفقد شكله مما هو جدير أن يفاد ويستفاد ويقصد
إليه ويراد ونسطره في الطاروس الأقلام وتدونه في الدواوين الأعلام حداني ذلك مع ما طلبه
من بعض الإخوان والأحباء الأعيان أن أعرض لما تيسر لدى وساقه الله إلى من التعريف به

وبطريقته وعرفانه وتحقيقه ونشأته وسيرته وحلقه وشيمته وكلامه وإشارته ومكاشفته وكرامته
 وغير ذلك من مآثره وآيته فجمعت في هذا التأليف ما استحضرت من ذلك مما هو بعض
 ما هنالك إسعاف لمن طلب وإعانة لذوى الرغب وإعانة لذوى الاعتبار وإبانة لذوى الاستيعار
 وإعانة لأهل المحبة والوداد وهداية لذوى الانتساب والاستناد إذ التعلق بأهل الله واللياد بجنابهم
 وادخائهم إليهم والوقوف بأبوابهم تعلق بجناب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض لرحمته
 العظيمة ورحمته الجسيمة وفي حديث الطبراني إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا
 لها لعل أن تعيىكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً فيافوز الذين نهضوا إليها
 وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مدادا وإذا كان عند ذكركم - كما في الأثر الموقوف والخبر
 المعروف - تنزل الرحمت وتتم عواطف التسمات فما بالك بنشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد
 مناقبهم ومآثرهم وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التي هي هدى ونور وشفاء لما في
 الصدور ودواء للقلوب وجلاء للكروب وفتح للبعائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر
 يطرب السامع حديثها ويمتدح الأشواق إلى حضرتهم حيثها وما ملكت الدواوين والدفاتر ولا
 فاهت الأفواه والمحابر بعد شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره وشيمه الطاهرة وأثره
 بأفضل من أحبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هم أصحاب الصحة المعنوية ومعجزته الباقية السرمدية
 والله در القائل حيث يقول :

يا سادتي يا أفضل السادات لأزين بذكركم أوقاتي

يا خير صعب محمد من بعده يا أفضل الأحياء والأموات

وحن وإن لم تكن من الأتباع ولا من الأشياع حقيقة والأتباع فحول نفحاتهم نجوم ولثى

صوره الصفحة الخامسة من خطبه كتاب حواهر المعاني

من بركاتهم نروم .

خذ مادنا إن فاتك الأجل إن لم يصبها وإبل فطل
وجدير لمن ردد أخبارهم واستمع آثارهم وأكثر حديثهم وأحب قديمهم وحديثهم أن يدخل
ديرهم وينال برهم أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة ، وفي معنى ذلك قيل :

حدث السمع بالمحاسن منهم فالحديث لنا تديم النفوس
فلذا ما سقيت منها بكأس زال عنك من العنا كل بوس

جعلنا الله من أحبههم واتبع طريقهم وحزبهم ورزقنا التلذذ بخبرهم واستحسان سيرهم وأثرهم
(واعلم) رحمك الله أني لا أستوفي ما للسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه من
المآثر والآيات والمناقب والكرامات أبد الآبدين ودهر الداهرين لأنني كلما تذكرت فضيلة
وحدثت فضيلة أخرى وكلما تدبرت آية رأيت أكبر من أختها إلى علم جبرالاسيا وهو رضي الله
عنه باق في قيد الحياة لهذا المهد شهر الله سبحانه سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف فكل ما مردعائك
ذكره في هذا التقييد فلانما هو بعض ما فات من سلف قبل هذا التاريخ وخلف من خلفك فتكونك
فلذلك ستقف إن شاء الله على شيء شريف وأمر منيف من كرامات عديدة وأخبار جديدة
تكسبك نوراً وتغذف في قلبك سروراً فلان النبأ الجديد موقعه في الأسماع للذيد . وهأنذا أذكر لك
إن شاء الله ما تفر به الميون ويتسل به كل عزون مما صبح عندي وتقرر وفيه مقنع لمن فهم
وتدبر لأن ما ذكر هذا الشيخ رضي الله عنه لا نحصى ومناقبه لا نستقصى فقد شاعت بها الأخبار
حيث سار الليل والنهار وليس يوجد لها حد ولا مقدار وإنما نورد صباية منها وشظية من
حدها فقد يكل عنها القرطاس والقلم ويعيا في طلبها اليد والقدم فهي في الناس أشهر من نار

صورة الصفحة السادسة من خطبه كتاب جواهر المعاني

المخلوقات فيكون فردا نفرد لم يسترفه عاجل دنياه لا أجل آخرة ولا يملك قلبه شيء لا يرى المالك
إلا الله ولا يستوى على قلبه سواه وسئل شيخنا رضي الله عنه عن الحر فأجاب بما يأتي
إن شاء الله في محله وما ترى أحدا كمل في هذا الوصف مثل ما كمل فيه سيدنا أبو العباس رضي
الله عنه هو الحر على الحقيقة والممتاز بوصف الحرية على الخليفة كما قيل :
أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتي طلحة حر

ولا نطق بك أن تحوم في خيالك أن أحدا من أهل عصرك ومصرك وبلادك وقطرك له من
وصف الحرية ما لشيخنا رضي الله عنه أو يحاكي فيه تمامه وكمال ذلك وصف أنواره عليه لائحة
وآثاره فيه واضحة وأمره رضي الله عنه في هذا وفي غيره شهير لا يفتقر على ذي تمييز من كبير
أو صغير رزقا الله رضاه في الدنيا والآخرة صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
(الفصل الثالث) في دلالة على الله وجمعه عليه ونوقة الأقوام بحاله ومقاله إليه قد شرب
سيدنا رضي الله عنه من هذا الحب الشريف مأرواه ونهل عن بحر العظيم ومدده الجسيم ما أخذ
بجميع عوالمه وقواه وأفناءه عن كل معلوم ومرسوم وغيبه أبدا في الواحد القبوم فانصبت
بالتوحيد حقيقته وامتزجت به ذاته وهويته وتكيفت به روحه ونفسه ومعناه وحسه وقالبه
وقلبه وعقله ولبه فصارت أحواله وأقواله وخلاله وفعاله وحركانه ومسكاته وتقلباته وتصرفاته
كلها دالة على الله ورسوله وحامعة على الله وبابا لوصوله لاتدعوا إلا إليه ولا نحوم إلا عليه ولا
توقفك إلا ببابه ولا تسندك إلا لعل حبابه إذا رأته ذكرت الله ونسيت منسواه واستيقظت
لأول وهلة وانتشعت منك سحاب الفعلة ووجدت بقلبك تعظيما وإجلالا وتكريما وإذا
حالته تداركتك لمحاته وسرت فيك نعماته وعلقت بك طيبة الفائح ورأيت حصة الواضح

وعلمت أنه للجلس الصالح ونور النبوة فيه لائق لا يخيب أبدا جلسيه ولا يعدم شيئا من الخيرات
 أنيسه كما قال فيه بعض مادحيه . هو من أناس لا يخيب جلسيهم . البيت يقدح انور في
 قلب من أبصره ويث عبء الله فيمن حضره ويزح في الذكر من غشيه ويقذف في الجدل من
 لفيه رؤيته طب نطوب وكلامه شفاء من العيوب مجلسه مجلس حلم ووقار وإجلال وإكبار
 لا يتديه أحد بالكلام غالبا ولو كان في ذلك صائنا بل يفتحه هو إن أراد فيحصل به البغية
 والمراد لا يكثر الحاضرون من الكلام لديه ولا يلبثون فيها بينهم إليه بل دأبهم الإصبات
 والأدب إلا من توجه له منه الخطاب والطلب عظيم الهبة جليل الهيئة ذو مهابة طاهرة
 ومطوية قاهرة لا يفاجئه أحد إلا صدمته هيته ولا بدخله إلا ملكته محبته ورائة محمدية ومنحة
 نبوية كلما ازدده إلى قرابة ازددت منه مهابة ولقد تعرض لنا المهمات فريد أن نخبره في
 نستطيع الإقدام عليه حتى يكون هو الذي يغتنا بمالديه وكثيرا ما يغتنا بما زبده قبل أن نشرع
 فيه فيفتح لنا بذلك الباب في الكلام معه فنقبه ونفتحه يتكلم مع الإنسان بما فيه وينبنا عي
 يلاقيه ويوافيه ويبين له ما خفى عليه أتم تعيين مما كان أضربه من أمر الدين ويتخذه
 بالدواء والعلاج فيبري الخطيب ويزيح الكرب وتدهي بأنواره ضامة القوس وتنجلي عنها
 المضائق والبؤس يذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويزرع منها الإشارات واللطائف
 والحكم والمعارف فيذاق منه ذلك ذوقا ويزيد الحاضر عجة وشوقا ويمتلئ القلب منه سرورا
 وفرحا وجورا حتى يحلف الخالف عند سماع كلامه لكانه يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم
 ويشافه نوره الآتم وسره الأعظم وعلى كلامه سطوة تخضع لها النفوس ونحط لها الرعوس
 ينجب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال في بعض الأحوال وإذا سمع كلامه أحد وخصوصا من فيه

قابلية القبول تحول في الحين قلبه وطاوبه إلى الله له يأتيه الإنسان في كرب وحزن وجحود وكفران وضلال وطغيان وذنس وأدران فيعود حزنه سرورا وجحوده شكورا وبعد، حصورا وذنس ظهورا وظلامه نورا فتقلب به في القلوب حقائق الأعيان وتطيب به الأوقات والأحيان وتحد يتكلم مع الرجل كلاما عاديا وهو يفعل في قلبه الأفاعيل ويرحل به إلى الله المرسل ويحبب الرجل بكلمة أو كلمتين فيظفر عند ذلك بمرامه ويثر على غرضه ويغلبه كائنات تلك الحاجة مجرد كلاما ويشكو الرجل بملل معنوية وأمراض نفسية يذكرها في باطنه وهو أمامه فيصيح عنها بعينها كأنما سمع كلامه فيشفي علته وتقلب نظراته فيشاهد من الله إحسانه وتفضله وامتنانه وما كان قط شامدا قبل ذلك ولا تنبه لما هناك وبخسوه الحاصرون ما بين متوجه وعافل ودينوي وغيره فيعمل في الجميع حاله ويؤثر فيهم معطاه ويعصمهم المرح ويحول عنهم المرح حتى يظن أحدهم أنه لا يبالي بالدنيا أبدا ولا ينتف منها بعد مرمد ما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح بأنعم الله ويأتيه من أصيب به ماله ودينه وعياله في غاية ما يكون من المشقة والضيق فإذا سمع كلامه انزاحت عنه الأتراح وانتزعت السرور والانشرح كأنما سقى عنده الراح بالراح وقد أنهى وجل من الإخوان قد امتحن بأحد ماله من قبل السلطان فسأمت أخلاقه وأحواله ومصره وعلايته وأعداله مجلس بين يدي سيدنا رضى الله عنه في ملأ من أصحابه فجعل يقتصص لكلامه ويتكلم الشيخ رضى الله عنه على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الطاهرة والباطنة ويربهم أن ما ينزل بالعد من المحس التي هي والتاخر نفمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة وأنه لا يفعل ذلك سبحانه إلا لحكمة وحمل بوضع ذلك متحول حال الرجل حينه وطهر عليه أثر السرور والفرح ويقول:

الحمد لله يكررها فرحاً منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفافاً بالندى التي رزقها ويقول ما سمعت هذا قط ولا رأيته ولقد زرت غير واحد من الصالحين الأعيان في هذا الزمان فما رأيت مثل هذا الكلام عند أحد وقع مثل ذلك المرة بعد المرة يأتيه الرجل في كرب ووبال فينصرف عنه ملشرح الصدر واليال وتعود كبريته عند رؤيته طرباً ويبصر الحاضرون من آياته هجياً ذلك لما تكيف بمن نور الحقيقة وأنصف به من الرحمة للخليفة حضرت من ذلك مالا أحصيه ولا أستوفيه فهو يحود عليهم بحاله كما يحود عليهم بحاله ويرحمهم بما خوله من المعارف وورقه من العوارف فيأض الإمداد كثير النفع للعباد رفيقا بالحاضر والباد كأنما الناس كلهم أبناءه وإخوانه وأوداؤه لا يزال حريصاً على نفعهم وزجهم إلى الله ودفعهم يستشهاد كثيراً بحديث الخلق كلهم حيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله ويلهج به في كلامه ليكون حاله تذهب إليه في كل شيء ويسوق الخلق إلى الله بما يمكن ويكتفى بما يجده في الإنسان من قابلية الخير ونولم يكن فيه إلا وصف واحد ويقول العارف إذا وجد فيك خصلة واحدة من الخير كالحياء والسخية أو شيئاً من المحبة مثلاً أو سلامة الصدر أو صدق اللجة أو نحو ذلك عاملك لأجله وأخذ بيدك وحق عليك ويقول إن الله يرحم العبد بسبب وصف واحد ورحمة الله غالبية تلتبس السبب فإذا وجدت أدنى شيء منه نزلت وإذا اشتكى له أحد نفسه وذكر له سوء حاله وقبيح فعله جذبه من النظر إلى ذلك للنظر إلى رحمة الله وعرفه أن الله يرحم بلا سبب ثم يذكر قول الشاذلي رضي الله عنه إن لم تكن لرحمتك أهلاً أن نألمها فرحمتك أهل أن نألمها ويقول فائدة تذكر العبد مساوية أن يعلم منه ربه عليه ويتحقق بفضل له وإحسانه حيث يجد نفسه لا يعمل خيراً وهو مع ذلك معافى منعم عليه بما في بحر الفضل والإحسان فتلك أثواب منحها من الحق من محض الكرم والامتنان وإذا تكلم

أخذ بما يشير إلى الدعوى وثناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم في عيوب النفس
 ودسائسها ويظهر له خصائصها ودقائقها وما اشتملت عليه العيوب والقائص والردائل التي
 هي شأنها وصفها ولا تحب أن تتصف إلا بأوصاف الربوبية كالكبر والمظنة مع أنها لا تخص
 معانيها ولها من النقص مثل ما قدم من الكالات يعني لانهائية ما ولولا أن الله يحول بين المرء وبينها
 لملك ولو أنها خل سبيلها لكفر بالله كما كفر بأنعمه ويقول إذا أراد الله هلاك عبد وكله إليها ولم
 يزد شيئا وإذا أراد رحمته عرفه نعمته وألمه شكرها وجنبه كفرها وذلك هو أصل كل
 خير وما جاء أحد مظهرا للرجاء غافلا عن اللجأ إلا خوفه من سطوة الله وقهره وسرعة نفوذ
 قضائه وأمره حتى يذهب خائبا مذمورا وما جاءه خائف أو لامف إلا سلاه ورجاه وعرفه فضل
 مولاه حتى يذهب فرحا مسرورا يريد بذلك جمع العبد في الحالتين على مولاه وأن لا يقف مع
 شيء سواه وإذا ادعى أحد بين يديه المحبة قال له من علامات المحبة السعي في رضا المحبوب
 والوقوف عند أمره ونهيه واتباع قوله وفعله ويفسد قول القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

إذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لأمه على ذكره أو عرفه بما جهل من أمره فأخرج له
 دسائس ذلك العمل وعلائله حتى يبين له أنه معلول مدخول لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا
 عملا يستفاد إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشيء إلا بفضل الله ورحمته وكثيرا ما يستشهد بقوله
 ما عندنا إلا فضل الله ورحمته وشفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على الله بصحبة أهل الله
 التاليين على الله الجامعين عليه والموصولين إليه ويذكر قوله تعالى : واصبر نفسك مع الذين

يدعون ربهم بالعداء والعشى والآية وحديث المرء على دين خليله ويقول أصل كل خير انطلاقة
والنقمة كل ما شئت فقله تعمل وخالف من شئت فقله تفعل وشكوته يوما سوء حالى فقال لى
لا تكلمنى الآن فى شيء من ذلك وافعل ما أمرك به وأشار على بمجالسته رضى الله عنه فقلت له
يا سيدى ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم مجالسة الأشياخ فقال بل مجالسة الأشياخ
أفضل لا يعادها شيء فجلستك بين يدى ولى أفضل من الدنيا وما فيها لما ورد جلوسك بين يدى ولى
قدر حلب شاة الخ. ولا شك أن مجالسته رضى الله عنه تزيق مجرب للأمراض القلبية والعقل
النفسية وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات ردية فتتجل
بسبب مجالسته والحمد لله حق حمده وكما يتبعى لجلاله لأخصى ثناء عليه ويقال فى المعنى النظر
فى التقى استقامة وفى المخصوص كرامة. ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يسخر له قلب مخصوص
من أهل ولايته ويقال كل الناس يحبون المخصوص والحكمة أن يحبك المخصوص ومن لم
يلق صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة وليس شيخك من يجعل بينك وبينه عمدا بلسانك وتعتقد
مشيخته بجهانك إنما شيخك من جذبك بقلبك وأخذ بمجامع لبك ونفعتك نظرتة وحاطتك
هتة ويخاطب كل واحد على قدر فهمه وعلى حسب علمه وبما يليق من حاله وينبغى لأمثاله
فيخاطب الجاهل بالنعم والعامل بالعمل وذا المعصية بالتوبة وذا الطاعة بعدم النظر إليها
وبرجاء رحمة الله فيها ويعجبه المشفق من عصيانه ويرق له ويمن عليه ويدل على الله بكل حال
وفى كل حال وفى كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله فالطاعة تدعو إلى شكر الله والمعصية
تدعى إلى التوبة إلى الله والنعمة والنقمة كذلك هذه تفرحك بمولاك والأخرى ترفع بها إليه
شكواك ويذكر قولهم رضى الله عنهم من لم يقبل على الله بسواغ الامتنان سبق إليه

ولم يقل أنا الله»^(١).

وقد روى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال: «كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه»^(٣)، إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم.. ثم قال: لكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثيراً منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضلّه الشيطان، ومن كان أقلّ علماً قال له ما يعلم أنه مخالف للشرعية.. وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر»^(٤).

٢ - أن ما وقع لهؤلاء الشيوخ هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو مناماً؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟

كل هذه الأسئلة لا نجد الجواب عليها^(٥)!!

٣ - أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته لم تنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرة من المصطفى ﷺ إذ كيف يظهر النبي ﷺ للمفضول ولا يظهر للفاضل؟ وقد حدثت حوادث كانت الحاجة فيها إلى ظهوره شديدة جداً، منها:

١ - اختلاف المهاجرين والأنصار على الخلافة وبقي النزاع بينهم مستمراً ثلاثة أيام حتى شغلهم ذلك عن دفن النبي ﷺ، فلو ظهر لهم وأخبرهم بأن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٢٩٨/٥.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: «سنده صحيح» ٣٨٣/١٢، ٣٨٤.

(٣) كذا في الأصل ولعل الأقرب إلى الصواب: «يظنون» ويؤيد ذلك ما ورد في (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) حيث قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدّعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين.. إلخ» الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨٢ (مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض) تحت رقم ٣١٨/٨٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩١/٢٧، ٣٩٢، الجواب الباهر ٥٤، ٥٥ المطبعة السلفية.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٢٩٨/٥.